قصاصات أدبية

فى الدين والحياة

المراجع

1- القرآن الكريم .

2- الكتاب المقدس.

3- الحب العذرى عند العرب للدكتور شوقى ضيف.

4- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة للإمام محمد الغزالى.

5- التداوى بالصوم .. محمد إبراهيم سليم.

6- التربية والتعليم فى مصر القديمة للدكتور عبد العزيز صالح.

7- صحيح البخارى.

8- صحيح مسلم.

9- قصص الأنبياء لعبد الحميد جودة السحار.

10- السيرة النبوية لابن هشام.

11- المساواة بين الجنسين فى مصر الفرعونية ومن أشكال التمييز ضد النساء عند العرب للدكتور محمود سلام زناتى.

12- آداب العقد والزفاف فى الإسلام.. حسين محمد يوسف.

13- طوق الحمامة فى الألفة والألاف .. ابن حزم الظاهرى.

14- إسرائيل للدكتور محمد بيو مى مهران.

15- اليهودية للدكتور أحمد شلبى.

16- مصر والشرق الأدنى القديم للدكتور محمد بيومى مهران.

17- سلسلة علماء العرب.. سليمان فياض.

18- على هامش السيرة للدكتور طه حسين.

19- سلسلة العبقريات .. عباس محمود العقاد.

20- الشيخ الشعراوى من القرية إلى القمة للكاتب محمود فوزى.

نبذة عن الكاتبة

هى كاتبة صحفية ، لها العديد من الكتابات والمقالات فى العديد من الصحف الورقية مثل جريدة الحقيقة المصرية والكرامة والصحف الالكترونية مثل اليوم السابع.

لها مدونة على النت تحمل اسم قصاصات أدبية ، لها صفحة على الفيس بوك متخصصة فى الأدب. حاصلة على تمهيدى ماجستير فى التاريخ الفرعونى. وهى محفظة قرآن ومدرسة لغة عربية للأجانب ، داعية إسلامية.. تتمتع بأسلوب جديد متميز فى الكتابة ، تخرجت فى كلية الآداب قسم التاريخ ، ودرست الشريعة الإسلامية باللغة الإنجليزية فى معهد الدعوة والدراسات الإسلامية ومؤهلة لدعوة الأجانب إلى الإسلام. والكتاب يتناول موضوعات هامة وحيوية تهم أى قارئ لأنه مزيج من الموضوعات السياسية والدينية والاجتماعية والفكاهية ، بحيث لا يشعر القارئ معه بأى ملل.

تدور فكرة الكتاب عن مجموعة من المقالات التى تم نشرها للكاتبة فى الصحف فى محاولة من الكاتبة لفهم الاسلام بطريقة معاصرة وتطبيقه بطريقة واقعية على كافة مناحى حياتنا العصرية لأنه من الملاحظ أن هناك خلطًا فى المفاهيم بين الناس عن الإسلام كدين نظرى وتطبيقه بطريقة عملية على سلوك الناس ، فجاءت تلك المقالات لتصحح تلك المفاهيم المغلوطة وتوضح عظمة الإسلام وصلاحية تطبيقه فى كل زمان

ومكان .. جاءت تلك المقالات نتيجة لمشاهدات وملاحظات يومية للكاتبة ولاقت استحسانًا كبيرًا من القراء حتى أنهم وصفوا الكاتبة بأنها موهوبة وتتمتع بقلم ساخر خفيف الظل وأنها صاحبة دم جديد فى الكتابة وأن ثقافتها عالية وتتمتع بذكاء فى تناولها للموضوعات ، كما شهد لها الأستاذ حمدين صباحى الصحفى المعروف ورئيس تحرير جريدة الكرامة وعضو مجلس الشعب بأنها تمتلك سخرية عبقرية وصاحبة قلم مميز يؤهلها لتكون كاتبة متميزة.

وهذا ما جعل العديد من القراء يطالبون الكاتبة بتجميع مادة جميع مقالاتها فى كتاب يستفيد منه أكبر عدد من الناس . وتنوى الكاتبة إن شاء الله ترجمة الكتاب إلى الإنجليزية ليستفيد منه غير الناطقين باللغة العربية.

الطبعة الأولى

2010

إهداء

إلى روح أمى –رحمها الله – أستاذتى ومعلمتى الأولى التى شجعتنى منذ نعومة أظفارى على القراءة والتى غرست فىَّ حب العلم والاطلاع وبثت فى نفسى أسمى المبادئ الأخلاقية والسلوكية والدينية والتى حازت على جائزة الأم المثالية ثلاث مرات وكانت تستحقها بجدارة والتى تدين لها كل ذرة فى كيانى بكل الفضل فيما ، وصلت إليه الآن ، والتى كانت شعلة أضاءت لى الطريق ، ونبراسًا أهتدى به والتى بذرت أول بذور هذا هو باكورة طرحها وإنتاجها ، أهدى هذا الكتاب لها متمنية من الله تعالى أن يجعله فى ميزان حسناتها وحسناتى ، وأن يكون ثمرة شجرة عطائها المتجدد وأن يجزيها عنى خير الجزاء على ما قدمته من تضحيات ، إنه هو نعم المجيب.. آمين.

نرمين كحيلة

مقدمة

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير ، والسراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد

جاءت فكرة هذا الكتاب بناءً على رغبة كثير من القراء الذين نصحونى بتجميع ما كتبته من مقالات متفرقة فى العديد من الصحف الورقية والإلكترونية كى يستفيد بها أكبر عدد ممكن من الناس.. وبعد تفكير عميق واستخارة الله تعالى قررت إصدار هذا الكتاب بحول الله وتوفيقه. وهو فى المقام الأول إلهام من الله وفتح يمن به على عباده. فقد كانت لدىَّ مكتبة صغيرة أنشأتها بجهودى الذاتية منذ كنت طفلة وكنت أدخر مصروفى لأشترى به كتابًا لأنى كنت أفضل القراءة على الطعام والشراب فقد قال الإمام أحمد بن حنبل:"الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب فى اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه" . ولأننا أمة إقرأ فقد جاءت هذه المقالات كمحصلة لقراءاتى العديدة طوال السنوات الماضية التى شكلت فكرى ووجدانى ثم أضفت إليها وجهة نظرى الشخصية ومحاولة لفهم ديننا بأسلوب عصرى. وتطبيقه بطريقة واقعية على كافة مناحى حياتنا العصرية لأنه من الملاحظ أن هناك خلطًا فى المفاهيم بين الناس عن الإسلام كدين نظرى وتطبيقه بطريقة عملية على سلوك الناس ، فجاءت تلك المقالات لتصحح تلك المفاهيم المغلوطة وتوضح عظمة الإسلام وصلاحية تطبيقه فى كل زمان ومكان .. جاءت تلك المقالات نتيجة لمشاهداتى وملاحظاتى اليومية ولاقت استحسانًا كبيرًا من القراء .

وأخيراً أرجو الله تبارك وتعالى ألا يحرمنى من أجر كتابة كل كلمة أو جملة أو آية أو حرف من هذا الكتاب – الذى قصدت به وجهه الكريم- ويجعلها لى زاداً ينفعنى عند لقائه وينقذنى من ناره ومشعلاً يضئ قبرى ودافعاً لى لاجتياز الصراط فى يوم الحساب ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به " . وإنى لأرجو من الله عزو وجل أن يجعل هذا الكتاب علماً يُنتفَع به وأدعوه ،، ، أن ينفعنى بما علمنى . وأرجو أن أكون قد وفقت فيه وعلى الله قصد السبيل

والله أسأل أن ينتفع الناس بهذا الكتاب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

. والحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على محمد وآله وصحبه أجمعين

الكاتبة

الإسكندرية 15/11/2010

الفهرس

الحياء المنقرض

هل تعرفون الديناصور؟ ذلك الحيوان المنقرض الذى كان يعيش منذ زمن سحيق أيام الإنسان البدائى الأول!! لقد انقرض الحياء فى عصرنا الحالى تماماً مثل الديناصور..وإذا كانت أسباب انقراض الديناصور أن البيئة لم تعد تلائمه فإن أسباب انقراض الحياء هى أن البيئة الحالية أيضاً لم تعد تلائمه ؛ فالفضائيات بكل ما تعرضه من أفلام إباحية ومشاهد جنسية سافرة والفيديو كليب الذى يعرض أجساد عارية ليل نهار، والإنترنت بكل مواقعه الإباحية الفاضحة حولت الأطفال إلى رجال ونساء يعرفون كل شىء عن عالم الكبار، فإذا قارنا بين الأفلام القديمة والأفلام الحالية نجد أن الأولى كانت تلمح إلى المشهد الجنسى ولا تصرح به أما الآن فأصبحت المشاهد الجنسية صريحة وصارخة ، حتى الشوارع أصبحت تعج بمناظر تخدش الحياء دونما اعتراض من أحد ؛ فمثلاً ً المحلات التى تعرض الملابس الداخلية الحريمى على المانيكان فى الفترينات وأحياناً ً تكون المانيكان عارية فى انتظار أن يوضع عليها ملابس.. ورغم أنها مجرد تماثيل إلا أنها تصور النساء فى وضع لا يصح أن يراها عليه أحد ، فأين الحياء ؟ وهناك المصور الذى يعرض صور العرائس والعرسان تارة فى لقطة تصور العروس وهى تحتضن عريسها وتارة أخرة يقبلها العريس وغيرها من مشاهد أخرى لا يصح أن تحدث إلا فى حجرة النوم..انظروا إلى اللقطات التى كانت تصور أجدادنا مثلاً! هل تتذكرون كيف كانت ؟ إنها كانت تصور الزوج وهو يقف وزوجته إلى جوره تضع يدها على كتفه على استحياء أو العكس وهذا أقصى ما يمكن تصويره ، أما مشاهد القبلات والأحضان حتى بين الأزواج لم يكن أحد يجرؤ على تصويرها ، وقد يقول قائل: إن الزمن تطور والحياة اختلفت ، هذا صحيح ولكن الأخلاق والقيم لايجب أن تتغير ، يعنى مثلاً ً لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحيا بيننا الآن هل كان سيسمح بهذه المشاهد ؟ بل إن النبى نفسه هو وأصحابه لم يسمحوا لأحد أن يراهم وهم يداعبون زوجاتهم أو يقبلونهن أو...أو...فمثلا ًعثمان بن عفان رضى الله عنه كان مشهوراً ً بالحياء لدرجة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم ناصباً ً قدمه فلما دخل عليه عثمان "اعتدل فى جلسته ولما سئل عن ذلك قال:"كيف لا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة ؟

حياء الأنبياء:

وقد يقول قائل:"لا حياء فى الدين " وهذا خطأ شائع فالدين كله حياء والأصح أن نقول لا حرج فى العلم.. وإن الحياء للرجال والنساء على حد سواء فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء فى خدرها.. وكان سيدنا موسى عليه السلام حيياً ً؛ فعندما ذهب إلى مدين ، وجد امرأتان تذودان يعنى وجد فتاتان لا تستطيعان أن تسقيان أى تملآن دلوهما بماء البئر فدفعته الشهامة إلى أن يسألهما ، فقال لهما ما خطبكما ؟ أى ما حكايتكما ؟ فقالتا له :لا نسقى حتى يصدر الرعاء "وأن أباهما شيخ كبير - أى عجوز-" فلا يستطيع أن يملأ هو نيابة عنهما (وقد اتخذ البعض هذه الواقعة دليلا على عدم جوازعمل المرأة إلا فى الضرورة) وقد تزاحم الرجال على البئر فخجلت الفتاتان من أن تزاحما الرجال فتراجعتا قليلاً ً إلى الوراء..فتطوع سيدنا موسى أن يسقى هو لهما ثم "تولى إلى الظل"أى بعد أن أتمم مهمته تركهما ولم يطلب ثمن مساعدته لهما ، ثم عندما قصَّت الفتاة على أبيها القصة وحكت له شهامة ومروءة الرجل طلب منها أن تدعوه إلى البيت ليشكره فذهبت الفتاة وقالت له :"إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا "(القصص 25) فطلب منها النبى الكريم أن تمشى هى وراءه حتى لا يكشف عورتها أو يرى أى شئ منها ثم طلب منها أن تريه الطريق عن طريق الحصى تلقيه يمنة أو يسرة فيعلم الاتجاه الذى يسير فيه وهذا يدل على شدة حياء موسى عليه السلام فهو لم ينتهز الفرصة ليتعرف بالفتاتين ويصاحبهما ويأخذ منهما ميعاداً ًليقابلهما مرة أخرى كما يفعل الشبان فى هذه الأيام ، ثم أن الفتاتين أيضا حييتان حيث أن القرآن نفسه يصفهما بالحياء "فجاءته إحداهما تمشى على استحياء"(القصص 25). إن إحدى الفتاتين أحبت سيدنا موسى وأعجبت به وتمنت أن تتزوجه ولكنها استحت أن تصارحه بحبها له واستحت أيضاً ً أن تصارح أباها بهذا الحب واكتفت بأن قالت لأبيها:"يا أبتِ استأجره إن خير من استاجرت القوى الأمين"(القصص 26)..من أين علمت الفتاة أن موسى أميناً ً؟ من تأدبه معها أثناء المشى وعدم التفاته لها والنظر إلى جسدها ، ثم أن مقاييس حكم الفتاة على الشاب هى الأخلاق فهى لم تعجب به بسبب شكله أو وسامته أو تسريحة شعره ولكنها أعجبت به لأخلاقه العالية ، وبذكاء الأب عرف أن ابنته تحب هذا الرجل فلم ينهرها ويقول لها أنه عيب عليها أن تظهر إعجاباً ً برجل بل تفهم موقف ابنته واحترم مشاعرها وطلب من سيدنا موسى أن يتزوج ابنته ، ولم يقل له:"إن ابنتى تحبك وتريد أن تتزوجك" بل قال له بطريقة تعلى من شأن ابنته فى نظر موسى وتحفظ لها كرامتها:"إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين" (القصص 27) يعنى جعل الرغبة رغبته هو..هذا هو حياء النبى وحياء الفتاة وحياء الرجل الصالح (الذى هو فى بعض التفاسير سيدنا شعيب). فأين هذا من

فتاة اليوم التى تعرض حبها على الشاب دون أى خجل ثم تتزوجه عرفى دون علم أهلها..إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:"البكر تستأذن وأذنها صماتها" أى إن سكتت فهذا معناه الموافقة ولذلك قالوا السكوت علامة الرضا. وإذا رفضت نقرت الستر.. وكانت البكر عند العرب لابد أن تكون حيية لدرجة أنها لو صرحت بالموافقة اعتبروها زانية لشدة جرأتها.

وقد رأينا كيف أن السيدة خديجة رضى الله عنها كانت تحب النبى صلى الله عليه وسلم ولكن فى حياء وحينما أرادت أن تعرض عليه الزواج كان ذلك بطريقة لا تجرح كرامتها حيث أرسلت صديقتها نفيسة لكى تعرف من النبى مدى رغبته فى الارتباط بها فاتضح أن لديه نفس الرغبة ولكن فقره منعه من البوح بها فعرضت نفيسة الموضوع بطريقة ذكية جعلت النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى يبادر بطلب الزواج وذلك بسبب حياء السيدة خديجة الذى منعها من المصارحة بحبها للنبى صلى الله عليه وسلم. وهذا الزواج الذى بدأ بالحياء والعفاف والكرامة كان أنجح زواج عرفته قريش بل والبشرية كلها ، أما الزواج المبنى على الإباحية والوقاحة وعدم الحياء (مثل الزواج العرفى) فهو زواج فاشل بالطبع.

ومن صور عدم الحياء الملابس القصيرة والشفافة والضيقة التى تصف كل ملمح من ملامح الجسد والتى ترتديها معظم الفتيات الآن ، فقد كانت امرأة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يأتيها نوبات صرع فطلبت من النبى أن يدعو لها بالشفاء فقال لها:"أتصبرين ولك الجنة ؟" قالت:"نعم ولكن ادعو الله لى ألا اتكشف" فكل هم هذه المرأة ألا تتكشف أمام أحد وهذا قمة الحياء.

ومن صور عدم الحياء أيضا ً أن الزميل والزميلة فى العمل يتمازحان بطريقة فجة للغاية بالأيدى والألفاظ البذيئة.

ومن أشكال عدم الحياء تخصص الرجل فى أمراض النساء والتوليد حيث يسمح له هذا التخصص أن يطلع على عورات النساء بحجة أنه طبيب ، وقد يقول قائل أن الضرورات تبيح المحظورات وأن الطبيب لا ينظر إلى المرأة إلا على اعتبار أنها مريضة وليس فى ذهنه أى شئ آخر ولكن أليس الطبيب بشرًا؟ إذن احتمال الخطأ وارد فيجب أن نوقف تخصص الرجال فى هذا العلم من باب سد الذرائع طالما هناك نساء كثيرات تستطيع أن تقوم بتلك المهمة فالإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان بكل ما أوتى من غرائز وشهوات ، لا نستطيع فصل الطبيب عن إنسانيته أثناء الكشف. وهذا أيضًا ينطبق على الكوافير الذى يصفف شعر امرأة.

عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض؟ فأمرها كيف تغتسل قال: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا» قالت: كيف أتطهر قال: «تَطَهَّرِي بِهَا» قالت: كيف قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي» فاجتبذتُها إلي فقلت: تَتَبعي بها أثرَ الدم .

أى أن النبى صلى الله عليه وسلم احمر وجهه خجلا فانفردت بها ا لسيدة عائشة وشرحت لها.

وقد كانت النساء تأتى لعائشة فيعرضن عليها الكراسف ليعرفن متى يتطهرن فكانت تتولى هى شؤون النساء ، فتقول لهن:"لا تعجلن حتى ترين القَصَّة البيضاء". وهذا يدل على أن أمور النساء يجب أن يختص بها النساء وليس الرجال وكذلك الأمر فى أمراض النساء لابد أن يبتعد عنها الرجال.

إن من كلام النبوة الأولى:"إذا لم تستح فاصنع ما شئت" أما المثل الشعبى القائل:"اللى اختشوا ماتوا" فقد قيل فى بعض النسوة اللائى كن يسبحن فى حمام سباحة ويرتدين ملابس لا تستر شيئا ً من أجسادهن فلما دخل عليهن بعض الرجال استحت بعضهن فغطست برأسها فى الماء فماتت أما الأخريات فلم تستحِ فلم تغطس ولم تمت ولذلك قيل هذا المثل فى المرأة الحيية التى أدى بها الحياء إلى الموت. ولكننا لا نريد للحياء أن يموت بل نريد له أن يعيش ويطول عمره...

وكذلك أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بالتفريق فى المضاجع بين الأخت وأخيها بعد البلوغ ، فلا تنام معه فى سرير واحد، وذلك للحفاظ على الحياء بين أفراد الأسرة الواحدة ، كما جعل الاولاد يستأذنون على آبائهم عند الدخول عليهم.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِى الْمَضَاجِعِ ». أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني . أى يجب على الأب والأم أن يجعلا سريرًا مستقلا لكل من الولد والبنت.. ولو طبقنا هذا النظام سوف نحمى المجتمع من زنا المحارم.

قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين مَلَكتْ ايمانكم والذي ن لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناحٌ بعدهن طوّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم .. [النور:58-59]

أى واجب على الناس أن يستأذنوا إذا احتلموا , أحرارا كانوا أو عبيدا . وقال أبو إسحاق الفزاري : قلت للأوزاعي ما حد الطفل الذي يستأذن ؟ قال : أربع سنين , قال : لا يدخل على امرأة حتى يستأذن . وقال الزهري : أي يستأذن الرجل على أمه ; وفي هذا المعنى نزلت هذه الآية.. قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رباعيا فإنه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه فإذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال . وهكذا قال سعيد بن جبير وقال في قوله " كما استأذن الذين من قبلهم " يعني كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه .

ولما سمع رجل هذه الآي ة قال متعجبا:"يا رسول الله أأستأ ذن على أمى؟" فقال النبى النبى الكريم:"نعم ، أتحب أن تراها عريانة؟" يعنى الابن لا بد ان يستأذن قبل الدخول على أمه وأبيه حتى لا يراهما فى موقف لا يصح أن يراه وهذا قمة الحياء.

يقول الأستاذ الدكتور عبد الفتاح ادريس " : « وإنما يؤمر الصغار بالاستئذان على من يدخلون عليهم في هذه الاوقات الثلاثة ، لانها اوقات الخلوة التي يكون فيها التصرف، فقبل صلاة الفجر هو وقت القيام من المضاجع ، وطرح ثياب النوم ، و لبس ثياب اليقظة ، وربما يبيت ال إ

نسان عريانا أو على حال لا يحب أن يراه غيره فيها ، ووقت الظهيرة هو وقت التجرد من الثياب التي تلبس في النهار لشدة حر الظهيرة ، وذلك عند انتصاف النهار الذي هو وقت القيلولة ، وبعد صلاة العشاء هو وقت التجرد من الثياب والخلوة بالاهل ، فأمر الصبيّ بالاستئذان في هذه الاوقات الثلاثة على من يدخل عليهم ، حتى لا يرى شيئاً من حالهم يكرهه او يكرهون رؤيته لهم على هذه الحالة .

حتى القرآن نفسه حين يتكلم عن العلاقة الزوجية فإنه يتكلم عنها بحياء وأدب فيقول "أو لامستم النساء".. وهكذا.. أى بالكناية والتلميح وليس بالتصريح. والحياء هو خلق الإسلام ؛ لقول سيِّد الأنام عليه الصلاة والسلام : ((إنَّ لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياء)) ((موطأ مالك ، وسنن ابن ماجه))

وللحياء فضائل عديدة ، دلت سنة نبينا صلى الله عليه وسلم عليها ، فمن ذلك :

(أنه خيرٌ كلُّه ، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((الحياء لا يأتي إلا بخير ((أخرجاه في الصحيحين

وقال : ((الحياء كله خير)) ((صحيح مسلم))

((وهو من الأخلاق التي يحبها الله ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم :((إنَّ الله حيي سِتِّير يحب الستر والحياء)) ((سنن أبي داود والنسائي .

والحياء من الإيمان ، وكلما ازداد منه صاحبه ازداد إيمانه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ((الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)) ((أخرجاه في الصحيحين .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

استحيوا من الله حقّ الحياء) قالوا: يارسول الله إنا نستحيي من الله، والحمد لله)) .

قال : ليس ذلك ولكن من استحيا منَ اللهِ حقّ الحياء فْليحفظ الرأس وما وعى، ولْيحفظ البطن وما حوى ،ولْيذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرةَ ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)).

قال صلى الله عليه وسلم))الحياء والإيمان قُرَنَاء جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر ((صحيح الترغيب

و قد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه بذلك فقال :((إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين)) ((سنن أبي داود ، والترمذي ، وابن ماجه))

والبذاء ضد الحياء ، فهو جرأة في فُحشٍ

حتى الكفار أنفسهم كان عندهم حياء ، هل تعرفون لماذا وقف كفار قريش على باب النبى صلى الله عليه وسلم طوال الليل فى انتظار خروجه ولم يقتحموا منزله؟ حياءً من أن يهتكوا ستر امرأة.

وفي غزوة حنين تبع أبو موسى الأشعري أحد الكفار فولى هارباً ، فقال له أبو موسى رضي الله عنه :" ألا تستحي ؟! ألست عربياً ؟! ألا تثبت ؟!" فوقف وتقات لا فقتله أبو موسى . ((أخرجه مسلم))

وإن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت ترتدى الحجاب فى بيتها فلما سئلت عن ذلك قالت أنها تستحى من عمر بن الخطاب (الذى كان مدفونا بجوار النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها) رغم أنه ميت. والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها استحت ان يراها أحد بعد وفاتها وهى محمولة على الأعناق فاختارت نعشا أتت به من الحبشة حتى يستر جسدها كله.

رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم رجلا ً من الأنصار يعظ أخاه فى الحياء فقال له:"دعه فإن الحياء من الإيمان" ؛ أى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ً ينصح أخاه المسلم أن يقلل من حيائه فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم قائلا ً له أن الحياء صفة محمودة ينبغى أن يتحلى بها المؤمن وهى مطلوبة فى الرجل والمرأة على حد سواء. فهل نعود إلى الحياء ونتقرب به إلى الله باعتباره شعبة من شعب الإيمان أم أننا خلعنا ثوب الحياء إلى الأبد ؟

الموت أرخص

"ولع فى نفسك بنصف جنيه". هذه العبارة المضحكة المبكية انطلقت من فم بائع ولاعات متجول معلنًا عن سلعته.وقد استوقفتنى وتأملتها وحاولت تفسير مغزاها. فى البداية ضحكت حتى كادت ضحكتى أن تسمع المارَّة ثم قلت لنفسى سرًا:"ماذا يقصد هذا الرجل بهذه العبارة العجيبة ؟ هل يقصد مجرد الدعابة والمزاح لجذب الزبائن أم أنه يقصد شيئا ًآخر؟". أعتقد أن العبارة لها مغزى أعمق بكثير من مجرد المزاح إنها تعكس أوضاع المجتمع بشكل ساخر كما هى عادة المصريين دائمًا. إنه يقصد أنه فى ظل غلاء المعيشة ، وطوابيرالعيش ، والفقر، والظلم ، والديكتاتورية ، والفساد المستشرى فى كل مكان.....إلخ. أصبح الموت أو بمعنى أصح الانتحار هو الاختيار أو البديل الأفضل للمواطن المصرى ، ولكن لأن الموت هو أيضًا من الأشياء التى قد تكون باهظة الثمن لذا فإن هذا البائع يطمئن الناس إلى أن الموت الآن أصبح متوافرًا فى الأسواق وبسعر رخيص فى متناول أى مواطن. إنه لن يكلفه سوى نصف جنيه فقط ، بعدها تنتهى آلامه وأحزانه فى هذا العالم ويذهب إلى عالم آخر ليس فيه مكان للمحسوبية والوسائط والرشاوى. وأخذت أتخيل أنه فى القريب العاجل سيأتى اليوم الذى نقرأ فيه فى الجرائد إعلانات من شركات تضمن للمواطن أفضل وأسرع وأرخص وسيلة للموت حيث تقدم كل شركة أوكازيونات وتخفيضات هائلة خاصة إذا كان الانتحار للعائلة كلها بدلا من الفرد الواحد مما يشجع الناس على أن يحجزوا مقاعدهم من الآن فى العالم الآخر ، ثم يأتى الاتفاق بين أفراد الأسرة الواحدة أو بين الزوج وزوجته وأولاده على أن يكونوا معًا فى الآخرة كما كانوا معًا فى الدنيا عسى أن تكون حياتهم هناك أفضل ويتم ملأ استمارات بعدد الأشخاص الذين يريدون الانتحار والوقت الذى يرغبون أن يموتوا فيه ، ثم تعلق الحكومة لافتات فى كل مكان تكتب عليها بالخط العريض:"انتحار لكل مواطن"..وفى كل محافظة يتم كتابة جملة :"محافظة الاسكندرية مثلا ًأو القاهرة تتمنى لكم انتحارًا سعيدًا هادئا ".
وربما يكون هذا هو الشئ الوحيد الذى تنجح الحكومة فى التخطيط له ببراعة فأفضل حل لمشاكل المواطنين هو التخلص منهم ، وهو حل

عظيم أيضًا لمشكلة الانفجار السكانى ، فبدلا ًمن أن يسقط المواطن فى بلاعة مفتوحة فى الشارع ، أو يحترق قطار موديا ًبحياة ألف مواطن أو يسافر شباب إلى ليبيا وإيطاليا ويغرقون فى الطريق ، أو يُقتل المواطنون أثناء جهادهم المقدس فى طابورالعيش ، أو ينتحر أب لأنه لا يستطيع دفع مصاريف المدرسة لأولاده ، أو تنتحر أم لأنها لا تستطيع أن تعول أبناءها بعد وفاة والدهم أو ينتحر شاب تخرج فى كلية السياسة والاقتصاد وكان ترتيبه الأول لأن وزارة الخارجية رفضت تعيينه سفيرًا لأنه غيرلائق اجتماعيًا ، أو تموت عروس قبل زفافها بأسابيع قليلة فى مترو الأنفاق بسبب الاهمال...إلخ. كل هذه الطرق هى طرق عشوائية ترفضها دولتنا الموقرة لذا فقد وضعت نظامًا يقنن عملية الانتحار حتى نكون بحق دولة نظامية تحترم حق المواطن فى الانتحار.

هل تذكرون قصة سيدنا موسى عليه السلام الوارد ذكرها فى القرآن ؟ عندما وجد موسى رجلا من بنى إسرائيل يستغيث به ضد رجل مصرى يتشاجر معه فوكزه موسى فقضى عليه ، انظروا إلى موقف الفرعون إزاء مقتل رجل مصرى بسيط من عامة شعبه ، لقد أمر الفرعون بالبحث عن قاتل هذا المواطن المصرى فى كل مكان وتقديمه للعدالة والقصاص منه فجاء رجل لموسى ناصحًا إياه أن يهرب وقال له:"إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك".(القصص 20) وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الشعب المصرى بجميع فئاته له قيمة كبيرة وكرامة لدى الفرعون ، إنه مستعد أن يحارب وأن يسخر كل أجهزة الدولة من أجله.. بسبب مقتل مصرى واحد قامت الدنيا ولم تقعد واضطر موسى إلى الهرب لينجو من بطش الفرعون ، أما المصرى اليوم فليس له قيمة.. يُقتل كل يوم فلا يسأل عنه أحد. أليس هذا هو الفرعون الكافر الذى نلعنه صباح مساء ونحن نقرأ القرآن ؟ فماذا يفعل الآن رئيسنا المسلم لحفظ كرامة المصريين؟ إن الفرعون الكافر كان يعطى كل مواطن حقه كاملا من الخبز والدقيق والشعير والعدس والفول والبصل والثوم وكان الشعب المصرى فى رفاهية لا نشهدها نحن الآن فى ظل المجتمع الإسلامى ، كان المصرى يجد الوظيفة المناسبة فى قصر الفرعون بعد التخرج ويعفيه من الضرائب ولم يكن هناك بطالة ليس لقلة العدد ولكن لاهتمام الحكومة بالشعب والحرص على مصلحته. كان الفرعون يبنى مدينة سكنية تسمى المدينة الهرمية لموظفيه الذين يعملون فى الهرم وكل عامل يجد المسكن والمأكل والملبس والعلاج المجانى على نفقة الدولة.

ونعود إلى قصة موسى فنجد أنه فى اليوم التالى وجد نفس الرجل من بنى إسرائيل يتشاجر مع مصرى آخر ويستنجد به ، وبدون أن يستفهم موسى عليه السلام عما حدث ويحقق فى الأمر ليعلم من المخطئ ثم يحكم بينهما ، اندفع فى حماية الإسرائيلى والدفاع عنه لمجرد أنه من قومه رغم أنه كان هو المخطئ وكان يتشاجر كل يوم مع المصريين بالباطل فاليهودى هو اليهودى فى كل زمان ومكان. ولما تبين لموسى أنه اندفع دون روية فى نصرة الظالم على المظلوم استغفر الله وعاهده على ألا يكون بعد اليوم ظهيرًا للمجرمين. ونلاحظ تعاطف - ولا أريد أن أقول تحيز- سيدنا موسى الشديد مع قومه رغم سوء أخلاقهم فهو عندما تكلم عن المصريين قال: "ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم"(يونس 88) أما عندما يتكلم عن بنى إسرائيل فهو يطلب لهم الرحمة والمغفرة وعدم المؤاخذة."واختار موسى قومه سبعين رجلا ًلميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ...فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك". (الأعراف 155،156)

وذكرتنى ظاهرة انتحار المصريين فى عصرنا الحالى ببردية ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة من عصر الانتقال الأول وهو عصر سادت فيه الفوضى والفساد والانحلال الأخلاقى والاضطرابات السياسية والقلاقل بما يشبه هذا العصر وكأن التاريخ يعيد نفسه ، فما أشبه اليوم بالبارحة.هذه البردية عبارة عن حوار يائس من الحياة مع روحه يطلب منها أن تغادر جسده لأنه يريد الانتحار بسبب فساد العالم من حوله فيقول:"مع من أتحدث اليوم ؟ الإخوة صاروا أشرارًا وأصدقاء اليوم لا يعرفون للحب معنى ، إن رغبة التملك تملأ قلوب البشر ويحاول كل منهم الاستيلاء على خيرات جاره....إن لقاء الموت اليوم كالبرء بعد المرض....كالجالس تحت مظلة لينعم بالهواء العليل...كاشتهاء الإنسان العودة إلى ذويه". فهل أصبحنا فى عصر الموت فيه أرخص وأفضل من الحياة ؟

حق الكفر

عرضت قناة العربية الإخبارية منذ فترة طويلة فى برنامجها "محطات" قضية هامة ومثيرة وهى تنصير النمارك للمهاجرين إليها حيث ان وزارة التعليم هناك تفرض تدريس مادة التربية المسيحية لغير المسيحيين ويتم تسليم الطلاب كتاب عن قصة حياة المسح وصلبه ، ويرد ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب بصفته قائد وزعيم للمسلمين وليس نبيا ورسولا. والغريب فى الأمر أن الدنمارك هى الدولة الأوروبية الوحيدة غير العلمانية ؛ فدينها الرسمى كما ينص عليه الدستور هو االمسيحية ، وقد تمت استضافة رجل ملحد فى هذا البرنامج أقر بكفره وإلحاده علنا أمام شاشات التلفاز بل واعترض مستنكرا تدريس الدين المسيحى لابنه التلميذ بالمدرسة الابتدائية وقال أنه رفع دعوى قضائية أمام المحاكم الدولية ورفع شكوى إلى كل منظمات حقوق الإنسان فى العالم .. لكى يتم إلغاء تدريس هذه المادة لولده الذى أتى إليه ذات يوم مذعورًا لأنهم علموه بالمدرسة أن هناك نارًا تنتظر من لا يؤمن بالمسيح ، وأن هناك بعث وحساب بعد الموت وهذا يؤثر على نفسية طفله .. ويؤكد الرجل أنه متمسك بحقه فى الكفر لأن حق الكفر مكفول لكل مواطن .. وفى نفس الوقت تمت استضافة رجل مسلم وزوجته المسلمة اللذين شكيا نفس الشكوى بالنسبة لتدريس تلك المادة لطفلهما بالمدرسة موضحين أن ذلك يعد تنصيرًا إجباريًا للأطفال.

والمحزن فى الأمر أن تلك الأم المسلمة غير محجبة فهى لم تطبق شرع الله على نفسها وفى بيتها فكيف تطلب من غيرها احترام دينها ؟ وتلك هى آفتنا جميعًا ؛ فنحن- المسلمون - لم ننصر ديننل ولا نبينا فى بيوتنا أولا بالسير على منهجه وبالتالى تقاعسنا عن نصرته أمام العالم .. أما هذا الرجل الكافر فقد حارب بمنتهى الشراسة للدفاع عن قضيته الباطلة الفاسدة وهى الكفر !! فلو أننا ندافع عن ديننا بمثل هذا الحماس لما وصلنا لهذا الانحطاط والذل والهوان .. إننا فاشلون حتى فى عرض قضيتنا أمام المحافل الدولية ؛ فعندما يأتى السائح إلى بلادنا يخرج منها وهو سعيد لأنه قد تعلم الرقص الشرقى على أيدى نخبة ممتازة من الراقصين المصريين ، وشرب الخمر المعتق المنعش ، وغنى أغانى أم كلثوم وعبد الوهاب ، فلماذا لا ننتهز هذه الفرصة وتطبع وزارة السياحة كتيبات صغيرة عن الإسلام تسلم للسائح مجانا مع تذكرة دخول

المتاحف والمناطق السياحية ، ويتم تعليق لافتات فى الأماكن التى يرتادها السياح عن الإسلام وعظمته ورسوله الكريم .. وبهذه الطريقة البسيطة نكون قد دافعنا عن ديننا ونبينا صلى الله عليه وسلم ونقف فى وجه الهجمة الشرسة عن الإسلام والمسلمين ، والإعلام الغربى الفاسد المضلل الذى يظهر المسلم بصفته إرهابى.

وفى نفس البرنامج استضافت القناة شاب مسلم جزائرى أعلن اعتناقه النصرانية .. وقد سألته المذيعة عن سبب تحوله من الإسلام للمسيحية فأجاب أنه وجد الحب والاحتواء فى دين المسيح الذى هو أب لجميع المسيحيين ، وأنها هو شخصيًا يعتبر المسيح أبًا له ويناديه بكلمة أبى. ومن المؤسف أن وراء تنصير هذا الشاب وغيره من المسلمين الجزائريين هى منظمة مسيحية جنبية ترصد ملايين الدولارات لحملة تنصير واسعة فى الدول العربية ، وتستهدف المسلمين خاصة. وقد نجحت هذه المنظمة فى تنصير عدد كبير جدًا من المسلمين بلغ عشرة آلاف مسلم فى الجزائر وحدها. ساعتها فقط كادت دمعة كبيرة تسقط على خدى وقلت لنفسى سرًا:"أين رئيس الجزائر من هذه المؤامرة ؟" وتذكرت أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو يحارب حروب الردة من أجل إعادة المسلمين المرتدين إلى حظيرة الإسلام. إنه لم يقبل منهم أن يمتنعوا عن أداء الزكاة فكيف بنا الآن وقد خرج المسلمون عن الملة وتحولوا إلى دين آخر؟! أخشى ما أخشاه أن نأتى يوم القيامة ونقابل النبى صلى الله عليه وسلم فلا نستطيع أن ننظر إليه خجلا لأننا تخاذلنا عن نصرته.

جنة الدنيا

كنت كلما قرأت آيات القرآن الكريم التى تصف الجنة وما فيها أسأل نفسى: لماذا اختار الله سبحانه وتعالى الحدائق والشجر والأنهار لتكون جزاء ومكافأة المؤمنين ولكنى علمت الإجابة حين ذهبت إلى هذه الرحلة الممتعة والتى أريدكم أن تصحبونى فيها .. فقد استقليت مركباً شراعياً إلى جزيرة النباتات بأسوان ، فهى وسيلة المواصلات الوحيدة ، كان المشهد رائعاً، والقارب يخترق عباب النيل والسماء الزرقاء من فوقنا ، ساعتها فقط تذكرت آية الله تعالى فى أن تسير السفن بكل ما تحمل من أثقال فوق الماء ولا يستطيع دبوس واحد أو مسمار أن يطفو فوقه ، ولذلك قال الله تعالى:"ألم ترَ أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته" (لقمان :31) "وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون"(يس :36) "ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" (فاطر :35) "الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره" (الجاثية :45).

ولم أملك إلا أن أسبح الله طوال فترة سير المركب ، حتى وصلنا إلى الحديقة النباتية ، وهى تقع على جزيرة فى وسط النيل أمام مدينة أسوان ، وتضم مجموعة نادرة من النباتات الاستوائية وشبه الاستوائية ولذا فهى تعتبر من أهم المراكز البحثية فى مصر وواحدة من أندر الحدائق النباتية فى العالم. ومشيت فى طريق مبلط بجرانيت أسوان الوردى وهو يميز كل مشاياتها ، ويظلل هذا الطريق على جانبيه النخيل الملوكى بلونه الأبيض الرخامى وقد رأيت أعلى النخل وهو يتساقط على الأرض - أو هو فى طريقه إلى السقوط - فقيل لى أن هذه النخلة لا تحتاج إلى تقليم بل هى تقلم نفسها بنفسها بطريقة ربانية وعندما يسقط أحد أجزائها العلوية فإنه يحدث صوتاً يشبه صوت التصفيق ، ربما لكى تنذر من يجلس تحتها حتى يغادر المكان أو ربما لبكاء النخلة على جزء منها فارقها.. ورأيت متحف الأحياء النباتية داخل الحديقة ، وكان رائعاً هو الآخر.

وفى أثناء سيرى داخل الحديقة سمعت صوتاً عجاباً لم أسمعه من قبل ولما سألت عن هذا الصوت قيل لى إنه صوت طائرأبى قردان فقلت على الفور:"صديق الفلاح؟". ولم يسعنى إلا أن أضحك لهذا الصوت ، إن صوته يشبه صوت الإنسان وهو يقول لا لا.. وحاولت صديقتى تصوير ذلك الطائر وتتبعه بآلة تصويرها لكن الأشجار كانت أغصانها متشابكة وغزيرة فحالت دون رؤيته ، ولكنه عندما نزل إلى الأرض أصبح مرئياً.

ونظراً لموقع الحديقة المتميز وهدوئها فإنها تعتبر مرتعاً لكثير من الطيور المهاجرة والمحلية فقد رأينا مثلاً الهدهد وذكرنى ذلك بسيدنا سليمان عليه السلام وكيف كان يفهم لغته وأحببت هذا الطائر لأنه ورد بالقرآن الكريم ، ثم هو طائر إيجابى لم يرضَ أن يشرَك بالله فى أرض سبأ ، كم هو جميل ويدل شكله على الألفة والطيبة والمودة ! وأطلت النظر إليه وأنا أسبح الله.

ورأيت الغراب بلونه الأسود يمشى على الأرض ، وتذكرت أن الناس يتشاءمون منه ، ربما لشكله ولونه ، بل وصوته المنكر الذى يبعث على الحزن ، فقلت:"سبحان الله طائران متجاوران فى حديقة واحدة أحدهما أبيض جميل والآخر أسود كئيب!!" وكانت هذه فرصة عظيمة لممارسة عبادة من أحب العبادات إلى قلبى وهى عبادة التفكر فى خلق الله. ورأيت اليمام والبلبل والعصفور، وكانت أصوات الطيور المختلفة تتشابك وتختلط فى وقت واحد فتعزف سيمفونية رائعة من الأنغام يعجز بيتهوفن أو باخ عن الإتيان بمثلها.

ورأيت شجرة تسمى الشجرة الفضية لأن أوراقها عجيبة الشكل إذا أمسَكْت إحدى أوراقها تجدها خضراء وإذا قلبت الورقة من الجهة الأخرى تجدها فضية ، فتعجبت وتذكرت اسم الله البديع فقد أبدع فى الخلق. وقد رأيت ثمرة عجيبة لم أرَ مثلها من قبل وقيل لى أنها فاكهة استوائية لا تباع فى الأسواق اسمها:"أوجينيا" ، لونها أحمر كالفراولة وطعمها شهى جداً ، وذكرنى هذا بالجنة التى وعد الله المتقين بأن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأن فاكهتها لا مقطوعة ولا ممنوعة وأن بعضها لا نعرفه فى الدنيا. وتأملت عظمة الخالق إذا كان قد أبدع صنع هذه الحديقة الدنيوية الممتلئة بأشياء لم نسمع عنها ولم نرها من قبل فما بال الجنة الأخروية إذن ؟! وشعرت بأن هذه هى أحسن جائزة أعدها الله لعباده الطائعين حيث قال عنها أنها الفوز العظيم. وتخيلت نفسى وإذا بى قد قامت القيامة ودخلت جنتى مع الطائعين وأخذت أطوف بين جنباتها كما أفعل الآن ، ودعوت الله أن يجعلنى من أهلها.

ورأيت شجرة ثمارها لها طعم البرتقال وشكل البامية واسمها :"برتقالة بامية". وشجرة أخرى اسمها "عين الخروف" لأن ثمارها تشبه عين الخروف تماماً. ورأيت شجرة القرفة والمستكة وجرحت الشجرة بقلمي فأفرزت سائلا هو المستكة فشممت رائحتها فوجدتها زكية جداً، فجعلت أمسح على ملابسي.. ورأيت شجرة الأراك التي يستخرج منها السواك وكم بلغ حزني حين علمت أن الناس في الأعياد يأتون إلى الحديقة ويتسلقون الشجرة ويجلسون فوقها ليلتقطوا صورة حتى انكسرت الشجرة ومالت ، فقلت:"كيف يجرؤ إنسان على تشويه ذلك الجمال؟".

ورأيت شجرة ذيل السمكة وثمارها تشبه ذيل السمكة فعلاً. ورأيت شجرة عجيبة أوراقها على شكل رئة الإنسان ، وشجرة أخرى أوراقها خضراء مخططة باللون الأصفر ، وأخرى أوراقها خضراء وبها نقط صفراء ، وأخرى أوراقها لها جهة حمراء قانية والناحية الثانية لونها أخضر. وقلت:"لو أن إنساناً رسم ولون هذه الأوراق والأشجار لأخطأ في توزيع الألوان لكن الله جل وعلا قد أحسن وأتقن كل شئ خلقه وجعل نسب كل الألوان والرسومات بحكمة بالغة ، أليس عجيباً أن هناك من ينكر وجود الله بعد كل ما رأى ؟ وتذكرت قوله تعالى:"هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه". إن الله يتحدى أن يأتي أعظم رسام أو فنان تشكيلي أو نحات بمثل تلك الروعة والجمال !!

نقابة المتسولين

روى لي محصل بترام الرمل كيف أن طفلته أصيبت بمرض خطير استلزم عملية تكلفتها آلاف الجنيهات ، بينما هو لا يستطيع تحمل نفقاتها ، فلجأ إلى نقابته فخذلته ، فاضطر بعد أن تنتهي ساعات عمله الرسمية في وزارة النقل والمواصلات أن يجلس في الشارع هو وابنته للتسول قائلاً:أن التسول مهنة شريفة ، وهي خير له من أن ينهب أو يسرق..ولو صح كلام هذا الرجل فإن ذلك معناه أنه سوف يأتي في القريب العاجل اليوم الذي تنشأ فيه نقابة للمتسولين بعد زيادة عددهم ، تحمي حقوقهم ، وترعى شؤونهم ، ومصالحهم ، وسيصبح لكل عضو كارنيه عضوية ، وترخيص بمزاولة المهنة ، واعتراف رسمي من الدولة بالتسول كمهنة مثل باقي المهن..وسيكون بإمكان أي مواطن أن يعمل في الصباح مهندسًا أو طبيًا أو محاميًا وفي المساء متسولاً لزيادة دخله..وينشأ نادي للمتسولين من كافة المهن المختلفة يتم فيه مناقشة مشاكلهم وكيفية حلولها.وسوف تتقدم الحكومة باعتذار رسمي لكل مواطن متسول سبق وأن منعته من التسول ، على اعتبار أن ذلك هو الحل الأمثل لمشاكل المواطنين محدودي الدخل ، وسوف تتبع الحكومة سياسة: كل مواطن يحل مشاكله بنفسه ، هي الحكومة حتعمل إيه ولا إيه ؟ ويتم انتخاب نقيبًا للمتسولين يختارونه من بينهم.

مجنون سياسي

في الماضي كان هناك مسجون سياسي ، دخل السجن أو اعتُقِلَ بتهمة سياسية بسبب معارضته للحكومة أو النظام ، وسواء كان ذلك عن طريق مظاهرة قام بها أو رأي عبر عنه في صحيفة ، أو توزيع منشورات أو تحريض على قلب نظام الحكم..أما الآن فأصبح هناك ما يعرف بالمجنون السياسي بدلاً من المسجون السياسي ، فعندما لم يجد المواطن المصري قوت يومه ، ولا ما ينفق به على أولاده ، وفي ظل معيشة اقتصادية واجتماعية متدنية ، وفي الوقت نفسه هو محروم من الاعتراض أو التعبير عن رأيه بصراحة ، لم يجد أمامه إلا أن يفقد عقله ، ثم يهيم في الشوارع يعبر عن رأيه في حكومته وحكامه بمنتهى الحرية ، وساعتها لن يستطيع أحد حبسه أو اعتقاله ، بل أقصى ما يمكن فعله هو إيداعه في مستشفى الأمراض العقلية ، وعندما يكثر عدد المجانين سياسيًا سوف تنشئ لهم الحكومة مستشفى خاص تسميه:"مستشفى الأمراض السياسية" وتقوم بإنشاء أقسامًا مختلفة طبقاً لحالتهم ، فمثلاً يكون هناك عنبر لضحايا الرئيس ، ويكون هناك عنبر آخر لضحايا رئيس الوزراء ، ويكون هناك عنبر ثالث لضحايا الخصخصة وعنبر لضحايا وزير الزراعة أو الصناعة أو الثقافة....إلخ. ويتم التبرع لهذا المستشفى من جميع الجهات السياسية التي أدت بهم إلى هذه الحالة ، ويكتب على قميص كل مجنون من الأمام:"جعلوني مجنوناً"ثم يكتب من الخلف:"الضحية رقم كذا" . تخيلت ذلك وأنا أستمع إلى صراخ أحد الأشخاص الهائمين على وجوههم في الشارع حيث أخذ يخاطب الرئيس والوزراء ويوجه لهم نداءات بصوت مسموع ثم ينظر إلى السماء ويشتكي إلى الله ، ويحكي للناس مظلمته.

الخبز العراقي

هو مخبز كُتِبَ على واجهته:"مخبز بغداد للخبز العراقي". كان هذا كفيلاً بأن يجعلني أدخل لأكتشف أن جميع العاملين فيه عراقيين يتكلمون اللهجة العراقية ، نزحوا من العراق بعد الاحتلال ، ورغم الألم والحزن الذي يعتصرهم مازالت لديهم القدرة على العطاء وإطعام الناس الخبز ، اشتريت بعض الأرغفة وأنا أتحسر على ما جرى لبغداد ، كان بودي الاعتذار لهم على تخاذلنا عن نصرتهم..أحسست أن الخبز العراقي لم يصنع من دقيق القمح بل صنع من دماء وأرواح الشهداء العراقيين ، وخلط وعجن بآلامهم وأحزانهم. كان وجود المخبز وسط المساكن والمحلات شاهدًا على مأساة تشريد شعب ونهب أرض..أما العنوان الذي كتب على واجهته فكان دليلا على أن سقوط بغداد حاضرة الخلافة العباسية لم ينه كيانها وعزتها ووجودها ، وتذكيرًا بحضارة من أعظم حضارات العالم.

رحلة نيلية

قفزت في رأسي فكرة أن أركب سفينة تمخر بي عباب النهر ذاهبة إلى القناطر الخيرية لأشاهد نيلنا الخالد وركبتُ الأوتوبيس النهري وبمجرد أن تحرك بدأ كل راكب من ركاب السفينة يرمي بقايا الطعام في سلة المهملات الكبيرة التي أحاطت بنا من كل جانب أتدرون ماهي هذه السلة؟ إنها نهر النيل الذي هو نهر من أنهار الجنة والذي يشرب منه ملايين المصريين فحوقلت وقلت: إن هذا النهر كان أجدادنا المصريون القدماء يعبدونه ويسمونه الإله "حابي" لأنه مصدر الخير بالنسبة لهم ولم يكن مسموحاً لأي أحد أن يرمي فيه قشة واحدة فقد كان هذا الفعل يعتبر جريمة شنعاء يعاقب عليها القانون والدين عقاباً صارماً بل إنه كان من بين الأشياء التي يعترف بها الميت أمام إلهه بعد الموت ليدخل الجنة ويزحزح عن النار هو قوله: "أنا لم ألوث ماء النيل" فكان عدم تلويث مياه النيل أحد الشروط لدخول الجنة. أما الآن فالنيل مستباح للجميع.

النيل الذي كان ملهمًا للأدباء والشعراء والفنانين والمطربين ليتغنوا بسحره وجماله..أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعبد الحليم حافظ ، أصبح

الآن يعانى الإهمال وعدم النظافة ومصدرًا للتلوث !! إن هذه خيانة عظمى لأجدادنا المصريين القدماء الذين سلموا لنا النيل طاهرًا، صافيًا ، نظيفًا..حافظوا عليه بكل الوسائل من أجل الأجيال القادمة. وتصورت لو أن الفرعون استيقظ من قبره الآن ورأى فتاة أو فتى يرمى القمامة فى النيل لأصدر على الفور مرسومًا ملكيًا بقطع يدها ويده ؛ فما من نهر فى الدنيا قامت بينه وبين الناس الذين يعيشون عليه علاقة حميمة كنهر النيل ، هذه العلاقة الغريبة بين الناس والنهر، كانت ذات طابع حضارى رفيع..هو الوفاء المتبادل ..وفاء من النهر إلى الناس ..ووفاء من الناس إلى النهر؛ فكان فيضان النيل كل عام هو المعنى الذى تجلت فيه فكرة الوفاء: وفاء من النيل بوعده فى نشر الخير العميم فى ربوع الوادى ، وبأنه قادم بالمياه التى تروى ظمأ الأرض وظمأ الناس وبالطمى الذى يخصب الأرض ويمنحها المزيد من القوة والقدرة على العطاء ، وكان

على المصريين أن يظهروا بدورهم وفاءهم للنهر الذى جاء لهم بكل هذه الخيرات فكانوا يقيمون الاحتفالات مبتهجين وأسموها عيد وفاء النيل ، فقد علمهم النيل الزراعة والاتحاد فى مواجهة خطر الفيضانات وكل العلوم التى تقدموا وبرعوا فيها كانت بسبب النيل ، وزادت حسرتى وتنهدت تنهيدة كبيرة وأنا أسمع فى أذنى الأغانى التى تتغزل فيه:

يا تبر سائل بين شطين ياحلو يا أسمر لولا سمارك جوة العين ما كانت تنور

وأيضًا: من أى عهد فى القرى تتدفق ؟ هذا النيل لو تكلم لاشتكى من أفعالنا ولو كانت له إرادة لاختار أن يتوقف عن إمدادنا بالماء ولطلب أن ينتقل لبلد آخر أكثر احترامًا له.

وأحسست أننا لو لم نصُن هذه الهبة الكبرى من الله فسوف نستحق أن تزول منا وأن دول المنبع لو منعت عنا مياه النهر فسوف يكون ذلك "جزاءً وفاقا لسوء استخدامنا له وتذكرت مقولة النبى صلى الله عليه وسلم:"يا عائشة أحسنى جوار نعم الله فإنها ما نفدت من قوم فعادت إليهم.

معظم عادات المجتمع المصرى أصلها إما يهودى وإما وثنى

بعد مرور عشرات السنين على دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة لنا أن نسأل هل تحررت المرأة فعلا؟ للأسف إن الإجابة: لا. فبالرغم من أن المرأة الآن مديرة وسفيرة ووزيرة إلا أنها مازالت تعيش فى نفس المجتمع الذكورى الذى يعطى الأولوية للرجل ويعتبرها مخلوق من الدرجة الثانية, فالقضية إذن لا يجب أن تنحصر فى كيفية جعل المرأة قاضية ومفتية فهذا لن يضيف للمرأة شيئا, بل الأهم من ذلك هو كيف نغير نظرة المجتمع للمرأة؟ فعندما خلق الله آدم وحواء لم يخلقهما متساويان فى الأدوار والوظائف بل خلقهما متساويان فى القيمة. ولقد أعطى الإسلام للمرأة الكثير من الحقوق إلا أن كثيرا من العادات والتقاليد الوثنية العقيمة تسللت إلى المجتمع المصرى سواء بحسن نية عن طريق اليهود الذين دخلوا الإسلام أو بسوء نية عن طريق اليهود الذين يتربصون بالإسلام. يقول الإمام الغزالى رحمه الله: "إن تقاليد المسلمين فى معاملة النساء لا تستند إلى كتاب ولا سنة". وسنتعرض فى هذا المقال ل بعض العادات التى تسيطر على مجتمعاتنا العربية والإسلامية, والتى لا تمت بصلة إلى تعاليم الإسلام الحنيف.

نظرة المجتمع للمطلقة:

تعتبر المطلقة فى نظر المجتمع بضاعة غير رائجة يجب أن تباع فى السوق بسعر أقل من البكر وكأنها شيء مستهلك أو تالف أو مستعمل دون النظر لآدميتها، والأم تصاب بفزع حين يخبرها ابنها أنه سيتزوج مطلقة.. ويذكرنا هذا بفيلم جعلونى مجرما حيث لم ينس المجتمع لفريد شوقى (أو سلطان فى الفيلم) أنه خريج إصلاحية, وتم على إثر ذلك إلغاء السابقة الأولى حتى لا يظل شبحها يطارد مرتكبها مدى الحياة. وما أحوجنا إلى إصدار قانون يتم فيه إلغاء سابقة الزواج الأولى للمطلقة حتى لا تظل معرة فى جبينها طوال حياتها؛ فالمجتمع لا يفرق بين المطلقة والعاهرة.. كلاهما يأنف الرجل من الزواج بهما وهذا الاعتقاد بعيد تماما عن الفكر الإسلامى والعربى فالرسول صلى الله عليه وسلم كانت كل زوجاته ثيبات ما عدا السيدة عائشة رضى الله عنها، بل إن أولى زوجاته وهى السيدة خديجة رضى الله عنها كانت تكبره بخمسة عشر عاما وتزوجت قبله مرتين ولها أولاد وهو شاب يافع فى مقتبل حياته ولم يسبق له الزواج؛ فعندما عرض الفكرة على أعمامه وعماته لم يعترض أحد بحجة أنها مطلقة ولها أولاد بل بالعكس لاقى هذا الزواج ترحيبا شديدا من الجميع وكان ذلك قبل أن تأتيه النبوة يعنى قبل الإسلام، وعندما جاء الإسلام ثبَّت هذه الفكرة, فكان الصحابى يتزوج هذه ويطلقها فيتزوجها غيره دون أى حرج. إذن فمن أين جاءت هذه النظرة المتدنية للمطلقة؟ الإجابة ببساطة تكمن فى أن ذلك هو اعتقاد يهودى, فقد ورد فى سفر (التثنية إصحاح 24 فقرة 2-4): "ومتى خرجت من بيته وصارت لرجل آخر، فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته، أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود ليأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست". وعلى هذا فالشريعة اليهودية تحرم على الرجل أن يتزوج بمطلقة متى اقترنت برجل آخر، ولا أدرى كيف يحكم على المرأة بالنجاسة لمجرد تزوجها شرعا برجل جديد بعد مطلقها الأول؟ وانتقلت فكرة نجاسة المرأة المطلقة من الفكر اليهودى إلى الفكر الإسلامى.

وليست الشريعة المسيحية بأحسن حالا من الشريعة اليهودية فى نظرتها للمطلقة, حيث تعتبر أن زواج الرجل من مطلقة يعتبر زنا لأنه أصلا غير مسموح بالطلاق, وبالتالى إذا حصلت المرأة المسيحية على الطلاق فهى فى نظر الشريعة المسيحية مازالت متزوجة وإذا تزوجت بآخر فهى زانية؛ فقد ورد فى (إنجيل متى إصحاح 5 فقرة 32): "وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى".

والنظرة إلى الأرملة:

وليست الأرملة بأحسن حالا من المطلقة فقد كان العرب فى العصر الجاهلى يفرضون على الأرملة حدادا يستمر عاما كاملا، تخضع خلاله لقيود قاسية مصدرها الاعتقاد بأنها تحمل شيئا غير قليل من نجاسة موت زوجها، وأنها لكى تتطهر من هذه النجاسة لابد أن تقضى مدة سنة كاملة بعيدة عن المجتمع. ونجاسة الميت موجودة فى الشريعة اليهودية أيضا؛ فهذه العادة الوثنية القبيحة انتقلت إلى المصريين فكثير من

الرجال يتشاءمون من الأرملة ويهابون الزواج منها، ويرى بدو سيناء ان كل مل يتصل بزفاف الأرملة يعتبر نذير نحس وشؤم لا يليق بالكرام والأشراف من الرجال المشاركة فيه؛ فلمدة ثلاثين يوما لا يأكل الزوج شيئا من مؤونة زوجته أو يستعمل أيا من أوانيها عند تناول الطعام, وهذا ليس له أى سند شرعى فى الإسلام, فقد روى أن امرأة تزوجت أربعة من الصحابة استشهدوا جميعا فى غزوات ضد الكفار ولم يتشاءم منها أحد بل وقف رجل فى ساحة مكة يقول: "من سره أن يستشهد فى سبيل الله ويدخل الجنة فليتزوج هذه المرأة".

فضح الأنثى ليلة زفافها:

وهناك عادة قبيحة أخرى انتقلت إلى الفكر الإسلامى, فبعد انتهاء الزفاف تصعد الأم أو الخالة إلى حجرة العريس والعروس, ثم تنزل بعد قليل وبيدها منديل أبيض ملطخ بالدماء, وسط عاصفة من الزغاريد حيث تدور به على كل المدعوين والأهل والأقارب الذين وقفوا فى انتظار إثبات عفة وطهارة ابنتهم ثم يجلسون ويغنون أغنية: "قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى" دليل على ارتياح قلبه واطمئنانه من جهة ابنته.. هذه العادة السخيفة كانت منتشرة فى معظم قرى ونجوع مصر إلى وقت قريب, وربما ما زالت موجودة ولكن على نطاق أضيق. وهذه العادة الإسلام برىء منها تماما فهو يسمو بالعلاقة الزوجية ويجعل لها من الحرمة ما تقدر به سرا خاصا بالزوجين، لا دخل لأحد فيه مهما قربت صلته بالزوجين، أو قرابته لهما، ولذلك فإن الأدب

الإسلامى الرفيع أن يترك هذا الأمر للزوجين يعالجانه بالأسلوب الذى يتفق مع رفق الإسلام وسموه، وفى الوقت الذى يتناسب معهما. إن مثل هذه العملية كفيلة بأن تعقد نفسية الزوجة وتملأ قلبها رعبا ونفورا من الزواج وكراهية للزوج، وزهدا فى الحياة الزوجية التى تبدأ بمثل هذه الهمجية البعيدة عن تعاليم الإسلام؛ فمن الناحية الطبية يذكر الأطباء أن هذا يعد تلويثا وأحد أسباب انتشار الأمراض والميكروبات خاصة وأنه يتم بصورة غير طبيعية وإن هذا يدل على جهل شديد لأن طبيعة الفتيات تختلف من واحدة لأخرى وكثيرا ما يؤدى ذلك إلى إدانة العفيفات وتبرئة الفاجرات.

فمن أين أتت فكرة إثبات الشرف هذه؟ لنقرأ التوراة (الإصحاح 22 من سفر التثنية فقرة 13- 17): "إذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها ونسب إليها أسباب كلام وأشاع عنها اسما رديا وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة. يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذريتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب ويقول أبو الفتاة للشيوخ أعطيت هذا الرجل ابنتى زوجة فأبغضها. وها هو قد جعل أسباب كلام قائلا لم أجد لبنتك عذرة وهذه علامة عذرة ابنتى ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة".

المرأة العاقر:

أما نظرة المجتمع للعاقر فحدث ولا حرج, إذ أن المجتمع المصرى معروف منذ أيام الفراعنة بحبه للإنجاب, والمرأة فى الريف على وجه الخصوص تستمد سبب وجودها من كونها مصدرا للنسل؛ فإذا تبين أنها غير قادرة على الإنجاب شعرت وأشعرها من حولها بأنها عديمة الفائدة، وهناك مثل شعبى يقول أن المرأة إذا لم تنجب تحرم عليها لقمتها يعنى خسارة فيها الأكل، وهذا يدل على أن اعتقاد الناس أن المرأة مهمتها الوحيدة فى الحياة هى الإنجاب ويلقون بالمسئولية كلها على كاهل الزوجة. إذ ليس من المستساغ عندهم أن ينسبوا إلى الرجل ما يشكك فى رجولته، وهذا شىء غريب على المجتمع المصرى إذ أن قدماء المصريين كانوا يحملون الرجل أيضا مسئولية عدم الإنجاب وعبر قائلهم عن ذلك فى رسالة قال فيها لثرى عقيم: "أما بعد، فما هذه الحال السيئة التى أنت فيها؟.. إنك لست رجلا, فأنت لم تعمل على تعشير زوجتك شأن عشيرتك". وتبدأ السيدات ذوات الخبرة والتجارب فى تفهيم العروسين وأهلهما أن عدم الحمل لابد أن يكون راجعا لأعمال سحرية قام بها الحاسدون وأنه يجب السعى لدى العرافين والسحرة لفك هذه الأعمال. وهناك إجراءات كثيرة ومتعددة تُنصح بها الزوجة العقيم أو التى تأخر حملها بممارستها لكى تحمل. ومن هذه الإجراءات مثلا أن تخطو فوق سلحفاة، أو فوق رأس حمار ميت، أو رأس ضبع ميت، أو تعبر سكة حديدية (من أجل أن تصيبها خضة تفك عقدتها) أو تخطو فوق نار مشتعلة سبع مرات، أو تخطو فوق جثة قتيل. وعندما يتبين للزوج أن زوجته عاقر فى أغلب الأحوال يطلقها ويلقى بها دون مأوى أو شىء تتكسب منه معيشتها كأنها منديل ورقى تم إلقائه فى سلة المهملات بعد استعماله، ولا تعطى المرأة نفس هذا الحق إذا كان زوجها عاقرا, بل يطلب المجتمع منها أن تتحمل ما بقى لها من عمرها وإلا كانت قليلة الأصل وهذا هو ما تفعله الشريعة اليهودية حيث من حق الرجل أن يطلق امرأته العاقر. وليس لها عنده أية حقوق ولا نفقة؛ بينما نرى فى سورة الطلاق أن الرجل مأمور بأن يتقى الله فى مطلقته حيث وردت خمس مرات فى السورة.

العصمة للزوجة:

أيضا نظرة المجتمع لمن بيدها العصمة على أن ذلك ينتقص من رجولة زوجها هى نظرة خاطئة تسىء إلى المرأة؛ فقد أعطى الإسلام المرأة حق تطليق نفسها من الرجل أى تفويض أو توكيل نفسها نيابة عنه فى التطليق منه. وهناك نماذج كثيرة لنساء فعلن ذلك فى صدر الإسلام وفى العصور الإسلامية التالية.. أما الشريعة اليهودية فتعتبر أن المرأة جزء من الثروة، دفع الرجل فى سبيل الحصول عليها مهرا وفى مقابله استأثر بها واصبحت ملكا خالصا له لا تستطيع أن تطلب الطلاق مطلقا.

الزانى والزانية:

و من صور اضطهاد المرأة أيضا نظرة المجتمع إلى الزانية إلى حد قتلها فى بعض الأحيان بينما يعيش الزانى حرا طليقا يتمتع بحياته ولا يطلب أحد قتله, بل حتى لا يتم توجيه اللوم إليه, فالبنت دائما هى المخطئة وهى المسئولة, وقد فعلت جريمة نكراء, أما الولد فلا شىء عليه, ولا يصل الأمر معه إلى حد وصفه بأنه جريمة أو فاحشة, بل يكتفى المجتمع بوصف مهذب خالى من أى لوم وعتاب, فيصفون زنا الرجل بأنه شقاوة, وبعض الأسر تشجع أبناءها الذكورعلى ذلك الفعل المشين, بل ويتباهون به فى كافة المحافل بحجة أن ابنهم كبر ومن حقه أن يثبت رجولته. بينما لا تعطى البنت نفس الحق, إذن الفعل نفسه ليس مستقبحا وإنما المشكلة تكمن فى نتائجه, فما دام الولد لا يظهر عليه أية أعراض فلا يهم فليفعل ما يشاء, أما البنت فلأنها تظهر عليها أعراض الحمل فليتم إيقافها, رغم أن الله سبحانه وتعالى ساوى بين الرجل والمرأة فى هذا الأمر حيث قال فى كتابه الكريم:(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (النور: 2) فهل قال الله أن عقاب الزانى يجب أن يخفف إلى نصف عقاب الزانية مثلا؟ أم هل قال أنه يجب أن تأخذنا رأفة أثناء جلد الزانى لأنه معذور أما الزانية فلا تأخذنا بها رأفة لأنها مدانة؟ أم حكم على الاثنين بنفس العقوبة لأنهما شريكان متساويان فى الجريمة؟ بل إن الرجل فى أغلب الأحيان يكون هو البادىء بغواية المرأة وتحريضها على ارتكاب تلك الجريمة, ولأن المرأة بطبعها ضعيفة أمام الكلام المعسول والحب فإنها تقع فريسة فى شباك الرجل.. حتى عندما أمر الله المؤمنين بغض البصر أمر الاثنين معا الرجل والمرأة ولم يخص المرأة بذلك, وعندما أمر بحفظ الفرج أمرهما معا مقدما بذلك الوقاية والعلاج الأمثل لتلك الجريمة. وعندما ذهب رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: "ائذن لى بالزنا يا رسول الله. هل قال له الرسول: تفضل يا رجل ازنى كما شئت ما دمت رجلا أم قال له: "أترضاه لأمك؟ قال لا قال أترضاه لأختك؟ قال لا قال أترضاه لابنتك؟ قال لا. فأقنعه بالحجة والمنطق أنه طالما لا يرضى هذا الشىء لأهل بيته فكيف يرضاه لبنات الناس الذين يغارون على شرفهم أيضا؟ ولنأخذ مثلا بسيدنا يوسف عليه السلام فإنه لم يكن ملاكا بل بشرا له أحاسيس ومشاعر ورغبات فامتنع رغم كل المغريات وهذا يدل على أن الرجل غير مسموح له وغير معذور إذا فعل ذلك. فلماذا يتم إدانة الفتاة وحدها دون الفتى.

إن أحد السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله رب العالمين. فإذا كان ذلك فى غير استطاعة الرجل ما كان الله ليطلب منه فوق طاقته ولقد قال الله فى كتابه الحكيم: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ).

إذن فمن أين أتينا بهذه النظرة المتدنية للزانية دون الزانى؟ إن ذلك ناتج عن اعتقاد وثنى عرفه البابليون والآشوريون واليهود على حد سواء وهو أن الزنا من جانب الرجل ليس ممنوعا ولكن الممنوع هو زناه مع امرأة متزوجة حيث أنه يعتبر تعديا على ممتلكات الغير.

المرأة الحائض:

أما فكرة المجتمع المصرى عن المرأة الحائض فإنها منافية تماما للإسلام حيث يعتبرها العامة نجسة وما يخرج منها هو دم فاسد, وكثير من الأزواج يأنفون من زوجاتم فى تلك الفترة رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجالس السيدة عائشة ويؤاكلها ويقبلها وينام معها فى فراش واحد وهى حائض, حتى أنه كان يطلب منها أن تشرب من الإناء ثم يشرب من نفس المكان الذى لامس فمها تاكيدا لها بأنه لا يشمئز منها ولتلقين الأزواج درسا هو: لا تبتعدوا عن زوجاتكم فى تلك الفترة ولا تشعروهن أنهن منبوذات ومكروهات. وقد تسلل ذلك الاعتقاد الخاطىء من الفكر اليهودى إلى الفكر الإسلامى حيث تقول التوراة: "ولا تقترب إلى امرأة فى نجاسة طمثها.." (لاويين 22:18) وفى تلك الفترة يعتزل الزوج اليهودى زوجته ولا يأكل من يدها ولا يجالسها, وتظل فى عزلة داخل حجرتها وفى بيت آخر إن أمكن حتى تنتهى وتعود لطبيعتها..

تأخر سن الزواج:

أما نظرة المجتمع للفتاة التى تأخر زواجها فهى نظرة قاسية, فيظل المجتمع يلاحقها بالاتهامات والشائعات وتحصل على لقب رسمى يظل لصيقا لها وهو لقب عانس ويعتبرها الرجال صيدا ثمينا مثلها مثل المطلقة والأرملة بينما لا يحصل الرجل على ذلك اللقب ولا يطاله ما يطالها من لوم وتقريع, وكذلك الأمر بالنسبة للمطلق والأرمل. وهذا نجده فى الشريعة اليهودية حيث تعتبر أن الزواج فرض على كل إسرائيلى وأن الأعزب يرتكب جريمة لا تقل عن جريمة القتل لأن عدم الزواج سبيل لإطفاء نور الرب. كما تعتبر اليهودية أن من يمتنع عن الزواج يأثم ويجعل الله يبتعد عن إسرائيل وأن الذى يعيش دون زواج حتى سن العشرين يكون ملعونا من الرب. أما فى الإسلام فالزواج سنة وليس فرضا وهو مستحب وليس إجباريا.

تفضيل الولد على البنت فى الإنجاب:

ومن بين اضطهاد المجتمع المصرى للمرأة تفضيل الولد على البنت وهذا يتضح جليا فى الأمثال الشعبية: "لما قالوا ده ولد انشد ظهرى وانسند، لما قالوا دى بنية انهدت الحيطة على". وأن الذى لاينجب ذكورا لا يعتبر نفسه قد أنجب، كما يتضح ذلك أيضا فى الخوف الشديد على الطفل الذكر من الحسد مما يجعل الأم تخفى جنس المولود وفى بعض الأحيان ترشى القابلة للاحتفاظ بجنس المولود سرا وإذا أعطيت مبلغا كافيا من المال سوف توافق على إيهام أهل القرية بأن الطفل أنثى, ومنذ الصغر ينشأ الطفل على أن يتسلط على أخته ولو كانت أكبر منه فله سلطة الأمر والنهى وعليها طاعة أخيها الأصغر منها. ويشجع الأخ على ضرب وتأديب أخته منذ الصغر وتتعلم بدورها طاعته وخدمة وتلبية طلباته. وهذا بعيد كل البعد عن الإسلام فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة ترغب فى إنجاب الإناث مثل "خيركم من بكر بالأنثى" فالمرأة مكرمة فى كل مراحلها وهناك حديث آخر يقول: "من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخلنه الجنة". أما هذه العادة الذميمة فقد انتقلت من العصر الجاهلى حيث كان العرب يفضلون كثيرا المولود الذكر على الأنثى. فقد وصف القرآن الكريم ما يحس به العربى من مرارة وأسى عندما تولد له أنثى. فقد قال الله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ{58} يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ{59}). (النحل.

كما أن الرجل إذا أنجبت له زوجته البنات يطلقها أو يتزوج عليها من تنجب له الذكور على الرغم من أن الرجل هو المسئول عن تحديد جنس الجنين. هذا الاعتقاد الخاطىء مازال سائدا رغم أن البنات فى هذا العصر يفعلن أكثر مما يفعل الرجال. فهناك بنات تعُلن أسرهن وتفيد مجتمعاتهن فى كل المجالات بينما هناك رجال لا عمل لهم سوى الجلوس على المقاهى وليس لهم أية فائدة.

خروج آدم من الجنة

أما فكرة أن حواء هى المسؤولة عن خروج آدم من الجنة فهى فكرة خاطئة تمامًا فكل الآيات التى وردت بالقرآن الكريم تحمل آدم وحده مسؤولية خروجه من الجنة ، بل إن الله طلب منه وحده أن يتوب عن فعلته لأنه هو المخطئ وليست حواء فهو قد سبقها إلى الوجود وأكثر

منها خبرة فى الحياة وأعقل منها فكان يجب ألا ينخدع بوسوسة الشيطان حتى وإن انخدعت هى فقد قال الله تعالى:"فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عيه إنه هو التواب الرحيم" (البقرة 37) ، "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزمًا" (طه 115) ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" (طه 122). ففكرة تحميل حواء مسؤولية الخروج من الجنة هى فكرة يهودية حيث يعتقد اليهود أن المرأة هى أصل كل الشرور فى العالم وأنها أشد من الشيطان فى الغواية وأن الله عاقبها على غواية آدم بأن تحمل وتلد بالألم وأن يسود الرجل عليها"وقال (الله) للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك" (تكوين 16).

زواج الأخ من أرملة أخيه:

أما عادة زواج الأخ من زوجة أخيه بعد وفاته فهى منتشرة فى الريف المصرى, وهى إجبارية حتى لو لم يرغب الأخ أو زوجة أخيه فى ذلك بدعوى الشهامة والمروءة ورعاية أبناء الأخ المتوفى وهذا ليس من الدين فى شيء ومن الممكن رعاية زوجة الأخ بدون زواج ولكن هذه العادة مأخوذة حرفيا من الديانة اليهودية فقد ذكرت التوراة: "إذا سكن إخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجى بأن يقيم لأخيه اسما فى إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه وتصرخ وتقول هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه فيدعى اسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل" (تثنية 5-10).

وأخيرا وبعد أن غرقت مجتمعاتنا فى ظلمات الأفكار العقيمة المستوردة من اليهودية والوثنية أما آن لنا أن نعود إلى تقاليدنا الإسلامية الجميلة؟

حق الحيوان فى الإسلام

مسكين هو الحيوان فى عصرنا الحالى فهو يعانى من أفعال البشر، فهناك القطة التى انتزعوا منها أولادها وحرموها من عاطفة الأمومة التى هى من أولى الدوافع والغرائز عند الحيوان. وهناك الكلب الذى يدوسه شاب مستهتر بسيارته فتظل جثته طريحة الشارع لا تجد من يدفنها.. وهذا الحمار صاحبه يضربه ليل نهار ويلهب جسده النحيل بسوطه القاسى.. وهذا الولد يشد ذيل قطة تسير فى الشارع وهى تصرخ وتئن.. وهذا الكلب يجرون وراءه ويرجمونه بالحجارة. إن هذه الأفعال وغيرها لا يقبلها الإسلام، فلقد أُمِرنا نحن المسلمون بالرفق بالحيوان، فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يحمل فى كمه قطيطة صغيرة ولذا فقد سمى بأبى هريرة لشدة التصاقه بالهرة وعطفه عليها.

خلق النبى مع الحيوان:

وذات يوم كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه فجاءت هرة ونامت فوق عباءته ولما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوم من مجلسه قطع عباءته حتى لا يزعجها. وكلنا يعرف المرأة التى دخلت النار فى هرة لأنها حبستها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض ولم تطعمها حتى ماتت. قد يقول قائل: هذا سبب تافه لدخول النار فكم يساوى هذا الحيوان عند الله ليحرق بسببه ويعذب فى النار؟ نقول له: إن الفكرة ليست فى قيمة وأهمية هذا الحيوان أو ذاك, ولكن الفكرة فى الرحمة التى ينبغى أن تملأ قلب المسلم لأنك إذا رحمت حيوانا ضعيفا لا حول له ولا قوة سترحم من هو أعظم وأقوى منه، سترحم والديك، سترحم أولادك.

هذه الرحمة التى اشتق منها الله اسمين من أسمائه الحسنى فهو الرحمن وهو الرحيم.. هذه الرحمة هى التى جعلت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث الشريف: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته". وللسبب نفسه جعل الله للذبح طريقة لا تؤلم المذبوح وهى قطع شرايين العنق, أو بمعنى أصح قطع الأوداج التى هى الحلقوم والمرئ.

يقول العلماء أن هذه الطريقة تؤدى إلى عدم إحساس الحيوان بالألم أثناء خروج الروح، وقد يتساءل البعض فلماذا إذن يترنح المذبوح يمنة ويسرة بعد ذبحه؟ يجيبنا العلماء أن الشرايين عندما تقطع يتدفق الدم فيرسل القلب رسالة إلى المخ طالبا منه أن يمده بالدم فيرسل له المخ مزيدا من الدماء فتتحرك الذبيحة بهذا الشكل نتيجة التدفق السريع للدم.. ومن آداب الذبح ألا يقوم الجزار بذبح حيوان أمام حيوان آخر حتى لا يفزعه, وأن لا يريه السكين التى سيذبحه به. وقد أثبتت الدراسات فعلا أن الحيوان الذى يذبح بغير الطريقة الإسلامية يؤثر ذلك فى ملمس لحمه وطعمه وشكله, حيث تفرز غدة الأدرينالين عند الخوف ما يعكر صفو اللحم ومذاقه..

الإمام الشافعى والفراشة:

روى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه رؤى بعد وفاته فى رؤيا وهو يقف بين يدى ربه عز وجل يسأله فقال له: أتعلم لماذا أدخلتك الجنة؟ قال الشافعى : لعل ذلك بسبب اشتغالى بالعلم والفقه أربعين سنة، فقال الله: لا. قال الشافعى: لعل ذلك بسبب حسن خلقى وعبادتى لك. قال الله: لا، بل لأنك ذات يوم كنت جالسا تكتب وأمامك الدواة والمحبرة فجاءت فراشة فسقطت على المداد (الحبر) وشربت منه فتركتها حتى شربت فارتوت ثم طارت فبرحمتك لها رَحِمْتك..

يالله الشافعى بجلال قدره وفقهه وعلمه لم يشفع له عند الله إلا فراشة ضعيفة! وهذا الرجل الذى كان يمشى فى الصحراء فوجد كلبا يلهث من العطش فنزل البئر وملأ خفيه بالماء ثم أمسكه بفيه حتى سقى الكلب فشكر الله له فغفر له وأدخله الجنة. قال الصحابة: أو أن لنا فى البهائم أجرا؟ أى وإن لنا فى سقى البهائم والإحسان إليها أجرا؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: فى كل ذات كبد رطبة صدقة (أجر). أى فى إرواء كل ذى كبد حية من حيوان أو إنسان أجر حاصل.

وباستعراض هذه الحالة نرى أن الرجل قد تحمل مشقات بالغة وبذل جهدا كبيرا؛ فمن هذه المشقات أنه نزل إلى البئر من غير طريق ممهد، وعرض خفه للتلف بجعل الماء فيه وأمسكه بفمه وكل ذلك من أجل رعاية كلب ضال لا يوجد صاحبه بجواره ولا يطلع أحد على صنيع ذلك

الرجل إلا الله..

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فقد كان رحمة للعالمين وأقرب مثال لذلك أنه عندما ذهب لفتح مكة بصحبة جيش الصحابة وجد فى الطريق كلبة ترضع صغارها فظهر الفزع عليها فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتحويل مسار الجيش كله بعيدا عن الكلبة حتى لا يفزعها ويروعها..

يحكى أن جملا أتى للنبى صلى الله عليه وسلم يشكو أن أصحابه يحملونه ما لا يطيق ثم بكى، فربت النبى عليه وأوصى أصحابه به فقالوا له: والله لنريحنه من العمل الشاق إكراما لك يا رسول الله..

هدهد سليمان:

إن الحيوان يحس ويفهم وليس أدل على ذلك من هدهد سليمان عليه السلام الذى راح يستكشف قوم بلقيس وعرف اسم المدينة التى ذهب إليها, فمن أخبر الهدهد أن هذه المدينة اسمها سبأ بل إنه قيم الموقف كله من وجهة نظر سليمة وعرف أن هذه المرأة هى الملكة, وأن هؤلاء شعبها وفهم حديثهم واستنكر أنهم يشركون بالله. . ليس هذا فحسب بل إنه وقف مجادلا سيدنا سليمان عليه السلام وتفاخر بأنه يعلم مالا يعلمه فقال:"أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ".

إذن الحيوان يعرف أسماء الأشخاص والأماكن ويستطيع تقييم الأحداث والتعليق عليها، وكذلك النملة أضعف مخلوق على وجه البسيطة تأمر قومها بدخول مساكنهم خشية أن تدوسهم أقدام سيدنا سليمان وجنوده ويكون لديها بعد نظر فى تقييم الموقف والتماس العذر لسيدنا سليمان وهذا يذكرنا بالحديث القائل: " لولا أطفال رضع وشيوخ ركع وبهائم رتع لأمر الله الأرض أن تنخسف بالناس", ومعنى هذا أننا مرحومين ببركة هذه الحيوانات فهى تسمع ما لا نسمع وترى مالا نرى وتشعر بالزلازل والبراكين والكوارث قبل وقوعها فمثلا الكلب يشعر بموت صاحبه قبل أن يموت بأسبوع

فيصوم عن الطعام حزنا عليه، والأفيال تشعر بدنو أجلها وتختار المكان الذى تذهب إليه لتموت هناك.. كما أننا نتعلم من الحيوان كما حدث مع قابيل عندما أرسل الله له الغراب ليعلمه كيف يدفن أخاه.

موقف شخصى:

أذكر أننى كنت أقتنى ديكا ودجاجة وكنت ألحظ قصة الحب التى تربط بينهما, وعندما ذبحنا الدجاجة ظل الديك وحيدا بعد أن فقد وليفته فانقطع عن الطعام تماما, وأخذ يذوى ويذبل ثم انزوى فى أحد الأركان ورقد على جنبه, كأنه يتذكر لحظات السعادة التى كانت تجمعه بوليفته وذكرياتهما الجميلة معا, وأخذت أرقب لحظات احتضاره حتى أسلم الروح إلى بارئها وحزنت حزنا شديدا ليس لموته, ولكن لأنى فرقت بينه وبين من يحب فكانت أنظاره تتجه إلىَّ كأنها تلومنى على تلك القسوة، ومن يومها عاهدت نفسى ألا أكررها ثانية فمن لا يَرحَم لا يُرحَم.. إنها الرحمة يا سادة فارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء.

إنسان للبيع ورحم للإيجار

فيما مضى كان هناك سوقاً للنخاسة يعرض فيها الإنسان للبيع ذكرًا كان أو أنثى طفل أو شاب أو عجوز؛ فيتم الإعلان عن محاسن الجارية وأن لها صوتاً ساحراً رخيمًا يأخذ بالألباب وأنها تقرض الشعر وتغنى وترقص وتجيد كذا وكذا....إلخ. أما هذا العبد فقوى أمين يستطيع حمل الأثقال وكذا وكذا....إلخ. وكان الإنسان يباع لأعلى سعر فى مزاد علنى. وعلى الرغم من أن هذا السلوك غير إنسانى وغير آدمى ولا يتفق مع الهدف الذى خلقه الله من أجله فقد كرمه الله على سائر المخلوقات ونزهه عن أن يكون سلعة تباع وتشترى أو أن يمتلكه أحد غير خالقه لذا فقد حاول الإسلام تجفيف كل المنابع والروافد التى تؤدى إلى الرق فجعل كفارة معظم الذنوب تحرير رقبة ، إلى أن انتهى تماماً هذا النظام العقيم..إلا أن هناك فى القرن الواحد والعشرين حناجر ترتفع بالصياح أو لنقل بالنباح تنادى ببيع الإنسان بصورة أبشع وأفظع بكثير من الصورة القديمة التى طالما استقبحناها واشمأززنا منها. فبعدما كان الإنسان يباع جملة واحدة أصبح يباع قطاعى أى بالقطعة – إذا استخدمنا أسلوب التجار- فهذا يريد قلب وذاك يريد كبد وثالث يريد كلى....وهكذا أصبح الإنسان المكرم عند الله تعالى بنص الآية: "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم" (الإسراء 17) أصبح مجرد بهيمة أوعجل يتم ذبحه وتشفيته وأصبحت المستشفيات مجرد سلخانة او محل جزارة .. ولا نستبعد اليوم الذى تعرض فيه جثة الإنسان بعد ذبحه فى محلات الجزارة ويتم تعليقه على باب المحل مثله مثل البهائم ثم يكتب الثمن على ظهر كل قطعة ويأتى المريض الذى يعانى من فشل كلوى مثلاً فيطلب من الجزار كلية آدمية ويسأله عن ثمنها فيقول له بكذا ثم يغلف له القطعة التى طلبها فى ورقة فيأخذها المشترى ويذهب إلى الطبيب الذى يقوم بعملية نقل الكلية إليه.

لقد أدى تطورالعلم والتكنولوجيا والطب إلى كفر الإنسان وتحديه المرض والموت وقاده غروره إلى حد اقتطاع أوصال غيره ليعيش هو بصرف النظرعن مشروعية هذا الفعل وهل هو أخلاقى وإنسانى أم لا ؟ كان الإنسان قديماً يسلم بإرادة الله -عزوجل- إذا كتب عليه الموت. أما إنسان اليوم فيرفض الموت بشدة ويحاول التغلب عليه بشتى الوسائل حتى لو كانت غير أخلاقية ومخالفة للشريعة.

ولقد كانت قضية بيع عضو من أعضاء جسد الإنسان أو التبرع به مثار جدل كبير بين العلماء والأطباء بين مؤيد ومعارض ، فعلماء الإسلام يؤكدون : أن بيع عضو من أعضاء جسد الإنسان محرم شرعاً ولا يجوز وبعضهم يقول: أن البيع حرام والتبرع جائز ولكن الأطباء بنظرة الرحمة يؤكدون على أن نقل عضو من جسد إنسان ميت إلى جسد إنسان مريض لإنقاذ حياته هو من الأعمال الإنسانية الجليلة.

وحينما سئل الشيخ الشعراوى عن ذلك قال: إن المالك الحقيقى لجسد الإنسان هو الله عزوجل وأنه حينما يتم نقل عضو إلى جسد الإنسان فإنه يرفضه إذن معنى ذلك أن طبيعة جسم الإنسان ترفض هذا العضو ولابد من ربط هذا العضو كل أسبوع بما لا يقوى عليه فرد ولا عائلة وبعد

ذلك يظل عاجزاً عن الحركة ؟!! أما مسألة أن هذا عمل إنسانى نبيل فهذا ليس صحيحاً إذ أن الله سبحانه وتعالى خلق لنا عينين وكليتين وكبدا ً واحداً لماذا اثنان ولماذا واحد ؟! لماذا خلق الله للإنسان كليتين ؟! هل لأن كلية تخدم نصف الجسم ، والأخرى تخدم النصف الآخر ؟! لا ، الكلية الواحدة تخدم الجسم كله. إذن لماذا خلق الله لنا كليتين ولم يكتف بواحدة ؟! هذا معناه أنه إذا عطلت كلية فإن الأخرى تعمل بدلاً منها.. يعنى معناها استعداد لإحداهما إذا تعطلت الأخرى. ثم يواصل الشيخ الشعراوى كلامه فيقول: افرض أنك تبرعت بكلية والأخرى تعطلت ، هل هذا يشكل جناية أم لا ؟ ولكنها جناية مؤجلة بعض الشئ.

ولقد أخطأ المفتى خطأً كبيراً فى قوله أن بيع الأعضاء حرام وزراعتها حلال ؛ فما الفرق بين البيع والتبرع ؟ الفرق فى الملكية فى الاثنين إن أحدهما بمال والأخرى من غير مال فعليك أولاً أن تثبت الملكية ثم بعد ذلك تقول تتبرع أو لا تتبرع..هل هو يملكها؟ ما هو حكم الله فى إنسان انتحر؟ حكمه أنه كافر..إذن لو كان يملك ذاته لا يقول له أحد شيئاً..إذن لا يملك أحد من ذاته شيئاً، إنما يملكها ربى فالذى لا يملك الذات كلية فلا يملك الأجزاء الجزئية ؛ فهناك شئ يخلقه الله لك لتنتفع به ولا تملكه. ذاتك تنتفع بها ولا تملكها. يقول تعالى:" أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون" (يس 36) فلكى ننتفع بها و نبيعها و نشتريها وقال عن أعضاء الإنسان:"أمَّن يملك السمع والأبصار"(يونس 10).فهذه انتفاع فقط لا ملكية...فما دامت ليست ملكاً فلا نبيع ولا نتبرع..لقد ظلوا يبحثون ولكن أخيراً عملوا قانوناً للأطباء يمنع ذلك إلا فى القرابة الأولى بعد أن أصبح الإنسان يقطع ويباع ويوضع فى الثلاجة!!

والغريب أن كلام الشيخ الشعراوى عندما لم يوافق هوى فى نفوس بعض المنتفعين والمستفيدين من هذه التجارة القبيحة قالوا أن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة وأن هذا الرأى هو من هفوات الشعراوى. انظروا إلى أى مدى وصل تغليب المصالح على شرع الله ؟

فى أوروبا تجد فى كل مكان تذهب إليه بطاقة تبرع بأعضائك بعد وفاتك فإذا كنت تريد ذلك فلتكتب بياناتك فى البطاقة وتوقع بالموافقة. ولكن لأنهم ليس لديهم دين أو شرع أو أخلاق تمنعهم من ذلك فهم لا يجرمون هذا الفعل بل يعتبرونه عمل من أعمال الخير ولكن أنسب رد على هؤلاء القوم أو من يسيرون على خطاهم فى بلادنا هو أن الله جلت حكمته قد حرم الأرض على أجساد الأنبياء والصالحين بمعنى أن الله أكرم عباده وخاصته بحفظ أجسادهم بعد مماتهم حيث لا يأكلها الدود ولا تبلى ولا تكون لقمة سائغة لحشرات الأرض وهوامها. فقد روى عن أوس أنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"...إن صلاتكم معروضة على قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْت ؟ (أى بليت) فقال:إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام". أخرجه أبو داود السجستانى فى كتاب السنن ، والإمام أحمد والنسائى وابن ماجة والدارمى والبيهقى. وكذلك لا تأكل الأرض أجساد الشهداء لكونهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وثبت فى الصحيح أن عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو الأنصاريين دفنا فى قبر واحد يوم أحد فحسر السيل قبرهما فحفروا عليهما لينقلا إلى مكان آخر فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فكانوا يرفعون يده عن الجرح فترجع كما كانت وذلك بعد ست وأربعين سنة من وقعة أحد. وكذلك المؤذن المحتسب وهو من يؤذن حسبة لله تعالى ، ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى لا طلباً للمال والدنيا ، روى مرفوعاً "المؤذن المحتسب كالشهيد المتشخط فى دمه ، وإن مات لا يدوِّد (بكسر الواو المشددة أى لا يأكله الدود) فى قبره". رواه الطبرانى عن ابن عمرو بن العاص. وكذلك قارئ القرآن المحتسب أى بدون أجر وكان ملازماً لتلاوته عاملاً بما فيه ومعظماً له فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا مات حامل القرآن أوحى الله إلى الأرض ألا تأكل لحمه فتقول الأرض:أى رب وكيف آكل لحمه وكلامك فى جوفه".

وبعد ،، فإن كل هذه الأحاديث تدل على أن من علامات تكريم الله لعباده الصالحين هو الاحتفاظ بأجسادهم سليمة فكيف نأتى نحن ونقطعها إرباً للتوزيع منها على المحتاجين ؟ فهذا يخالف حرمة الموتى حيث أن الميت له حرمة بمجرد وفاته يصبح جسده كله عورة لا يجب أن ينظر إليه أحد لذلك تتم تغطيته بالكامل وعندما يوارى الثرى يحرم على أى أحد نبش قبره. إن هذا يعد اختلاطاً فى الأنساب إذ كيف تكون الأعضاء الخارجية لشخص والأعضاء الداخلية لشخص آخر؟ هل أصبح للإنسان قطع غيار مثل السيارة ؟ تعالوا نتصورأننا نقف أمام جسد أحمد مثلا ًوقلب إسماعيل وكبد مصطفى أليس هذا اختلاطاً مذموماً فمع من نتكلم ؟ إننا بهذا الشكل نتكلم مع ثلاثة أشخاص لا شخص واحد. وقد أدى ذلك إلى سرقة الأطفال وقتلهم وبيعهم بالقطعة فى سوق النخاسة وأحياناً يدخل مريض المستشفى فيتم سرقة أحد أعضائه لأن مريضاً آخر يحتاجها ، وبذلك فقد فتحنا الباب على مصراعيه لتجارة هى من أخبث وأحط أنواع التجارة ، تجارة الجسم البشرى.

أما تأجير الأرحام الذى كان إلى وقت قريب محرم فى بلادنا وكان لا يوجد إلا فى الدول الأجنبية فقد أصبح هو الآخر جائزاً وهذه كارثة أخرى فإن الأرحام لها شريعة تحكمها تستحل بكلمة الله وقانونه السماوى وليس من حق أحد استئجارها أو رهنها أو بيعها. وهذا يؤدى إلى اختلاط الأنساب أيضاً الذى من أجله حُرِّم الزنا فالأم التى يؤخذ منها النطفة لتوضع فى رحم آخر سوف يأخذ منها المولود أشياء كثيرة فلمن ينسب هذا الولد للأم الحقيقية أم للأم المأجورة ؟ إن هذا إهانة للمرأة ما بعدها إهانة ثم إن مَنْى الرجل الذى دخل رحمها دون زواج يعد زنا يقينا ً. وأذكر فى هذا الصدد قصة لامرأة أوروبية استأجرت رحم امرأة أخرى لأن رحمها كان لا يقوى على حمل الجنين واتفقت معها على مبلغ من المال وبعد التسعة أشهررفضت الأم الأجيرة إعطاء الأم الحقيقية ابنها وقالت لها أنها حملته تسعة أشهروأعطته من غذاء جسدها وتعلقت به وأحبته وتنازعت المرأتان على الطفل. فإلى متى سيستمرالعبث والمتاجرة بشرع الله وناموسه فى الكون ؟ لابد من وقف هذه المهزلة قبل أن تنحدر بلادنا إلى منعطف لا يمكن الخروج منه بعد أن تاجرنا فى الأخلاق والدين وكل شئ.

سيدة نساء العالمين

كلما قرأت سورة مريم توقفت عندها وتعجبت لهؤلاء الذين ما زالوا يرون أن الولد أفضل من البنت حيث أن هذه الأفضلية ليست لها حيثية معتبرة ؛ ففى كثير من الأحيان تفوق البنت الولد علماً وأدباً وديناً وخلقاً...وهذا ليس رأي شخصى مبنى على التعصب لبنات جنسى ولكنه حقيقة واقعة أثبتها الله تعالى فى كتابه العزيزفهيا بنا نتأمل ذلك المعنى الراقى الجميل فى سورة مريم وآل عمران حيث بدأت القصة الخالدة:

أولاً: يذكر ربنا عزوجل اصطفائه لعائلة عمران حيث قال:"إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين". (آل عمران 33) ويفرد لتلك العائلة سورة كاملة تسمى باسمها حيث يذكر ابن كثير فى تفسيره أن الله تعالى اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض.

ثانياً: يتحدث الله جل وعلا عن أحد نساء هذه العائلة وهى امرأة عمران:"إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم".(آل عمران 35)..يقول ابن كثير أن امرأة عمران هذه هى أم مريم عليهما السلام وهى "حنة بنت فاقوذ". قال محمد بن إسحق":وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوماً طائراً يزق فرخه فاشتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محرراً أى خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس ، إنك سميع لدعائى عليم بنيتى. وقيل أنها كانت قد رزقت بنتاً ولكنها رغبت فى ابن فنذرت لئن رزقت ذكراً لتجعلنه فى خدمة الهيكل. والقارئ لهذه الآية الكريمة يستطيع أن يستشف أن أم مريم كانت ترغب فى مولود ذكر – وإن كانت لم تذكر ذلك صراحة – لأن خدمة الهيكل كانت وقفاً على الذكور دون الإناث. ولكنها حين وضعت المولود اكتشفت أنه أنثى وكانت هذه مفاجأة غير سارة لها ؛ لأنها تريد تنفيذ نذرها لله...واليهود هم أشد الأقوام عداءً للمرأة وهذا يتمثل فى توراتهم التى تغص بكراهية شديدة للمرأة واتهامها بأنها أصل كل الشرور فى العالم ؛ فاليهودى يصلى كل يوم صلاة شكر لله أن لم يخلقه أنثى ، وبالتالى فقد استبعدوها من كل المناصب وخصوصاً الدينية لأن المرأة فى الديانة المسيحية واليهودية غير مؤتمنة على الدين فهناك قسيس وليس قسيسة وهناك حاخام وليس حاخامة ، ولذلك فإن الله جلت قدرته ووسعت حكمته قد اختار أن تكون معجزة السيدة مريم فى اليهود خصوصاً ليثبت لهم أن المرأة جديرة بأن تخدم الدين وتكون أمينة عليه. أما وقوع الاختيار الإلهى على ابنة عمران فكان نتيجة لإخلاص امرأته وشدة حبها لله ، فإذا تصورنا شعور أم تضحى بأمومتها من أجل الله وتحرم نفسها من حضانة طفلتها طواعية حتى ليقال أنها كانت تذهب لرؤية ابنتها من بعيد حتى لا تغلبها عاطفتها فتتراجع عن نذرها ، فبصدق نيتها اصطفاها الله لأنها تحب الله أكثر من نفسها.

ثالثاً:"فلما وضعتها أنثى قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت"(آل عمران) ولنا أن نتساءل هنا عن الحكمة الإلهية العظيمة التى جعلت الله يرزق امرأة عمران بأنثى بدلاً من الذكر الذى طلبته حيث أن هذه رسالة إلى كل البشرية بأن الأنثى تستطيع أن تفعل ما يفعله الذكر بل وتكون أفضل منه فجعلها تجلس مجلس الرجال بل وتستغنى عنهم حيث أن الله كان يرزقها بغير حساب وكانت أفضل من كل الرجال الموجودين فى الهيكل. ولنا أن نتخيل نظرتهم لها المستنكرة لوضعها كأول فتاة تشغل هذا المنصب ، وهذا تكريم من الله لها منذ لحظة الميلاد. "وإنى سميتها مريم"(آل عمران 36) حيث أن والدها مات قبل مولدها فلم يشهد ولادتها ولم يسمها بل سمتها والدتها. واسم مريم مكون من مقطعين:"مارى" بمعنى الرب و"أما" بمعنى أمة . وبذلك يكون معنى اسمها: "أمة الرب".."وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم"(آل عمران 36) أى عوذتها بالله عزوجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها"..."فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً (آل عمران 37) أى رضى بمريم فى النذر مكان الذكر، ليس هذا فحسب بل رباها الله تربية حسنة يعنى أشرف على تربيتها بنفسه وهذا تكريم للمرأة ما بعده تكريم ، مثلما يعطى شخص ما هدية لآخر فيقول له: مقبولة منك. "وكفَّلها زكريا".(آل عمران 37) بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية أى جعله كافلاً لها أى كفَّلها الله زكريا ..قال ابن إسحق: وما ذلك إلا لأنها كانت يتيمة ، لتقتبس منه علماً نافعاً وعملاً صالحاً ولأنه زوج أختها.

رابعاً:"وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين"(آل عمران 42). الاصطفاء الأول هو تكريسها لخدمة الرب بالرغم من أنها أنثى أى اختارها وفضلها وهذا الاصطفاء على الرجال والنساء معاً، أما الاصطفاء الثانى فهو بشئ قد تميزت به على نساء العالمين وهو الحمل بلا رجل ؛ يعنى جعلها تستغنى عن الرجال فى كل شئ: الرزق والحمل. ويا لا سعادة من يشهد له الله بالعفة والطهر والصلاح ويصطفيه مثلما يشهد أستاذ لتلميذه بالتفوق أو مثلما يشهد الناس لشخص بحسن الخلق فتكون هذه شهادة يعتز بها ذلك الشخص فما بالنا بشهادة الله عزوجل لعبده! إنها شهادة من الخالق الذى هو أدرى وأعلم بخلقته وبسر هذا العبد وجهره."والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين"(الأنبياء 91) يعنى لأنها أحصنت فرجها استحقت تشريف وتكريم الله عزوجل ، وهذه رسالة لكل فتاة تحصن فرجها سوف تكون رفيقة مريم فى الجنة وسوف تكون مكرمة ومفضلة عند الله وشبيهة بها فى طهرها وعفافها. وكذلك أى رجل يحصن فرجه سوف يكون شبيه بيوسف عليه السلام فى طهره وعفته ويرافقه فى الجنة.

خامساً:أما ولادة مريم للمسيح عليه السلام فقد أشرف الله عليها منذ بدايتها بنفسه وأرشدها كيف تولد نفسها:"فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً(مريم23) "فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً"حيث ذهبت إلى مكان بعيد عن أهلها وراء الجبل حياءً منهم ، وفى نفس الوقت حتى تتم الولادة دون أن يصاب المولود بأذى من قومه. "فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك من تحتك سريًا "(مريم 24) قيل أن الله قد أنطق المولود فور ولادته ليذهب عنها الحزن والقلق. ولا شك أن مريم استعادت رباطة جأشها بعد أن سمعت مقالة وليدها..ثم أوحى الله إليها ما تفعله لتتغذى بعد الولادة."وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا فكلى واشربى وقرى عيناً(مريم 26) قيل أن رطب النخل يناسب النفساء ، وقد سمى الله تعالى سورة كاملة باسم مريم وهذا تكريم آخر لها ثم إنها استحقت أن تكون زوجة لرسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى الجنة.

تكريم الله للمرأة:

ومن صور تكريم الله للمرأة أيضا تسمية سورة فى القرآن باسم "النساء" ولا يوجد سورة للرجال. وإذا نظرنا إلى قصص الأنبياء بعين فاحصة فإننا سنلاحظ أن الأنبياء كلهم – أو معظمهم – تربية نساء فمثلاً السيدة مريم توفى الله والدها قبل أن تولد وعيسى عليه السلام هو تربية أمه مريم وسيدنا موسى عليه السلام كرم الله أمه بأن أوحى إليها بأن ترضعه أولاً ليذوق طعم لبنها ويميزه عن غيره بعد ذلك عندما تعرض عليه المراضع ثم أوحى إليها أن تقذفه فى اليم. ولنا أن نتخيل موقف امرأة وحيدة ليس معها رجل حيث ذهب زوجها فى السخرة ولا يوجد ذِكر لأى رجل فى حياة موسى له دور مؤثر فى تربيته. هذه المرأة الوحيدة يساعدها الله ويكون معها فى أحلك لحظات حياتها وينقذها من يد فرعون الطاغية المستبد ثم يطمئنها أنه سوف يقر عينها برؤية موسى عليه السلام مرة أخرى وليس هذا فحسب بل يجعله من المرسلين ويعلى شأنه ثم يأتى دور المرأة الأخرى امرأة فرعون التى تولت تربيته فى المرحلة التالية..أيضاً السيدة هاجر رضى الله عنها زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام. انظروا كيف كرمها الله أيما تكريم بأن جعل مناسك الحج إلى يومنا هذا سيرًا على خطاها وتذكيراً بما فعلت مع إسماعيل عليه السلام ؛

فالرجال حينما يذهبون للحج يسيرون على نهج امراة هى السيدة هاجر، حتى عندما ضرب الله مثلاً للذين آمنوا كان السامع يتوقع أن يسمع اسم رجل لأن كلمة الذين هى اسم موصول لجمع المذكر، لكنه جاء على عكس التوقع حيث ضرب لهم مثلاً بامرأة لأنها بألف رجل وكذلك عندما ضرب مثلاً للذين كفروا ذكر امرأتان امرأة نوح وامرأة لوط ؛ يعنى المرأة متفوقة فى كل شئ :الإيمان والكفر؛ فلو كان الله مفضلا جنسًا على جنس (وهذا لم يحدث) فإن الأفضلية تكون للنساء..وحتى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تربى بيد النساء: مربيته أم أيمن الحبشية ثم مرضعته حليمة السعدية ثم أمه فى مرحلة أخرى من طفولته ثم زوجة عمه فاطمة بنت أسد التى نام النبى فى قبرها وكفنها فى قميصه حتى يرحمها الله وهى أم على بن أبى طالب وكان آخر وصايا الرسول بالنساء. وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم الرجل الذى جاء يسأله من أحق الناس بحسن صحابته فقال له أمك ثلاث مرات ولولا أن الرجل سأل للمرة الرابعة ما كان النبى ذكر الأب .. ليس هذا فحسب بل إننا إذا نظرنا إلى عالم الحيوان فسوف نجد أن القوامة للأنثى وليس للذكر فعندما خلق الله الممالك العظيمة مثل مملكة النحل ومملكة النمل جعل عليها ملكة أنثى ولم يجعل عليها ملكاً ذكرًا وسمى سورتان كاملتان باسم هاتين المملكتين اللتين تتكونان من إناث فقط ويحكمهما ويقودهما إناث ولا مكان للذكور فيهما إلا من أجل التناسل فقط ولفترة محدودة يتم بعدها قتل الذكر بلا رحمة لأنه ليس له عمل أو فائدة. بل ويوحى الله إلى النحلة ويخاطبها بصيغة المؤنث أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ويجعل من العسل الذى تنتجه شفاءً للناس وإعجازًا لهم ويجعل لهذه المملكة نظام وقوانين تفوق قوانين البشر وممالكهم. وكذلك مملكة النمل تقودها أنثى. انظروا معى إلى النملة التى سمعها سليمان عليه السلام وضحك من قولها ، لقد قام بتحويل الجيش كله بعيدًا عنها وقومها احترامًا لمشاعرها. وهذا يدلنا على أن الأنثى مكرمة فى كل أحوالها فى عالم الإنسان والحيوان على حد سواء.

:معنى القوامة

والذين يقولون بأن آدم هو أصل الخليقة لأنه خلق أولاً ثم خلقت حواء من ضلعه لإسعاده وإضفاء السرورعليه فإن هذا الكلام ليس صحيحاً لأن حواء إنما خلقت لمشاركة آدم وكان ذلك مقدراً منذ البداية ولم يكن فكرة طارئة لله فالأصل فى الوجود ليس آدم ولكنه سبقها ليكون قواماً عليها والقوامة هنا ليست فرض السيطرة والإذلال والتحكم ولكن القوامة هى الرعاية والعناية بشؤون المرأة. وإذا كانت المرأة قد خلقت من ضلع أعوج فهذا معناه أن أصل العوج فى آدم ، وقد قال الشاعر:لولا اعوجاج القوس ما رمى..ومن ثم فإن هذا الاعوجاج فى حواء هو ميزة وليس عيباً وعلى الرجل أن يتحمل المرأة إذا انفعلت أو غضبت أو غلبتها عاطفتها فهذا هو المعنى الحقيقى للقوامة لأن الرجل بطبيعته يحكم عقله أكثر من قلبه مثلما فعل النبى مع السيدة عائشة حين احتكما لأبى بكر فهم أن يضربها فمنعه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له:"يا أبا بكر ما دعوناك لهذا" وكذلك عندما ذهب رجل إلى عمر يشتكى له زوجته فوجد زوجة عمر ترفع صوتها عليه. والقصة معروفة وما يهمنا منها موقف سيدنا عمر أو بمعنى أصح فهمه الصحيح للقوامة حيث قال أن على الزوج أن يصبر ويتحمل زوجته لأنها تطهو له طعامه وتغسل له ملابسه وتربى له أولاده وو.......وكل ذلك تفضلاً منها وليس مفروضاً عليها. وحتى عندما سأل رجل الرسول صلى الله عليه وسلم من أحق الناس بحسن صحابتى قال له:أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك ولو لم يسأله الرجل للمرة الرابعة لاكتفى الرسول بالأم ولم يذكر الأب. إلى هذا الحد المرأة مكرمة سواء كانت ابنة أو أم أو زوجة!!

أقول هذا لأنه كانت لى صديقة حكت لى كيف أن أهلها كانوا يتلقون العزاء لأنها ولدت بنتاً وانقلب البيت مأتماً يوم ميلادها ، وأخرى رفضت أمها أن ترضعها لأنها حزنت أن المولود أنثى وكانت تتمنى الذكر فهل نأخذ عبرة وعظة من قصة السيدة مريم ؟ أم نسير على نهج الجاهلية الأولى ؟

التسول بالقرآن

هناك فى الاسكندرية فى إحدى محطات القطار افترش رجل الأرض جالسًا القرفصاء مرتديًا نظارة سوداء إخفاءً لهويته أو ربما تظاهرًا بالعمى ليستدر عطف الناس .. ثم أخذ يقرأ آيات من القرآن الكريم ، وواضح من تلاوته أن له علم بالقراءات وأحكام التجويد والعجيب أن صوته جهورى وقوى وجميل يصلح لأن يتلو فى الحفلات والمآتم فقلت لنفسى:"ربما كان شيخا أزهريًا ثم جار عليه الزمان فلجأ إلى التسول!" والغريب أنه يستخدم القرآن كأداة للتسول فقد أخذ الناس فى الغدوة والروحة يضعون فى يده بعض النقود وهو لا يبرح مكانه من ليل أو نهار.

شئ جميل أن يتلو الإنسان القرآن ولكن العيب كل العيب أن يستخدم القرآن والدين لأغراض التسول خاصة أن الشعب المصرى بطبيعته متدين ولا يرضى أن يترك فى العراء نهبًا للجوع والبرد شيخا كهذا يتلو آيات من الذكر الحكيم ويشجبيهم بصوته. ولأن زمننا هذا هو زمن العجائب فقد اتخذ الشيوخ مظهرًا آخر غير صورة سيدنا فى الكُتَّاب القديم الذى كان يتسول أو لنقل يرتشى من تلامذته بقمع سكر أو بضع بيضات ورغيف عيش. ويبدو أن الرجل موهوبًا ولكن لأنه ليس لاعب كرة ولا ممثل ولا فنان ولا راقصة فليس له حظ فى الظهور على شاشات التلفزيون أو وسائل الإعلام فلم يجد أرحب من قارعة الطريق تستضيفه متخيلا أنها خشبة مسرح أو دار عرض لموهبته تمامًا كما يحدث فى الغرب حيث يقوم المتسول الأوروبى بعرض موهبته فى الموسيقى مثلا فى الشارع ويجمع أموالا طائلة من المارة.

كان التسول قديمًا عن طريق إحداث عاهة فى الجسد أو حمل طفل صغير أو رضيع والتظاهر بأنه يتيم أما الآن فقد اتخذ شكلا آخر يتلاءم مع طبيعة العصر حيث أن الشكل القديم المعتاد للمتسول لم يعد يقنع الناس ، ولا أعرف كيف أصبح الشارع المصرى مستباحًا للجميع دون رقابة ؟ فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

البضاعة المباعة لا ترد ولا تستبدل

هذه الجملة هى أعجب وأقبح ما يكتب على لافتات أبواب المحلات. وقد حاولت أن أفهم سبباً لذلك فلم أجد لذلك سند شرعى أو دينى أو حتى تجارى أواقتصادى ؛ فقد يشترى الإنسان سلعة ثم يندم على شرائها لأنه ليس فى حاجة إليها أولأى سبب من الأسباب ؛ فيحب أن يردها للبائع ويسترد ثمنها فلماذا يرفض البائع استرجاعها أو حتى استبدالها وبأى منطق ؟ إن أية دولة من دول العالم المتقدم تسمح باسترداد البضاعة واستبدالها دون أى ضجر بل إن البائع يستقبل المشترى وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، وتتعجب حين تقرأ على ظهر الفاتورة أنك تستطيع أن

ترد البضاعة المشتراة وتأخذ نقودك فى خلال شهر وإذا زادت الفترة عن شهر يكون من حقك تبديلها وأخذ كوبون بالقيمة المدفوعة ساعة الشراء لتستعمله فى أى وقت من السنة ، وأحياناً تستطيع الاستبدال حتى لو لم تجد الفاتورة. أما عندنا فالوضع مختلف فمن أين جاء هذا المنطق العجيب ؟ هل لأن الناس فى هذه الأيام تئن من الحالة الاقتصادية المتردية ؟ مما يجعلهم يخشون كساد تجارتهم وبضائعهم ؟ أعتقد أن هذا ليس سبباً كافياً وأن السبب الحقيقى يكمن فى ضعف الإيمان وانحساره فى قلوب كثير من الناس بأن الله هو الذى يرزق فمن أسمائه الرزاق وليس أدل على ذلك من هذه القصة التى سأرويها لكم ؛ فقد ذهبت يوماً لشراء شئ من أحد المحلات ، وعندما عدت إلى المنزل وجدتنى قد أخطأت الاختيار فعدت إلى المحل الذى اشتريت منه ورجوت البائع أن يسترد بضاعته فأبى ؛ فقلت له إنك تخالف الشرع. فقال لى بالحرف الواحد :"لو طبقت الشرع فى التجارة أخسر". فهذا الرجل وغيره يعتقد أنه لو أطاع الله فى تجارته سيخسر وأن الله لن يرزقه وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ضعف إيمان شديد بأن الله هو الرزاق فقد تكفل سبحانه وتعالى برزقنا جميعاً والرزاق هى صيغة مبالغة من الرازق ليؤكد لنا الله أنه هو وحده الذى يرزق وليس أحداً من البشر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها " وقال أيضاً :"والذى نفسى بيده لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً" وقال تعالى :" ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب " إذن هناك ربط وعلاقة بين التقوى والرزق ؛ فيا ليتنا نكون مثل نملة سليمان فى إيمانها فقد روى أن سليمان عليه السلام أتى بنملة وقال لها :" كم تأكلين فى العام ؟ " وعندما أخبرته أتى لها بالكمية التى طلبتها ووضعها فى زجاجة وبعد عام فتح الزجاجة فوجد النملة أكلت نصف الكمية فسألها عن ذلك فقالت : إن الله جل وعلا تكفل برزقها فلن ينساها أما الآن فهى محبوسة عند سليمان فخشيت أن ينساها فادخرت من طعامها.. إن رد السلعة للبائع واسترداد ثمنها فى الشريعة الإسلامية يسمى *إقالة* ، و قد حث الرسول صلى الله عليه وسلم عليها حيث قال :" من أقال نادماً بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة " أى أن الله ورسوله أعلم بنفسية المشترى وأن الندم الذى يشعر به بعد الشراء إحساس قاسى جداً لأنه دفع نقوداً فى شئ هو فى غنى عنه فوعد الله تعالى بأنه سوف يقيل عثرة البائع يوم القيامة إذا ما أقال بيعته فى الدنيا وما أدراك ما عثرات يوم القيامة وشدتها ! منذ النفخ فى الصور وحتى المشى على الصراط والعطش الأكبر والشمس المحرقة. فيا أيها البائع اتقِ الله واعلم أن الله هو رازقك وليس الزبائن واعلم أنك ستفتدى نفسك بمالك كله للخلاص من لحظة واحدة تقضيها فى النار يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وتذكر أن الذى سترفض أن تقيل له بيعته لن يشترى منك ثانية وبذلك تكون قد خسرته إلى الأبد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى ".

جوائز السماء

من أعظم المنح التى أعطاها الله لنا هى منحة لقائه والتحدث إليه ؛ فأعطانا منحة لقائه خمس مرات فى اليوم هى مواقيت الصلاة لعرض مشاكلنا عليه وتصليح أى عيب قد يظهر فى أجسامنا وأرواحنا فمثلما تُعرَض الماكينة على المهندس الذى صنعها ليعمل لها صيانة دورية ، طلب الله عز وجل منا أن نُعرَض عليه خمس مرات يومياً ليجرى لنا صيانة يومية لأننا صنعته. فمنا من هو مريض ومنا من هو مهموم....إلخ. فإذا جلسنا فى الصلاة ودعونا الله ذهب عنا كل ما أهمنا..كما أعطانا الله فرصة مقابلته يوم عيد الفطر وهى أعظم هدية أو منحة مَنَّ الله بها علينا نحن عباده الفقراء ، فكثير منا لا يعرف قيمة وعظمة صلاة العيد ويؤديها باعتبارها عادة وليست متعة وكثيرون يحرمون هذه المتعة الكبيرة وهى متعة لقاء الله بعد شهر طويل من العبادات المكثفة والصوم ومجاهدة النفس بالامتناع عن كل الشهوات. يستدعيك ربك لتقف بين يديه فيعطيك جوائز السماء تماماً مثل الأجير الذى أنجز عمله بإتقان فذهب لصاحب العمل يأخذ أجره منه ، فهذه هى أسعد لحظة فى حياته. ساعتها ينسى التعب والإرهاق وعرق الجبين الذى تفَصَّد منه أثناء العمل. وهى نفس فكرة صيام موسى عليه السلام لمدة ثلاثين يوماً (ثم زيادتها إلى أربعين يوماً بعد ذلك) ثم لقاء الله على جبل الطور..فعجباً لمن ينامون ويتركون هذا اللقاء الروحانى العظيم.

وقت صلاة العيد:

ولقد اختار ربنا تبارك وتعالى الصباح الباكر لأنه يشتاق إلى عباده فى أول يوم بعد انتهاء الصيام ليقول لك : أحسنت ويعطيك شهادة تقدير موقعة منه شخصياً جل وعلا بما أن الصيام هو العبادة الوحيدة التى له وهو الذى يجزى بها ، فكذلك لا بد أن يسلمك الجائزة بنفسه. وحتى لا يتحول العيد بالنسبة لنا ولأولادنا إلى كعك وملاهى ولعب وننسى الهدف الحقيقى من ورائه لابد أن نغرس فى نفوس أطفالنا تلك المعانى السامية ، نقول لهم : أننا يوم العيد نلبس الجديد ونتطيب ونكون فى أحسن صورة لأننا سنذهب لمقابلة ملك الملوك ، ويأمرنا أن نأكل بضع تمرات قبل أن نخرج فهذا هو الرب الذى أمرنا بالصيام يأمرنا الآن بالفطور.

أهمية صلاة العيد:

وصلاة العيد هى الصلاة الوحيدة التى ليس لها آذان لأنه من المفروض أنك تشتاق لمقابلة ربك لتتسلم جائزتك مثل ذلك الذى يذهب لتسلم جائزة أوسكار أو نوبل فى حفل تكريم. كان من الممكن أن يتم الإفطار بدون عيد وبدون صلاة ، فقد طلب منا الله أن يذهب الجميع ولا يتخلف أحد حتى الحائض والنفساء تذهب لملاقاة ربها وتشهد الصلاة فنرى العجوز والصبى والشاب كل يجرى لملاقاة ربه. أذكر أنى ذهبت أصلى العيد فى أحد الأيام فقالت لى سيدة فى الثلاثين من عمرها : اشرحى لى كيف أصلى العيد فهذه هى أول مرة أصلى فيها العيد فى حياتى. فشعرت بأنى أشفق عليها لأنها لم تستشعر حلاوة ولذة لقاء الله وحرمت منه طوال ثلاثين عاماً فيا أيها الغافل النائم عن صلاة العيد ألا تستيقظ للقاء ربك وتلبية ندائه ؟ مسكين أنت إن لم تفعل!

خطاب لأولى الألباب

من أسوأ عاداتنا كعرب وكمسلمين التعميم بمعنى أنه لو سرق مصرى فالمصريون جميعًا لصوص ولو قتل يمنى فاليمنيون كلهم قتلة ولو زنى عراقى فالعراقيون كلهم زناة رغم أن القرآن الكريم نفسه أكد أنه لا تزر وازرة وزر أخرى وأجمل ما فى ديننا أنه يعمل العقل فى كل شئ قبل العاطفة ولذلك فإن الآيات التى تحث على استعمال العقل لا حصر لها ولا عدد فى القرآن حيث يقول الله تعالى:"لأولى الألباب" (آل عمران 190) ، "أفلا تعقلون" (البقرة 44 ، 76) ، (آل عمران 65) ، "لآيات لقوم يعقلون" (البقرة 164) ، "إن كنتم تعقلون" (آل عمران 118)

صدق الله العظيم.

تذكرت ذلك وأنا أحاور إحدى صديقاتى حيث قالت لى:"أنا أكره الفراعنة لأنهم كفرة ولأن منهم فرعون موسى" وحاولت التنصل من انتسابها إليهم بادعاء أنها ربما تكون من سلالة عربية أتت مع عمرو بن العاص حين فتح مصر وكأن انتسابها إلى الفراعنة شئ مخزى وتهمة حاولت نفيها عن نفسها..تمالكت نفسى وأنا أجيبها وقلت فى هدوء:"إذن أنتِ تكرهين السيدة هاجر زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام وأم سيدنا إسماعيل الذبيح عليه السلام وجدة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه حيث قال:"أنا ابن الذبيحين عبد الله وإسماعيل" وترين أنه لا داعى للقيام بشعائر السعى بين الصفا والمروة لمجرد أن السيدة هاجر مصرية من العصرالفرعونى وهى تعد أمًا لكل العرب مصريين وغير مصريين ؟ وكذلك تكرهين السيدة آسيا زوجة فرعون وترين أنها لا تستحق القصر الذى بناه الله لها فى الجنة ولا تستحق أن تكون زوجة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لمجرد أنها مصرية من الفراعنة ؟ وأعتقد أيضًا أنك تكرهين ماشطة فرعون التى ألقى بها فى النار هى وأولادها الذين كان من بينهم رضيع هو أحد الثلاثة الذين تكلموا فى المهد والتى رآها الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجنة يوم أُسرِىَ به لمجرد أنها من الفراعنة.

كما لا شك أنك تكرهين سيدنا موسى عليه السلام لأنه تربى على يد امرأة من الفراعنة وتعلم وترعرع فى بيت فرعونى حيث قال فرعون مخاطبًا موسى:"أو لم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين" (الشعراء 18). صحيح أن القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يذكر صراحة أن فرعون كان يدعى الألوهية وكان كافرًا وكان مجرمًا لكنه لم يعمم هذه الصفات على كل الفراعنة بل خص بها شخص واحد هو فرعون موسى فقط ، بينما حين تكلم عن الفراعنة الأخيار أعطى ثلاثة أمثلة لنماذج مشرفة منهم وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

فلماذا نأخذ نوذجًا واحدًا سيئاً ثم نعممه على كل الفراعنة ؟ أين إعمال العقل ؟ إن التعميم هو آفة مجتمعاتنا التى يجب أن نستأصل شأفتها وهذا يعنى أننا نقرأ القرآن دون فهم أو تدبر؛ فالله تعالى لا يضرب الأمثال لكى يقول لنا اكرهوا الفراعنة لأن فرعون منهم أو اكرهوا العراقيين لأن منهم الملك الذى أحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام أو اكرهوا قبيلة قريش لأن أبا لهب وأبا جهل منها ؛ فمن هذه القبيلة نفسها خرج رجل مبشر بالنار هو أبو لهب ورجل آخر مبشر بالجنة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الأحباش خرج أبرهة الأشرم الذى حاول هدم الكعبة وخرج بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم .

إذن التعميم فيه ظلم كبير لأى مجتمع لكن القرآن أتى بالأمثال ليرينا أن الذى يصد عن سبيل الله ويفسد فى الأرض أيًا كانت جنسيته فهذا جزاؤه. وإذا سلمنا بأن المصريين القدماء –مثلهم مثل كل الشعوب القديمة- كانوا مشركين (على الرغم من أنه كانت هناك فترات من التوحيد والاستجابة للأنبياء) فلننظر إلى حضارتهم كى نتعلم منها يعنى مثلاً لا يصح أن نقاطع الكبيوتر لأن الأمريكان هم مخترعوه ولا أن نقاطع الفيزياء وقوانين الجاذبية والطفو وعلم النفس لأن اليهود كان لهم باع فى هذه العلوم ولا أن نقاطع المصباح الكهربائى لأن رجل غير مسلم هو الذى اخترعه!

وبالطبع لا يعقل أن نقاطع قدماء المصريين بكل ما يملكون من سبل الحضارة والتقدم والرقى والأخلاق لمجرد أنهم كفار بل إن الشعب المصرى هو الشعب الوحيد الذى آمن بالبعث والحساب وأعطوا الموت اهتمامًا أكبر من الحياة حتى أن بعض المؤرخين قالوا أن الحضارة المصرية حضارة موت وهو ما عجزنا نحن اليوم فى القرن الواحد والعشرين أن نفعله والشعب المصرى هو أكثر شعب متدين على الإطلاق حتى قال هيرودوت عنه:"المصريون قوم يخافون الله". ولا ننسى أن سيدنا موسى عليه السلام عندما خرج ببنى إسرائيل من مصر كان معه بعض المصريين الذين آمنوا به وبرسالته وخرجوا معه خوفاً من بطش فرعون وحينما ارتد بنى إسرائيل وعبدوا العجل ارتدوا وحدهم أما المصريون الفارين معهم فقد ثبتوا على دينهم.

أرأيتم المصرى حين يؤمن كيف يتمسك بدينه! فهل بعد كل ذلك سنتبرأ من انتسابنا لأجدادنا الفراعنة بزعم أنهم كفار؟ رغم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتبرأ من انتسابه لقبيلة قريش الكافرة وعمرو بن العاص لم يتبرأ من انتسابه لأبيه العاص بن وائل المشرك بل كان فخورًا به حتى لقد كان يفخر به على الخلفاء كعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان. وإذا كان إبراهيم عليه السلام قد تبرأ من أبيه فالمقصود أنه تبرأ من ديانته الوثنية وليس من انتسابه إليه.

الإمام الغزالى يقول فى إحدى خطبه:"يخطئ المسلمون فى مصر الأن خطأين: الخطأ الأول:أن عددا منهم لا أدرى أهو كبير أم صغير؟ يقول بشئ من الغباء:إننا عرب ، يقصد بذلك أنه نسل الفاتحين ، هذا كذب !! ولعل مركب النقص هو الذى يدفع إلى هذا الزعم !! فنحن فى الحقيقة أبناء المصريين الذين أسلموا !! ربما كان هناك عدد من أبناء العرب الذين وفدوا ، لكن هذا العدد قليل أما الكثرة الكبرى من المصريين فهم أبناء المصريين الذين دخلوا فى الإسلام. وعندما يقول المصريون أنهم أبناء الفاتحين يعطون غيرهم (المسيحيون) حجة مكذوبة أنهم أبناء مصر وأن غيرهم وافد وطارئ ، وهذا غير صحيح !! يجب أن نعرف الحقائق فإن أكثرنا غافل فشيخ الأزهر العباسى المهدى مثلا كان أبوه قبطيا !! ويوجد بين أئمة المساجد الآن وبين مفتشى المساجد وبين علماء الأزهر رجال آباؤهم أو أجدادهم من الأقباط !! فـا ل قول بأن المصريين أبناء الفاتحين غلط فاحش ما ينبغى أن يقال ، هذا خطأ يرتكب!! الخطأ الثانى الذى يرتكبه المسلمون أنهم يسمون مجئ عمرو بن العاص لمصرو:الفتح العربى لمصر!! كان هذا التعبير سليما حين كانت كلمة فتح تعنى شيئا آخر غير المفهوم الذى عرف به الآن فى العالم ،فكلمة الفتح الآن تساوى الغزو والحقيقة أن الوصف الدقيق لمجئ العرب لمصر هو: تحرير العرب للمصريين".

وإننا لمأمورون أن نقرأ وندرس تاريخ الفراعنة وغيرهم من الأمم السابقة ففى سورة محمد يقول الله عز وجل :"أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم" (محمد 10) كيف سنتدبر عاقبة الذين من قبلنا إلا إذا درسنا تاريخهم ؟ إذن الانتساب إلى الكفار ليس ذنبًا يجب التوبة منه والاستغفار كما أننا لا يجب أن نترك اليهود ينسبون أنفسهم إلى أجدادنا كما حدث عندما جاء "بيجن" بعد توقيع معاهدة السلام ووقف أمام الهرم الأكبر وقال:"هذا بناه أجدادى"....انقذوا تاريخكم قبل أن يسرق منكم يا أولى الألباب.

حكيم روحانى حضرتك

عالم الأرواح عالم كبير وعجيب تكتنفه الأسرار والغموض ؛ فالسحر وتسخير الجان والتنجيم كانت ولا تزال من الأشياء التى شغلت أذهان الناس قديماً وحديثاً مما أتاح الفرصة لكثير من المشعوذين ممن يطلقون على أنفسهم أطباء روحانيين لينصبوا شباكهم حول السذج من الناس ممن يصدقون هذه الخرافات. وقد ظل سؤال يراودنى دائماً ولا زلت أبحث له عن إجابة دون جدوى : هل هناك حقاً أرواح تعالج وتداوى وتجرى جراحة وتقوم بدور الطبيب ؟ وما هى حقيقة الطب الروحانى؟ هل لجأ إليه الناس بعد أن يأسوا من الطب التقليدى ؟

للإجابة عن هذا السؤال قررت أن أقتحم ذلك العالم المجهول. كانت البداية عندما سمعت من إحدى الصديقات عن رجل يدعى العلاج الروحانى والحجز بميعاد سابق ، وكان علىَّ أن أكتب علتى أو شكواى فى ورقة ثم أرسلها له عبر البريد أولاً ثم بعد ذلك يحدد لى ميعاد الزيارة.. وفى الموعد المحدد ذهبت بصحبة بعض أقاربى ، كان المكان موحشا فقد اشترط الحكيم الروحانى أن يتم العلاج ليلاً فهذا هو الوقت المفضل للأرواح لتعمل فيه بهمة ونشاط .

وفى شارع ضيق بأحد الأحياء الشعبية الفقيرة يقع المنزل الذى يقطن فيه ذلك الحكيم المزعوم..كانت فرائصى ترتعد من الخوف وأنا أطرق بابه ، وعندما فتح لنا الباب رأيت رجلاً فى الأربعينيات من عمره ذو لحية طويلة غير متناسقة الأطراف ، بادرنا بابتسامة خفيفة ثم قال : اتفضلوا. كانت داره صغيرة متواضعة ، أدخلنا فى حجرة صغيرة وبعد أن تعرف منى على ملامح مرضى العامة وشكواى ، أطفأ الأنوار وقال لى : "غمضى عينيك وتخيلى أنك ترين أمامك الآن مجموعة من الأطباء يقفون فى حجرة العمليات ليعالجوا مرضك" ؛ ففعلت فلم أرَ شيئاً!! فأخذ يقرأ بعض الآيات من القرآن الكريم ثم سألنى : ماذا ترين ؟ فأقول : لا أرَ شيئاً ؛ فيعيد قراءة ما سبق من آيات ثم يسألنى نفس السؤال فأعيد الإجابة فيكرر القراءة مرة أخرى دون جدوى إلى أن فاض به الكيل وأحسست أنه تضايق فقررت أن أطاوعه فادعيت أنى أرى أمامى أطباء فى غرفة العمليات كما طلب منى فتهللت أساريره وقال : "الله أكبر ربنا يفتح عليكى أهه كدة الكلام" ، ثم استرسل فى سؤاله فقال : "الدكاترة عملوا إيه ؟ طلعوا من بطنك سحر ولا إيه ؟ إذا كان اللى عندك سحر إرفعى إيدك اليمين وإذا كان عضوى أو أى حاجة تانية ارفعى إيدك الشمال. فلم أرفع أياً من يدىّ فقال :"ليه مارفعتيش إيدك ؟" قلت : "لأنى مش عارفة" فقال بغضب :"إزاى مش عارفة ؟ أرجوكى ساعدينى حاولى تتخيلى معايا" ثم عاود قراءة القرآن من جديد لكن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً ، وأوهمته أنى معمول لى عمل وأن هذا العمل موجود أمام عتبة بيتنا وتظاهرت بالبحث عنه.

وبعد قليل دخلت علينا الحجرة سيدة كانت مصابة بدوالى فى الساقين وفضلت قبل أن تذهب للطبيب أن تاتى لاستشارة هذا الرجل فلربما كان السبب فى ذلك غضب الأسياد أو الأرواح الشريرة..ولا أعرف كيف أقنعها الرجل بأنى الآن فى حضرة الأرواح وأستطيع أن أصف لها العلاج ؟ هكذا فهمت من طريقة كلامها بأسلوب غير مباشر. وفى تلك اللحظة كادت ضحكة كبيرة تنفلت منى كتمتها بصعوبة وعندما دخلت هذه المرأة جلست أمامى والحجرة ما تزال مظلمة وأنا مغمضة العينين ، ثم قال لى الرجل :"قولى لها يا نرمين إذا كان مرضها هذا علاجه عند الأطباء أم عندى ؟ (يقصد علاجاً روحانياً) فأخذت أتخيل نفسى الشيخة نرمين المكشوف عنها الحجاب وأشفقت على السيدة المسكينة أن تقع فى براثن هذا النصاب فقلت لها ما يمليه على ضميرى متمادية فى التمثيلية الكوميدية التى بدأت منذ قليل: "انت حالتك محتاجة طبيب". كاد الرجل يجن فقد كان يريدنى أن أقول لها عكس ذلك أى أن العلاج عنده فعض على شفتيه من الغيظ ولسان حاله يقول : "انتِ طلعتى لى منين النهاردة ؟" وانصرفت المرأة منفرجة الأسارير وهى معتقدة تمام الاعتقاد فى صدق ما أقول ولحق بها الرجل ليحاول إقناعها أن علاجها عنده بالأرواح دون جدوى..

ظهر الضيق على وجه الرجل وهو يجفف عرقه بمنديل أبيض كبير وكاد يجهر لنا به لولا خشية افتضاح أمره فآثر السكوت على مضض. فى تلك اللحظة كدت أنفجر من الضحك وخشيت أن تنفلت منى ضحكة هنا أو هناك رغماً عنى ، فأشرت إلى أقاربى بالنهوض ومغادرة المكان وكانت الأنوار قد أضيئت ثانية ، وحينما هممنا بالوقوف وعدنا الرجل أنه سوف يتفاهم مع الأرواح حتى أشفى تماما ولما خرجت إلى الردهة وجدت بعض النسوة اللائى جئن طلباً للعلاج أو الاستشارة فنظرت إليهن وحدثت نفسى سراً:"إلى اللقاء أيتها المغفلات المخدوعات" وانتهت هذه المغامرة المثيرة على خير.

أهمية الحنان فى الإسلام

قد يتعجب القارئ لهذا العنوان الغريب ويتساءل: هل يهتم الإسلام بالحنان ؟ نقول له نعم ؛ فالإسلام كله حنان ورقة وعذوبة ورحمة. هل نسينا اسم الله الحنَّان ؟ وهو من أسمائه الحسنى وهو صيغة مبالغة من الحنون أى الذى يحنو على عباده. فإذا كانت الأم تحنو على وليدها فترضعه وتهدهده وإذا كان الحيوان يحنو على صغاره فيداعبهم ويحميهم من أى خطر يحدق بهم فإن الله يحنو على عباده لأنه مصدر الحنان كله فى الأرض والسماء. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين رأى يوماً امرأة ترضع طفلها:"أتظنون أن هذه ملقية ولدها فى النار؟ قالوا:لا يا رسول الله. قال:الله أرحم وأحن على العبد من هذه المرأة على رضيعها." ولذلك فإن المسلم ينبغى أن يدعو ربه بهذا الدعاء:"يا حنَّان يا منَّان"أى الذى يحنو على عباده فيمُن ويعطى. وفى المسند للإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:"يبقى الرجل فى النار ينادى ألف سنة:يا حنَّان يا منَّان". وقد وصف الله عزوجل نفسه بهذا الوصف فى القرآن الكريم فقال: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقيا" (مريم 12،13) أى فكان ذلك حناناً من الله عليه وقيل أيضاً أن زكريا أوتى حناناً مطبوعاً فى خلقه وكل من رآه أحبه. وفى الأناجيل هو:"يوحنا" وفى العبرية:"يو" اختصار "يهوه" اسم الله فى العبرية + "حنا" اختصار "حنان" بنفس المعنى فى العربية أى"حنان من الله". والعرب تقول:"حنانك أو حنانيك يا رب" بمعنى واحد أى رحمتك. والحنان فى اللغة هو الرحمة ، والحنَّان بالتشديد:"ذو الرحمة" (مختار الصحاح ، ص 159) وفى تفسير ابن كثير يقول: إن الحنان هو المحبة فى شفقة وميل كما تقول العرب:حنت الناقة على ولدها وحنت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية..وحن الرجل إلى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر:

تحن عليَّ هداك المليك فإن لكل مقام مقالا ً

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بكتابة عهد لبعض الولاة فأقبل صبى صغير فجلس فى حجره وهو يلاطفه ويقبله ، فسأله المرشح للولاية: أتقبِّل هذا يا أمير المؤمنين ! إن لى عشرة أولاد ما قبلت أحداً منهم ولا دنا أحدهم منى..فقال له عمر:"وما ذنبى إن كان الله عزوجل نزع الرحمة من قلبك..إنما يرحم الله من عباده الرحماء"..ثم أمر بكتاب الولاية أن يمزق وهو يقول إنه لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية ؟ يقصد أن الرجل غير حنون على أبنائه...أما الحنان مع الزوجة فهو أوْلى وأهم أنواع الحنان ، حيث قال تعالى فى كتابه العزيز:"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (الروم 21) فالمودة هى الحب المقرون بأفعال أما الحب فيمكن ان يكون بدون أفعال. أى المقصود فى الآية الحب والحنان والشفقة. وذكر قبل المودة والرحمة أن المرأة هى جزء لا يتجزأ من نفس الرجل وجنسه وبالتالى فإنه يتحتم عليه كنتيجة منطقية أن يحبها فإن لم يحبها فعلى الأقل يرحمها.

حنان النبى على زوجاته:

ونجد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان ينبوع حنان جارف مع زوجاته فمثلا ً السيدة عائشة رضى الله عنها كان يغتسل معها فى إناء واحد ويشرب من المكان الذى شربت منه ويطعمها اللقمة فى فيها ، وذات يوم كان الأفارقة يلعبون فأحس أنها تريد أن تشاهد لعبهم فقال لها: تشتهين تنظرين ؟ قالت:نعم. فأقام الرسول (ص) عائشة وراءه وخدَّها على خده أى حملها على ظهره حتى إذا ملت قال لها:اكتفيتِ ؟ قالت:نعم. فقال: فاذهبى أى أنزلها من فوق ظهره. ولا يخفى على أحد أن هذا الوضع مؤذى ومُتعِب للعمود الفقرى خاصة إذا استمر فترة من الوقت ولنا أن نتخيل كم تحامل الرسول الكريم على نفسه فى سبيل إسعادها والترفيه عنها ومن أجل أن يرى البسمة على شفتيها ، وهذا يدل على منتهى الحنان. وحتى عندما وافته المنية مات على صدرها حيث تقول:"مات بين نحرى وسحرى" ما كل هذه الرومانسية والحنان يا رسول الله!! فبدلا ًمن أن يموت وهو يقرأ القرآن أو وهو يصلى يختار هذه الموتة ويستأذن من زوجاته أن يموت فى بيتها

حنان الصحابة:

وحتى عمر بن الخطاب الشديد الغليظ كان حنونا ً مع زوجاته فلننظر إليه وهو يتعامل معهن بمنتهى الرقة والحنان ، فهذه إحداهن وكانت تسمى "العاصية"- وسماها النبى (صلى الله عليه وسلم) الجميلة -لا تطيق فراقه ، فإذا خرج مشت معه إلى باب الدار فقبَّلته ولم تزل فى انتظاره حتى يعود. وكانت من نسائه أيضا ً"عاتكة بنت زيد" وهى على قسط وافر من الجمال ومن الدين ومن البلاغة ، رثته حين قُتِل فقالت:

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخى ثقة فى النائبات منيب

يعنى هى تصف مدى حنانه وحبه ورومانسيته. ولنرى صورة أخرى من الحنان حيث جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب مشورته فى رجلين خطبا ابنته أحدهما فقير والآخرغنى فقال له: وهواها مع من ؟ فأجاب الرجل: مع الفقير. فقال النبى (صلى الله عليه وسلم):لا أرى للمتحابين إلا النكاح...إلى هذه الدرجة يشجع الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحب الحلال الشريف ولا يهون عليه أن يفرق بين حبيبين ! كان من الممكن مثلا ًأن يقول:كيف يحب أحد من أمتى ؟ إن الحب حرام فى الإسلام..لا تطاوع ابنتك يارجل وزوِّجها من الآخر...لأنه أدرك بعقليته المتفتحة وبصيرته المستنيرة أنه ما دام هناك حب- التى هى المودة والرحمة - بينهما فستكون حياتهما سعيدة رغم فقره.

الحنان عند قدماء المصريين:

أما إذا بحثنا عن الحنان عند قدماء المصريين فتتجلى أسمى صوره فى بعض المناظروالتماثيل الصغيرة والنصوص المصرية القديمة فهذه زوجة يصورها فنان وهى تعطر صدر زوجها بالطيب ، أو تتخير له أطايب الزهور ، أو وهى تجالسه وهو يلعب بالنرد أو تقف خلفه بالشراب وهو يبارى فيه قريبا ً عزيزا ًثم مشهد آخر يمثلها وهى تحتضن خصر بعلها بساعدها ، أو وهى تجثو لدى ساقيه فى إعزاز وإكبار ومحبة. وهذه الملكة نفرتيتى تهم بتقبيل زوجها الملك إخناتون خلال نزهة مرحة. وفى منظر آخر تجلس بناتهما على حجره فيداعبهن فى حنان الأب. وهذا الملك توت عنخ آمون مع زوجته فى خميلة القصر يصب على رأسها العطر وتهديه الزهور. أما صور الأمومة فحدث ولا حرج فالأم تحتضن رضيعها وغالباً ما ترقده معها ، وتحمله على خاصرتها ، أو على كتفها أو حول كتفيها ، وقليلا ً ما تحمله بين يديها من أمام إلى مستوى بطنها. ومن المناظر والتماثيل الصغيرة أيضا ً ما يمثل الأم فى دارها تمشط شعور بناتها ، وتضم إليها أولادها ، وتستمتع بمرحهم معها. وقد تصور الأم وهى تضع ولدها على حجرها ، أو يمثله المثَّال واقفا ً بجوار مقعدها وهو يريح يده على فخذها بينما هى تربت بيدها على ذراعه فى حب متبادل. وصورت البنت وهى تستند بيدها عى كتف أبيها. ولا يخلو تمثال لفرعون من الفراعين إلا وهو يجلس بجوار أمه يحيطها بذراعيه حبا ً وحنانا ً.

إن الحنان لا يكلف شيئا ًولا يستغرق وقتا ًيكفى أن يأتى الزوج بوردة فى عيد ميلاد زوجته ويقدمها لها ويقول: إن أسعد يوم فى حياتى هو اليوم الذى ولدتِ فيه حيث أن هذه نعمة إلهية منَّ الله بها علىَّ ، سوف أصلى شكرا ً لله أن جمعنى بك. إن هذه الكلمات البسيطة سوف تفعل فعل السحر فى قلب أية زوجة وستجعلها تفعل أقصى ما فى وسعها لأسعاد زوجها وقد أثبتت الدراسات أن المرأة بحاجة لأن تسمع كلمة أحبك فى اليوم خمس مرات وان ذلك يقيها من الجلطة. فإذا قلنا لأحد أزواج هذه الأيام: أين الرومانسية والحنان مع الزوجة ؟ قال: ليس عندى وقت..فهل هناك أحد مشغول أكثر من الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ دعوة واستقبال وفود ومبايعة وغزوات نهارا ً ثم عبادة وقيام ليلا ومع ذلك كان قمة فى الرومانسية والحنان وهذا لا يحتاج لوقت فمثلا ً إذا قدمت الزوجة لزوجها طعاما ً قال لها:"تسلم يديكِ" ثم يقبل يديها ويقول لها:"لا يهنأ لى طعام حى تأكلى معى". وإذا قدمت له شرابا ًقال لها:"ضعى إصبعك بدلا ًمن السكر". وهكذا....إلخ. وليفعل ذلك بنية إرضاء الله سبحانه وتعالى وإحياء سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ولا مانع من بعض الغزل من آن لآخر، ومثالنا لذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حيث دخل على زوجته يوما ًفوجدها تستاك فقال مداعبا ً ومغازلا ًلها: أنه يحسد عود الأراك لملامسته فاها وأنه يتمنى أن يكون مكانه ولو كان أحد غيره لقتله.

إن الحنان هو السُّك ر الذى تحلو به حياتنا المُرَّة وهو الشئ الذى يقطع روتينية الحياة ورتابتها ، وإنه حل لكثير من مشكلاتنا الزوجية المعاصرة. فهل نعود إليه بعد أن غاب عن مجتمعنا فى هذا العصر المادى وافتقدناه ؟ ما أحلى الرجوع إليه !

فلسفة التسامح فى الإسلام

كلنا يعلم أن الإسلام دين التسامح ، ودائمًا نتفوه بهذه الكلمة فى بيوتنا ومساجدنا وقنواتنا الفضائية ، لكن لا أحد يطبق هذا الخلق بمعناه الصحيح. فمثلاً الأخ لا ينسى لأخيه الإساءة والأم لا تنسى لأبنائها العقوق والكويتيون لا ينسون ما فعله صدام والجيش العراقى بهم والسعوديون لا ينسون ما فعله محمد على بهم..وإذا قلت لأحد سامح من ظلمك فإن الله غفور رحيم يقول لك: "إليك عنى فإنك لا تعلم ماذا فعل بى وكم ظلمنى..." ويظل المظلوم يدعو بكل ما أوتى من قوة على ظالمه بالشلل والجذام والبرص والعمى وغيره

وإذا تتبعنا تاريخ التسامح فى الإسلام سنجد أمثلة رائعة فى القديم والحديث فمثلا إن أول قصة فى التسامح هى قصة ابنى آدم قابيل وهابيل ؛ فهابيل سامح قابيل وقال له :" لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " وسيدنا يعقوب عليه السلام إذا استعرضنا قصته سنجد أن أبناءه تآمروا لقتل أحب أبنائه إليه وهو يوسف عليه السلام ثم حرموه منه سنوات طويلة وظل يبكى حتى فقد بصره. ليس هذا فحسب بل عقوه وسلقوه بألسنتهم قائلين له:"تالله إنك لفى ضلالك القديم". وهو له عليهم حق الأبوة أولاً وحق النبوة ثانيًا وهم يعلمون أنه نبى لا ينطق عن الهوى ويرى ما لا يرون فكان يجب عليهم تصديقه عندما قال لهم:"إنى لأجد ريح يوسف" فاتهامهم له بأنه رجل عجوز مخرف ذنب عظيم لا يليق بحق الأب الرسول ، ومن جهة أخرى يوسف عليه السلام ماذا كان إحساسه عندما ألقى به إخوته فى البئر المظلم عاريًا بلا قميص يستره بعد أن أخذوا القميص ولطخوه بدم كذب ثم الرق والعبودية التى لاحقته سنوات طويلة وهو ابن الكريم وحرمانه من حنان الأب وهو فى قيد الحياة ثم إلقائه فى السجن.

ويقال أن يوسف عليه السلام كان يبكى بكاءً مريرًا فى السجن لفراق والده بكاءً لا ينقطع ولا يتوقف حتى أنه صُنِّفَ من ضمن أشهر البكائين الخمسة فى التاريخ : آدم عليه السلام ، وفاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، والنبى يعقوب ، والنبى يوسف ، وعلي بن الحسين بن على ؛ فَأَمَّا آدَمُ فَبَكَى عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَ فِي خَدَّيْهِ أَمْثَالُ الْأَوْدِيَةِ .
وَ أَمَّا يَعْقُوبُ فَبَكَى عَلَى يُوسُفَ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ ، وَ حَتَّى قِيلَ لَهُ : تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ
وَ أَمَّا يُوسُفُ فَبَكَى عَلَى يَعْقُوبَ حَتَّى تَأَذَّى بِهِ أَهْلُ السِّجْنِ ، فَقَالُوا إِمَّا أَنْ تَبْكِيَ اللَّيْلَ وَ تَسْكُتَ بِالنَّهَارِ ، وَ إِمَّا أَنْ تَبْكِيَ النَّهَارَ وَ تَسْكُتَ بِاللَّيْلِ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا .
وَ أَمَّا فَاطِمَةُ (رضى الله عنها) فَبَكَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) حَتَّى تَأَذَّى بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا لَهَا قَدْ آذَيْتِنَا بِكَثْرَةِ بُكَائِكِ ، وَ كَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى الْمَقَابِرِ مَقَابِرِ الشُّهَدَاءِ فَتَبْكِي حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا ثُمَّ تَنْصَرِفُ .
وَ أَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (رضى الله عنه فَبَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، مَا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إِلَّا بَكَى ، حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلًى لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ !
قَالَ : { إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ } ، إِنِّي لَمْ أَذْكُرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقَتْنِي لِذَلِكَ عَبْرَةٌ ".

وأنا أعتقد أن أى أب آخر غير يعقوب لوكان أولاده فعلوا به ذلك لكان دعا عليهم وتبرأ منهم وربما طردهم خارج البيت وقال لهم: يا كذبة يا قتلة أنتم لستم أبنائى..ولكنه لم يفعل ذلك بل على العكس قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ولم يتهمهم حتى بالكذب أو يشتمهم أو يسبهم ولما طالبوه بأن يسامحهم ويطلب لهم الغفران من الله قائلين:"يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين" وافق على الفور واستغفر لهم بمنتهى الحب والتسامح ولم يتردد لحظة ولم يتوقف لمعاتبتهم وتوبيخهم بكلمة " قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم " الله .

ولا أعتقد أن أولادًا قد عقوا أباهم مثل هذا العقوق ومع ذلك سامحهم بمنتهى البساطة والسهولة والسرعة وأيضًا سيدنا يوسف عليه السلام حين طلب منه إخوته أن يسامحهم لم يقل لهم: قلبى وربى غاضبين عليكم ليوم الدين لقد فرقتم بينى وبين أبى وتعذبت بسببكم سنوات طويلة أنتم مجرمون لا تستحقون التسامح بل تستحقون الموت على فعلكم. وكان بإمكانه أن يسجنهم وينتقم منهم وهو ذو منصب كبير لكن الكريم إذا قدر عفا فقال لهم بمنتهى الحب: لا تثريب عليكم اليوم.

إذن العبرة ليست بحجم الظلم وشدته وقسوته ولكن العبرة بأن قلب المؤمن يتسع لكل الناس ولا يجتمع الإيمان وحب الانتقام فى قلب المؤمن فالتسامح يدل على صدق الإيمان ولنا فى ذلك أمثلة عديدة لكفار كان الغل والحقد وحب الانتقام يملأ صدورهم ولكن بعد إسلامهم تحولوا مئة وثمانين درجة إلى التسامح فخالد بن الوليد اشترك فى حروب ضد المسلمين وكان قلبه يمتلئ كراهية للنبى وأصحابه أما بعد إسلامه فقد أصبح سيف الله المسلول كما أن المسلمين نسوا ما فعله بهم أيام أن كان كافرًا بل رحبوا به واتبعوه وحاربوا تحت قيادته واتسع له صدر النبى ولم يعاتبه أحد على أيام كفره وظلمه..وكذلك عمر بن الخطاب الذى كان ذاهبًا لقتل النبى صلى الله عليه وسلم ثم أصبح يحبه أكثر من نفسه ولم يكرهه الرسول لأنه حاول قتله..وهند بنت عتبة التى لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب عم الرسول من شدة غيظها منه – حتى سميت آكلة الأكباد - ثم بعد الإسلام إذا بها لا تشعر بغل ولا غيظ من أحد ولم يكرهها المسلمون لفعلتها هذه..وكذلك الخنساء كانت تنعى أخاها صخرًا فتقول:ولولا كثرة الباكين حولى لقتلت نفسى ثم بعد الإسلام قالت بنفس راضية مطمئنة: الحمد لله الذى شرفنى باستشهاد أولادى الأربعة..أليس هذا القلب هو هو نفسه الذى كان ساخطًا وكارهًا قبل الإسلام ؟ كيف تحول إلى هذا الحد الذى يفرح بالموت ما دام فى سبيل الله ؟

فالأصل فى الإسلام أن المسلم لا يكره الظالم ولكن يكره أفعاله حتى إذا انتهت هذه الأفعال فإننا نعود إلى حبه ، نحن لا نكره العاصى ولكن نكره معصيته وبدلا من أن ندعو عليه ندعو له بالهداية. مثلما فعلت السيدة رابعة العدوية حين دخل عليها لص ليسرق ، هى لم تغضب منه ولم تعاتبه ولم تبلغ عنه الشرطة لأن قلبها كان عامرًا بحب الله فلم يترك مكانًا لكراهية أحد بل دعت له الله بالهداية والتوبة فتاب الرجل على يديها وبعد أن دخل عندها سارقًا خرج من عندها تائبًا صالحًا..هذا هو شعور المؤمن وسلوكه الذى نستطيع أن نقيس به صدق إيماننا. ويكفى أن نذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال :"من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل" فأراد

أحد الصحابة أن يعرف ماذا يفعل هذا الرجل ليستحق دخول الجنة فبات عنده ليلة فلم يجده يصوم أو يصلى أكثر من الفرائض فتعجب وسأله فقال له أنه ينام وليس فى قلبه ذرة حقد أو غل أو كراهية لأحد.

والإمام أحمد بن حنبل شتمه رجل ذات يوم بينما كان يمشى فى الشارع ثم جاء فى اليوم التالى يعتذر له ويطلب منه أن يسامحه فقال له الإمام: منذ أن تركتنى وأنا أدعو لك بالهداية..إذن استجاب الله دعاءه وهداه وهكذا استفاد الاثنان الأول كفاه الله شر الرجل حتى لا يؤذيه مرة أخرى والثانى اهتدى فنفع نفسه ودخل الجنة أليس هذا أفضل من أن يدعو عليه أن يخسف الله به الأرض مثلا أو غير ذلك من أساليب الدعاء؟ وحين جلده الجلاد بأمر الخليفة حتى تقطع لحمه وأغمى عليه وعانى آلامًا شديدة أقعدته عن الحركة ولم يستطع أن ينام على ظهره من شدة الألم لكن بمجرد أن طلب منه جلاده العفو سامحه فورًا دون تردد..وحين ذهب الخليفة المعتصم لانقاذ المرأة التى قالت : وا معتصماه قالوا له: أتعفو عنه بعد كل ما فعل بك ؟ قال: يكفى أنه نصر الاسلام والمسلمين .. ما هذا القلب الطاهر النقى الذى لا يحمل غلاً لأحد. وكذلك الإمام مالك حين عفا عن جلاده والخليفة الآمر بجلده رغم أن كتفه انخلع ولم يعد يستطع الصلاة إلا وذراعيه فى جنبيه.

والسيدة عائشة رضى الله عنها عفت عن حسان بن ثابت الذى خاض فى عرضها وشرفها وكانت تتكلم عنه بمنتهى التسامح فقيل لها: كيف تمدحينه وقد قال عنك كذا ؟ فتقول: يكفى أنه شاعر الرسول وناصره بشعره. إن من بين أدعية القرآن:ربنا لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا" وأول شئ يفعله الله بأهل الجنة هو"ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوان على سرر متقابلين ". حتى سيدنا نوح عليه السلام حين دعا على قومه لم يكن هذا بدافع كراهيته لقومه وحب الانتقام ولكن لأنه خشى أن يضلوا المؤمنين ويفتنونهم عن دينهم :"رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك"

وحتى قطز قاهر التتار سامح بيبرس حين قتله وقال:"قتلنى بيبرس وقد سامحته وأمر الناس أن يسمعوا له ويطيعوا من بعده وقال له أنه كان ينوى التنازل له عن العرش ..ما هذا القلب الصافى ؟ يعفو عن قاتله ويتمنى له التوفيق فى منصبه الذى انتزعه منه بل ويأمر الناس بطاعته ؟! وبيبرس يندم على قتله ويحتفظ بقميصه ويشمه ويبكى كلما تذكره ؟ هذه هى نتيجة التسامح كما أنه لم يقتله إلا بعد الانتصار على التتار وبعد انتهاء المعركة حتى لا ينهزم المسلمون أمام التتار. ما هذه الأخلاق الكريمة حتى فى القتل. إن جرائم الأمس كان يشوبها شئ من الأخلاق والرحمة أما اليوم فالجرائم تمتاز بأنها بشعة وخالية من الرحمة وتمتلى بالحقد والتشفى..وحتى الإمام على رضى الله عنه حين قتل لم يكره قاتله بل أوصى أصحابه عليه وأمرهم ألا يمثلوا بجثته..

و قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة حين جاء فاتحًا فقال لهم:"ما تظنون أنى فاعل بكم فقالوا :"أخ كريم وابن أخ كريم" فقال:"اذهبوا فأنتم الطلقاء".. بعد كل هذا العذاب الذى عذبوه له والإيذاء البدنى والنفسى سنوات طويلة له ولأسرته وأتباعه يعفو هكذا بلا مقابل وبهذه البساطة والسهولة ؟! . وسيدنا أبو بكر الصديق حين قرر معاقبة الرجل الذى خاض فى عرض ابنته وقطع المعونة عنه فنزلت الآية تنهاه عن ذلك وتطالبه بالصفح والعفو بل والعودة إلى الإحسان إليه؟

حين فجرت أمريكا قنبلة نجازاكى وهيروشيما ودمرت قريتين بأكملهما وتسببت فى تشوهات للأجنة وأمراض وإشعاع للجيل الجديد من اليابانيين ودمرت اقتصاد اليابان لم يمتلئ اليابانيين بالحقد والغل لأمريكا وحب الانتقام بل كان تفكيرهم إيجابيًا وقرروا الوقوف من جديد على أقدامهم وإصلاح ما تهدم والآن العلاقات اليابانية الأمريكية على ما يرام لم تنقطع رغم ما حدث فقد سامح اليابانيون ونسوا فلماذا لا يسامح الكويتيون العراقيين ؟

قال الله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *

وكظم الغيظ رده في الجوف ، يقال: كظم غيظه أي سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، وكظمت السقاء أي ملأته وسددت عليه، والكظامة ما يسد به مجرى الماء، ومنه الكظام للسير الذي يسد به فم الزق والقربة. وكظم البعير جرته إذا ردها في جوفه ، وقد يقال لحبسه الجرة قبل أن يرسلها إلى فيه: كظم، حكاه الزجاج. يقال: كظم البعير والناقة إذا لم يجترا.

قال تعالى : وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم
وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم - من كظم غيظًا وهو قادر على أن يُنْفِذَهُ دعاه الله -عز وجل- على رُءُوس الخلائق حتى يخيِّره الله من الحور ما شاء

وليعلم المسلم أنه بعفوه سوف يكتسب العزة من الله ، وسوف يحترمه الجميع، ويعود إليه المسيء معتذرًا .
يقول تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم مانَقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله وروى أبو داود وأبو عيسى الترمذي عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي اجره على الله فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة) : بغير حساب). ذكره الماوردي. وقال ابن المبارك: كنت عند المنصور جالساً فأمر بقتل رجل، فقلت : يا أمير المؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله عزو جل من كانت له يد عند الله فليتقدم فلا يتقدم إلا من عفا عن ذنب) فأمر بإطلاقه . . وإن الله) عز وجل يوم القيامة يقول للمظلوم انظر الى هذا القصر هل تريده فيقول له وكيف لى ان أحصل عليه فيقول بعفوك عن ظالمك فيقول عفوت عنه يا رب فيقول خذ بيده وادخلا الجنة.

أما من الناحية الصحية والنفسية: فهناك فوائد كثيرة لمن يعفو عن الناس ، يقول الدكتور إبراهيم الفقى أستاذ التنمية البشرية: إن الإسلام أمر بالتسامح وحث عليه حتى لا يظل المؤمن طوال حياته منشغلا بكيفية الانتقام من ظالمه فبدلا من أن يضيع عمره ويبدد طاقته فى الكراهية والعداء فليسامح حتى يتفرغ لمهمة أعظم بكثير هى الرسالة التى خلق من أجلها وتحقيق هدف وجوده فى الحياة وهى عبادة الله وإعمار الأرض وهذا لن يتحقق إذا كان الإنسان منشغلا طوال الوقت بفكره فى كيفية الثأر والانتقام كما أن ذلك سيسبب له أمراضًا نفسية وعصبية إذا عجز عن الانتقام..ونهاية الأمر سيموت الاثنان ولن يكسبا شيئا من العداوة أثناء حياتهما فالحياة فترة قصيرة يجب أن نعيشها فى هدوء وسلام ولا نضيعها فى حروب وعداوات مستمرة تجاه الآخرين.

- فمن الناحية النفسية: فـ قد ذكر علماء النفس أن الرضا عن النفس وعن الحياة يعالج كثير من الأمراض والاضطرابات النفسية .

وقد ذكرت مجلة (دراسات السعادة) أن هناك علاقات وثيقة بين التسامح والمغفرة من جهة وبين السعادة والرضا من جهة ثانية، وقد تم إجراء دراسة على عدد من الأشخاص عن طريق توجيه عدد من الأسئلة.. وقد ثبت أن أكثر الناس سعادة هم الذين يعفون عن الناس .

- ويطلق علماء النفس على التسامح أنه يسمح للشخص بإطلاق مشاعره السلبية الناتجة عن غضبه من الآخرين بطريقة ودية .

- أما من الناحية الصحية: فالعفو يقي الإنسان من العديد من الأمراض.. فقد ذكرت دراسة أن هناك علاقة بين العفو وأمراض القلب.. وأن أقل الناس إصابة بأمراض القلب هم أهل العفو .

- فهم لا يعانون من ضغط الدم والقلق والتوتر فهو يخفف نسبة موت الخلايا العصبية في الدماغ.. كما ثبتت الدراسات أن العفو يقوي جهاز المناعة لدى الإنسان وهو علاج قوي لعلاج الأمراض .

وقد ذكرت دراسة أمريكية حديثة صورت من جمعية الطب السلوكي أثبتت أن العفو والتسامح يساعدان على تخفيف ضغط الدم والتوتر النفسي والقلق .

- وهكذا فـ لو أن الناس أخذت بالعفو لحافظوا على صحتهم وأنفسهم وأعصابهم.. ولكانوا في غنىً عن كثير من الأمراض العصبية والنفسية من القلق والتوتر العصبي والنفسي.. وأمراض القلوب من الغل والحقد والحسد ..وكان المجتمع أسعد.

هذه هى فلسفة التسامح فى الإسلام فهل من متدبر ؟؟؟

مفهوم الجمال فى الإسلام

كل يوم يضع لنا خبراء الجمال فى العالم مقاييس جديدة للجمال فبالأمس كان مقياس جمال الوجه أن يكون كامل الاستدارة كالبدر ليلة تمامه أما اليوم فقد تخلوا عن هذه القاعدة وقالوا لا يشترط فى الجميلة أن يكون وجهها مستديرًا..وقالوا قديمًا أن المرأة جمالها أن تكون أقرب إلى السمنة أى تكون ممتلئة القوام أما اليوم فقد تغيرت المقاييس وأصبحت عكس ذلك فأضحت النحافة هى علامة الجمال وكلما كانت العظام بارزة والجسد نحيل كانت المرأة أجمل ..وتنافست النساء من أجل الوصول إلى أقصى درجة من النحافة فمنهن من لجأت للرجيم ومنهن من اشترت دواء للنحافة ومنهن من مارست الرياضة من أجل إنزال وزنها.

و لقد حدّد المجتمع الغربي ال مقاييس التي تمثّل المرأة الجميلة، وهي أن تكون طويلة، رشيقة، شقراء . أما المجتمع العربي فكانت مقاييس الجمال الأساسية لديه الإمتلاء والبياض، الأنف الدقيق والعيون الواسعه الكحيلة و العنق الصافي الطويل والجسم الممتلىء مع الشعر الأسود الطويل والبشرة البيضاء الصافية .

وكثير من الناس يعتقد أن البياض الناصع فى المرأة علامة جمال وأن العيون الزرقاء والشعر الأصفر من علامات جمال المرأة والرجل.. وكثيرًا ما لجأ مشاهير الفن إلى عمليات تجميلية لتتوافق أجسامهم مع المقاييس الجديدة للجمال وكلما تغيرت هذه المقاييس لجأوا إلى عمليات أخرى وهكذا..فذات الشعر الأسود تصبغه بالأصفر وذات العيون السوداء تضع العدسات الزرقاء..وهكذا.

والغربيون اليوم يفضلون الطول الفارع ويهتمون به كثيرًا كأهم مقاييس للجمال ، فكلما كانت المرأة طويلة كلما كانت جميلة.. أما في اليابان فـ هناك مقاييس مختلفه إذ يفضلون المرأة الناعمة الرقيقة البيضاء ، صافية البشرة والعنق ، هادئة الصوت والتي تكون قدماها صغيرتان ومشيتها رقيقة ومتقاربة الخطى وكانوا يعتبرون الطول
عيبا لاميزة في المرأة أى أن أهم شئ فى المرأة الي ابانية هى أن تكون صغيرة القدمين حتى أنهم يضعون أقدام الفتاة الصغيرة فى قالب حديدى حتى لا تكبر ولا تنمو أكثر من ذلك الحجم.

أما بعض الشع وب مثل ال إسكيموا والهنود الحمر فـ يهتمون برائحة المرأة وبالذات
رائحة الفم والجسم والشعر إذ يحرصون على وضع الزيوت
العطريه والأوراق بالشعر مع مضغ بعض النب ا تات التي تطيب رائحة الفم
وهم يختبرون رائحة فم المرأة وجسمها قبل خطبتها ومنها الخاطبة التي
تقوم بمهمة شم رائحة المرأة
المستهدفة .....

أما الفراعنة القدماء فقد ا هتموا بالعيون الكحيلة أكثر من غيرها إذ بحثوا عن أجود

أنواع الكحل لأن المرأة كلما ركزت على جمال عينيها أصبحت أكثر
سحرا وجاذبيه واهتموا كثيرا بالعطور والأبخره ..... وهم أول من استخدم
اللبان لتعطير الفم ....

أما بعض القبائل الأفريقية ف يزيدون في مهر المرأة كلما ا زداد سواد
بشرتها لأن ذلك ليس دليلا على الجمال فقط !! بل دليل على صفاء
عرقها كما أنهم لايفضلون الشعر الطويل أبدًا إذ يقومون بحلق الفتيات
تماما ((على الصفر)) حتى تبدو أكثر أنوثة وجاذبيه !!!!!! كما تعجبهم
السمنة!!! ..... أى أن المرأة الجميلة فى نظر الأفارقة هى المرأة الصلعاء شديدة السواد السمينة.

أما قبائل منغوليا والتبت : تفضل العنق الطويل جدا حتى أنهم يضعون
حلقات معدنيه على عنق الفتاة منذ ولا دتها كل عام حتى يزداد
طولها وقد تصل الحلقات لعدد كبير جد ا حتى
إن المرأة لتبدو كالزرافة .... لكنها الأجمل لديهم .....

أما في جنوب السودان وبعض الدول الأفريقية ف تهتم بعض القبائل جدا
بالشقوق التي يقومون بعملها على وجه المرأة منذ ولادتها كحماية
لها !!... وكذا بطنها ويديها ويعتبرون المرأة غير المخمش ة ناقص ة وقد
لاتصلح للزواج ,,,,,,,

إذن مقاييس الجمال فى العصر الواحد مختلفة من مكان إلى آخر فالطول المستحب فى بعض البلدان مكروهًا فى بلدان أخرى والامتلاء المطلوب فى بلد مكروهًا فى بلد أخر والبياض المفضل فى مكان غير محبوب فى مكان آخر...إذن فالجمال نسبى ؛ ما يراه البعض جمالاً يراه البعض الآخر قبحًا ودمامة..فما هو مقياس الجمال الحقيقى الذى لا يتغير ؟؟؟

إن خالق الجمال وهو الله سبحانه وتعالى قد حدد لنا مقاييس الجمال التى لا تتغير بحكم أنه الخالق المبدع وهذه المقاييس هى: بالنسبة للمرأة ، فإن المرأة الحوراء هى الجميلة ، والحَوَر هو شدة بياض بياض العين وشدة سواد سواد العين وهى لذلك مكافأة المؤمنين فى الجنة أى الحور العين فلو كانت العيون الزرقاء أجمل لقال الله عزو جل أن نساء الجنة ستكون ذوات عيون زرقاء أو خضراء وأن شعورهن ستكون صفراء.

يقول أطباء العيون أن وصف حور العين فى القرآن فيه استحالة فى تحققه فى الدنيا لأن لون إنسان العين الذى نطلق عليه مجازًا أسود هو اللون البنى الداكن..وهذا معناه أن لون العين كلما كان داكنًا كان أجمل وليس العكس ، وقد فتن الشّعراء ب سواد العين ، إذ غدوا صرعى بسحره . قال جرير

إنّ العيون التي في طرفها حورٌ

قتلننا ثمّ لم يُحيين قتلانا

..فالرجل الذكى إذن هو الذى يختار عروسه بمقاييس الجمال التى وضعها الله وليس بمقاييسنا نحن

وقديمًا كانت الأم أو الأخت تذهب إلى بيت العروس لتتفحص جسدها وأردافها وأسنانها وشعرها وبروز نهديها كأن العروس جارية معروضة فى سوق النخاسة..رغم أنه لابد أن ينظر للمرأة على أنها إنسان له قيمة ، هذه القيمة لا تستمدها من جسدها ولكن من دينها وعقلها وأخلاقها..وقد قال عبد الوهاب فى أغنيته الشهيرة:"وعشق الروح ليس له آخر أما عشق الجسد فهو فانى" إذن فإن الجمال الحقيقى هو جمال الروح. لذا فقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:"تنكح المرأة ل......و....و....فاظفر بذات الدين تربت يداك ولأمة خرساء سوداء ذات دين أفضل". يعنى لو امرأة سوداء وخرساء (أى ليست جميلة) تكون أفضل من الجميلة غير المتدينة.

هذا الهوس العالمي بجمال المرأة تجاوز حدود المعقول.. وبدأ يتعداه إلى حدود غير طبيعية.. إذ أصبح البحث عن الجمال هاجس المرأة الأول والأخير حتى إنها أصبحت تقي م بجمالها ولا شئ غيره كما يحدث في مسابقات الجمال العالمية. وأصبح الأمر منتشراً لدرجة مريعة.. لدرجة أثرت في نفسية كثير من النساء والفتيات، فأصيب بعضهن بعقد النقص، والبعض بهوس تغيير المظهر ما بين فترة وأخرى، بينما البعض عانى من أمراض نفسية وعضوية بسبب ذلك البحث عن الجمال.. بمفهوم الغرب.. وبدراسة حقيقة الاهتمام العالمي بمسألة الجمال أضحى حفل اختيار ملكة جمال العالم أو الكون حدثاً عالمياً تنقله كل وكالات الأنباء و جميع القنوات الفضائية..لماذا كل هذا الاهتمام بجمال المرأة.. ولماذا أصبح الغرب أنفسهم يعارضون هذه الاحتفالات ويعتبرونها رمزاً للعنصرية وإهانة المرأة..

و في وقتنا الحالي انتشر هوس كبير بحفلات ملكات الجمال ، والذي انتقل من المجتمعات الغربية إلى مجتمعاتنا حتى غدا لكل مناسبة ولكل موسم ملكة جمال فتلك ملكة جمال العارضات، وتلك ملكة جمال السمراوات أو الشقراوات، و تلك ملكة جمال المراهقات أو الأطفال، والأخرى ملكة جمال الربيع وتلك ملكة جمال الريف وصولاً إلى ملكة جمال موسم البطيخ بل وملكة جمال القمامة!!..
و من العمليات الخطرة التي تقوم بها بعض الطامحات للقب أن يقمن بإزالة الزوج السفلي من أضلاع الصدر في عملية جراحية خطرة حتى يضيق الخصر أكثر وتصبح أكثر مطابقة للمقاييس. ورغم أن ذلك يعرضهن لمتاعب صحية جمة فيما بعد.. إلا أن ذلك يهون لديهن في سبيل المال والشهرة..

إن مقاييس الجمال التى وضعها الله تعالى مجسدة فى النبى صلى الله عليه وسلم فقد خلقه الله على أجمل صورة فلم يكن شديد البياض والبرص ، يتلألأ نوراً وكان أسيل الوجه مسنون الخدين ولم يكن مستديراً غاية التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة ، هو أجمل عند كل ذي ذوق سليم ، وكان حاجباه صلى الله عليه وسلم قويان مقوسان، متصلان اتصالاً خفيفاً، لا يرى اتصالهما إلا أن يكون مسافراً وذلك بسبب غبار السفر . (أى عنده عبسة) وكان صلى الله عليه وسلم مشرب العينين بحمرة، وهي عروق حمر رقاق . وكانت عيناه واسعتين جميلتين، شديدتي سواد الحدقة، ذات أهداب طويلة - أي رموش العينين - ناصعتي البياض كان صلى الله عليه وسلم شديد السواد رجلاً، أي ليس مسترسلاً كشعر الروم ولا جعداً كشعر السودان وإنما هو على هيئة المتمشط ، يصل إلى أنصاف أذنيه حيناً ويرسله أحياناً فيصل إلى شحمة أذنيه .

فالشعر الناعم شديد النعومة الذى ليس به أية تموجات ليس جميلا بمقاييس الله بل الجمال أن يكون ناعما فى تموجات ولذا فإننا نجد مصففى الشعر العالميين يخترعون آلة لتجعيد الشعر الناعم حتى يكون جميلا. والبياض الناصع أيضا ليس جميلا ولكن البياض المشرب بالحمرة..

وقد قال الشيخ الشعراوى رحمه الله أن أذواقنا يجب أن تتغير حسب المقاييس التى وضعها لنا الله ورسوله والمتجسدة فى أوصاف الرسول وفى قوله أن الرجل إذا تزوج المرأة لجمالها فقط فهو خاسر خسرانا كبيرا لأن الجمال زائل ويمكن أن يكون نقمة على الإنسان "فعسى جمالهن أن يرديهن". وكثيرا ما فشلت زيجات لزوجات جميلات.

أما جمال الرجل فالمعروف أن فكرة الناس عنه هى أن يكون الرجل ضخمًا عريض المنكبين طويلا مسترسل الشعر لكننا لو نظرنا إلى زوجة موسى عليه السلام نجد أنها أحبت فيه قوته وأمانته فهى لم تقل لأبيها مثلا يا أبت استأجره إن خير من استأجرت الطويل العريض أو الوسيم الجميل أو ذو الشعر المنسدل على الجبهة فرغم أن موسى عليه السلام كان أسمر البشرة ذو شعر أجعد إلا أن المرأة استطاعت أن ترى فيه جمال آخر هو جمال الخلق والروح. فقد وجدت أن الأمانة هى أجمل كثيرا من جمال الوجه والملامح.

وكذلك فإن الجمال الحقيقى ليوسف عليه السلام لا يكمن فى جمال خلقته بل فى جمال أخلاقه ودينه. وقد أوقعه جماله فى مشاكل عديدة فحين تغزلت فيه امرأة العزيز قال لها: آه لو رأيتنى بعد دفنى سوف تنفرين منى أما جمال الدين والأخلاق والروح فيستمران بعد الوفاة. وأعتقد أن الله عزوجل قد خلقه على هذه الصورة الجميلة ليلقن الناس درسًا أنهم لا يجب أن ينصب اهتمامهم على جمال الشكل ولكن الأهم أن ينظروا لجمال الأخلاق والدين وبالفعل فإن زوجة العزيز فى نهاية القصة قد تعلمت الدرس ووعته وكذلك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وكل قارئ للقصة لا بد أن يعى هذا الدرس العظيم فقد جعلها الله قرآنا يتلى إلى يوم القيامة لنتعلم منها.

كانت هناك امرأة سوداء ليست جميلة فتزوجها رجل وعندما رأى وجهها لأول مرة يوم العرس هرب منها فقالت له:لعل الله يجعل فيما تكره خيرا.. وتحمل المرأة وتمر الأيام وإذا بالمرأة تلد ابنا وتربيه تربية دينية حتى يكون فقيها ويراه الأب فيعجب به وهو لا يعلم أنه ابنه وعندما يعلم يعود إلى الأم ويتذكر قولها:لعل الله يجعل فيما تكره خيرا.. فيندم ويتعلم أن المرأة ليست بشكلها ولكن بدينها وأخلاقها وعقلها.

مر شاب بابراهيم بن أدهم (رضى الله عنه) وهو يعظ الناس فقال الشاب لابراهيم بن ادهم يا ابراهيم انى أحب فتاة جميلة فقال له يا بنى لا جمال تراه الا فانيا فاشغل نفسك بالجمال الاعظم تذوب في الوجود وتختلط بحقائق الامور فقال له الشاب يصف له جمال محبوبته
فقال له آه لو رأيت عينيها أو دانيت وجنتيها آه لو رأيت ثغرها وهى تبتسم لكانت عذابك الدائم الذى تحبه
فقال له إبراهيم بن أدهم
يا مسكين آه لو رأيتها بعد الموت بلحظات وقد تغير لونها وشحب وجهها واصفر بياضها واهطل خدها لذهل عقلك وآه لو رأيتها بعد موتها بثلاثة أيام وقد تعفن جسدها ونتن ريحها وتمزق لحمها وسرح الدود فى ما كنت تشتهيه من محارمها فماذا أنت فاعل وقتها يا مسكين يا فتى .

يحكى أنه في القرن الأول الهجري كان هناك شابا تقيا يطلب العلم ومتفرغ له ولكنه كان فقيرا وفي يوم من الأيام خرج من بيته من شدة الجوع ولأنه لم يجد ما يأكله فانتهى به الطريق الى أحد البساتين والتي كانت مملوءة بأشجار التفاح وكان أحد أغصان شجرة منها مت دليا في الطريق ... فحدثته نفسه أن يأكل هذه التفاحة ويسد بها رمقه ولا أحد يراه ولن ينقص هذا البستان بسبب تفاحة واحدة ...

فقطف تفاحة واحدة وجلس يأكلها حتى ذهب جوعه ولما رجع الى بيته بدأت نفسه تلومه وهذا هو حال المؤمن دائما جلس يفكر ويقول كيف أكلت هذه التفاحة وهي مال لمسلم ولم أستأذن منه ولم استسمحه فذهب يبحث عن صاحب البستان حتى وجده فقال له الشاب يا عم بالأمس بلغ بي الجوع مبلغا عظيما وأكلت تفاحة من بستانك من دون علمك وها أنا ذا اليوم أستأذنك فيها فقال له صاحب البستان .. والله لا أسامحك بل أنا خصيمك يوم القيامة عند الله .. بدأ الشاب المؤمن يبكي ويتوسل إليه أن يسامحه وقال له أنا مستعد أن أعمل أي شي بشرط أن تسامحني وتحللني وبدأ يتوسل إلى صاحب البستان وصاحب البستان لا يزداد إلا اصرارا وذهب وتركه والشاب يلحقه ويتوسل إليه حتى دخل بيته وبقي الشاب عند البيت ينتظر خروجه الى صلاة العصر... فلما خرج صاحب البستان وجد الشاب لا زال واقفا ودموعه التي تحدرت على لحيته فزادت وجهه نورا غير نور الطاعة والعلم فقال الشاب لصاحب البستان يا عم إنني مستعد للعمل فلاحا في هذا البستان من دون أجر باقي عمري أو أي أمر تريد ولكن بشرط أن تسامحني عندها ... أطرق صاحب البستان يفكر ثم قال يا بني إنني مستعد أن أسامحك الآن لكن بشرط .. فرح الشاب وتهلل وجهه بالفرح وقال : اشترط ما بدا لك ياعم فقال صاحب البستان : شرطي هو أن تتزوج ابنتي !!!! صدم الشاب من هذا الجواب وذهل ولم يستوعب بعد هذا الشرط ثم أكمل صاحب البستان قوله ... ولكن يا بني اعلم أن ابنتي عمياء وصماء وبكماء وأيضا مقعدة لا تمشي ومنذ زمن وأنا أبحث لها عن زوج أستأمنه عليها ويقبل بها بجميع مواصفاتها التي ذكرتها فإن وافقت عليها سامحتك

صدم الشاب مرة أخرى بهذه المصيبة الثانية وبدأ يفكر كيف يعيش مع هذه العلة خصوصا أنه لازال في مقتبل العمر؟ وكيف تقوم بشؤنه وترعى بيته وتهتم به وهي بهذه العاهات ؟ بدأ يحسبها ويقول اصبر عليها في الدنيا و انجو من ورطة التفاحة !!!!! ثم توجه الى صاحب

البستان وقال له يا عم لقد قبلت ابنتك و أسال الله أن يجازيني على نيتي و أن يعوضني خيرا مما أصابني فقال صاحب البستان .... حسنا يا بني موعدك الخميس القادم عندي في البيت لوليمة زواجك و أنا أتكفل لك بمهرها

فلما كان يوم الخميس جاء هذا الشاب فقال له أبوها: يا بني... تفضل ب الدخول على زوجتك وبارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما على خير و أخذه من يده وذهب به إلى الغرفة التي تجلس فيها ابنته فلما فتح الباب ورآها .... ف إذا فتاة بيضاء أجمل من القمر قد انسدل شعرها كالحرير على كتفيها فقامت ومشت اليه ف إذا هي ممشوقة القوام وسلمت عليه وقالت : السلام عليك يا زوجي .... أما صاحبنا فهو قد وقف في مكانه يتأملها وكأنه أمام حورية من حوريات الجنة نزلت إلى ال ارض وهو لا يصدق ما يرى ولا يعلم مالذي حدث ولماذا قال أبوها ذلك الكلام ... ففهمت ما يدور في باله فذهبت اليه وصافحته وقبلت يده وقالت إنني عمياء عن النظر إلى الحرام وبكماء من النظر الى الحرام وصماء من الاستماع إلى الحرام ولا تخطو رجلاي خطوة إلى الحرام .... و إنني وحيدة أبي ومنذعدة سنوات و أبي يبحث لي عن زوج صالح فلما أتيته تست أذنه في تفاحة وتبكي من أجلها قال أبي أن من يخاف من أكل تفاحة لا تحل له سوف يتقى الله فى ابنته . . وبعد عام أ نجبت هذا الفتاة من هذا الشاب غلاما كان من القلائل الذين مروا على هذه الأمة ..أتدرون من ذلك الغلام ؟ إنه ال إمام أبو حنيفة صاحب المذهب الفقهي المشهور .

هذه القصة نخرج منها بدروس:أولاً: أن الأب أراد أن يتأكد من صدق إيمان الرجل لأنه لو مؤمن فعلا لن يهمه الجمال بقدر ما يهمه الدين ويُفهَم من القصة أن الأب قد عرض ابنته بأوصافها تلك على عرسان كثيرين قبله فلم يوافقوا ، لكن نية هذا الشاب الصادقة جعلته يفوز بتلك الفتاة التى جمعت كل المحاسن خَلقا وخُلقا ، ولأنه فقير فقد زوجه الله دون أن ينفق شيئًا وجعله يلتقى بذلك الرجل لأن نيتهما معا كانت الفوز برضا الله وفى نفس الوقت فاز الرجل بزوج صالح لابنته..وكانت مكافأة الله لهما أن رزقهما بولد هو الإمام أبو حنيفة فيما بعد ..هل رأيتم قيمة أن الإنسان حين يهتم بالجوهر دون المظهر فإن الله يكرمه ؟ فالشاب لم يطلب حتى أن يرى الفتاة ليعاينها ويرى هل تصلح له أم لا ؟ بل فكر فى الجنة وكيف يفوز بها حتى لو كان ذلك على حساب دنياه فكافأه الله.

فالذى يخطب امرأة مثلا وتتعرض لحادث فتفقد ساقها أو يدها أو تصاب بالعمى أو المرض فيتركها خطيبها..فإن هذا يدل على أنه عشق جسدًا دون روح. فالجسد معرض للموت أو المرض أو الشيخوخة.أما الروح فهى باقية.

أما قصة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين تسلق النخلة ليقطف منها الرطب فضحك الصحابة لدقة رجليه فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم: إنها عند الله أثقل من جبل أحد..وكان أحد الصحابة أسود دميم فاحتضن النبى ظهره وقال مازحا: من يشترى هذا العبد ؟ فقال: إذن تجدنى كاسدا يا رسول الله..فقال النبى: ولكنك عند الله غالى.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم". وقد قال الله تعالى:"إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ولم يقل :"إن أكرمكم عند الله أجملكم".

فليتنا نتعلم هذا الدرس ونعرف أن الجمال الحقيقى فى الدين والأخلاق والروح.

الثلج الساخن

الحياة مليئة بقصص أغرب من الخيال وكثيرًا ما تلعب الأقدار والظروف دورًا خطيرًا فى حياة الإنسان..ومن هذه القصص الغريبة التى قامت ببطولتها الأقدار والظروف قصة رجلان عاشا معًا طفولة سعيدة فكانا زميلي دراسة فى مقعد واحد ، يتقاسمان الطعام والشراب لا يفترقان إلا وقت النوم ، وكثيرًا ما كانا يتبادلان الزيارات العائلية ، ويتبادلان حضور أعياد ميلادهما والذهاب للنوادى الصيفية والرحلات المدرسية وممارسة الأنشطة الرياضية.. وكانت تجمع بينهما الهوايات المشتركة والطباع المتقاربة.. وظلا هكذا زمنًا ليس بقصير ، إلى أن شاءت الأقدار وفرقتهما الأيام ، حيث تزوج أحدهما بعد أن تخرج فى كلية الحقوق وسافر الآخر ليعمل فى إحدى الدول العربية كمندوب مبيعات حيث لم يكمل تعليمه وترك دراسته فى كلية الحقوق مع صديق عمره..وتدرج الأول فى المناصب وترقى حتى أصبح قاضيًا ذائع الصيت فى العدل واحترام القانون.

وذات يوم التقى الصديقان من جديد فى ساحة القضاء أحدهما قاضٍ والآخر متهم بالتزوير. وحينما رأى القاضى صديقه يقف ماثلاً بين يديه فى قفص الاتهام تذكر أيام الطفولة الجميلة وأيام الدراسة السعيدة..أفبعد كل هذه الأيام والسنوات يقدر له ان يحكم على صديق طفولته الذى أحبه وبعد فراق دام سنوات طوال حينما يلتقيان يكون فى ساحة القضاء متهمًا والمطلوب منه أن يحكم عليه حكمًا عادلاً جزاء تزويره ؟ فنظر القاضى إلى صديقه طويلاً يفكر فى أمره وينظر إلى لافتة مكتوب عليها:"الحق فوق كل شئ". ماذا يفعل أتنتصر العاطفة على الحق والضمير والعدل !؟ أم أنه يلتزم بالقسم الذى قطعه على نفسه حين توليته هذا المنصب وينطق بحكم عادل؟ وصديقه المتهم ينظر إليه فى استعطاف وعيناه ترجوانه ألا ينطق بحكم ربما قضى على مستقبله والناس جلوس على المقاعد تنتظر بماذا يحكم على المتهم ؟ ووكيل النيابة يذم فى المتهم ويطالب بأقصى العقوبة وأن تكون عقوبة قاسية جزاء ما ارتكبه من جريمة شنعاء. والقاضى الحائر ينظر إلى كل هذا ثم يطأطئ رأسه حيرة فيتكلم عقله وضميره تارة ويتكلم قلبه وعاطفته تارة أخرى وهو حائر يتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه فى جوفها أو أن كارثة تحدث فتخلصه من هذا الموقف البغيض..ولقد هم بألا يحكم عليه الحكم العادل لولا أن تذكر الآية الكريمة التى تقول:"يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين". وأحس أنه لو انتصر للصداقة التى تجمعهما فى الدنيا فسيخسرها فى الآخرة حيث قال تعالى:"الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين".

وفجأة رفع رأسه ثم نطق بالحكم الذى فكر فيه قبل النطق به مرات ومرات مستسلمًا لنداء الضمير الذى كان صوته أعلى من صوت العاطفة وبعد مداولة زملائه كان الحكم: حكمت المحكمة حضوريًا على المتهم بالسجن عشر سنوات مع الشغل والنفاذ..وهكذا انتصر نداء الحق والضمير على نداء القلب وانتهت القصة بإسدال الستار على المتهم عشر سنوات كان خلالها القاضى يذهب إلى بيت صديقه سرًا ويتفقد أحوال أسرته وينفق على بيته وهكذا وجد الحل الذى يريح قلبه كما استراح ضميره.

نرمين كحيلة

آداب الاستئذان فى الإسلام

إن الإسلام يولى عناية فائقة بالحياة الاجتماعية ويقدس الحياة الأسرية لكى يمنح الناس فرصة أن يحيوا حياة كريمة ، ولسوف يجد المرء فى القرآن الكريم وفى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التى توضح تلك الميزة فى الإسلام عند زيارة الأقارب والأصدقاء ، ولعل ذلك هو أبلغ رد على أولئك الذين ينادون بالفصل التام بين الدين والدنيا. لقد كانت عادة الناس فى الجاهلية أن يدخلوا البيوت دون استئذان وأحياناً كان أصحاب البيت يريدون أن يخلدوا للراحة مما يجعلهم غير متأهبين لاستقبال الضيوف. لم يقبل الإسلام بهذا السلوك وحاول أن يلفت انتباه الناس للطريقة المثلى لكى يسلكوا سلوكاً متحضراً ويحترمون حقوق بعضهم البعض ؛ فوضع آداباً للزيارة منها :

أولاً: يجب الاتصال بأصحاب المنزل قبل الحضور إليهم لتحديد موعد للزيارة وعدم مفاجأة أصحاب البيت بالزيارة حتى يأخذوا استعدادهم ؛ فهذه سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان لا يذهب لزيارة أحد ولا حتى زوجاته إلا إذا أرسل من يخبرهم أنه قادم. أما الآن فالتليفون موجود فلماذا لا يتم استخدامه ؟ فلو كان النبى صلى الله عليه وسلم يحيا بيننا الآن لاستخدمه وأوصى باستخدامه.

ثانياً: أمر الإسلام الضيوف ألا يدخلوا مساكن غيرهم إلا بعد الاستئذان والسماح بالدخول وإذا لم يعطِ صاحب البيت الإذن بالدخول فيجب على الضيف الرجوع دون أن يغضب فربما يكون صاحب البيت فى حال لا تمكنه من استقبال أحد ، وهذا ما تخبرنا به الآيات الكريمات من سورة النور (27 -28):"يأأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم". وكلمة تستأنسوا فى اللغة ليس معناها فقط الاستئذان ولكن أيضا ترحيب أهل البيت بالضيف فالله عز وجل لم ي قل تستأذنوا بل قال تستأنسوا ، أى تتأكدوا أنكم مرغوب فيكم من أصحاب البيت.

ثالثاً: ينبغى طرق الباب ثلاث مرات فقط فإذا لم يفتح الباب انصرف الزائر ، وهذا ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم مع سعد بن عبادة حتى يعلم الناس كيف يقتدون به ويسيرون على هديه لكى يؤسس مجتمعاً صحياً مهذبًا. فقد جاء النبى الكريم لزيارته وطرق الباب ثلاث مرات فهم بالانصراف لولا أن ناداه سعد ورحب به وأدخله.

رابعاً: إذا وقف الزائر على الباب فيجب عليه أن يقف فى جانب الباب وليس فى مواجهته حتى لا يكشف عورات المنزل ومن بداخله فربما تكون هناك امرأة عارية أو مكشوفة الرأس فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه عندما كان يريد زيارة صحابته فإنه لا يقف أبداً فى مواجهة الباب ولكنه يقف إلى اليمين قليلاً ثم يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خامساً: يجب على الزائر أن يجلس فى أول مقعد يقابله ولا يلف كثيراً بين الكراسى حتى يختار منها ما يعجبه ، كما يجب على الضيف أن يجلس فى المقعد الذى لا يكشف الحجرات الداخلية حتى لا تقع عينه على عورة ويجب أيضاً أن يغض بصره فلا يتطلع إلى سقف البيت وجدرانه وكل جزء فيه ؛ فقد روى عن أحد السلف أنه كان يزور صديقه لمدة عشرين سنة وهو غاض البصر عما بداخل البيت حتى ظنت زوجة صاحب البيت أن صديق زوجها أعمى فقالت له أن صديقه الأعمى سوف يزوره غداً ثم فوجئت به يقول لها أنه مبصر ولكنه يغض بصره.

سادساً: عدم الجلوس طويلاً مع صاحب البيت حتى لا يؤذيه فربما كان المضيف مشغولاً أو متعباً أو يريد أن ينام ؛ فقد روى عن الإمام أبى حنيفة أنه كان مريضاً ذات يوم فعاده بعض أصحابه فأطالوا الجلوس حتى أتعبوا أبا حنيفة فقال لهم مازحاً: قوموا فقد شفانى الله. وهذا مذكور فى سورة (الأحزاب آية 53) :"إن ذلك كان يؤذى النبى فيستحى منكم " يعنى الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لشدة حبهم للنبى صلى الله عليه وسلم يجلسون عنده ساعات طويلة فكان ذلك يجهده فلا يستطيع أن يستريح ويستحى أن يقول ذلك لهم حتى لا يحرجهم فنزلت الاية الكريمة تنهى الناس عن المكوث طويلاً فى بيوت الغير.

سابعاً: عندما يسأل صاحب الدار من خلف الباب : من الطارق ؟ يجب على الزائر أن يذكر اسمه وحاجته إن أمكن ولا يقول: "أنا" ، فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن زائراً أتاه فسأله من بالباب فقال: "أنا" فقال النبى : أنا أنا !! كأنه كرهها وفى رواية أخرى قال: لا أعرف أحداً يسمى أنا.

ثامناً: يجب أن تكون الزيارة فى أوقات مناسبة فلا تكون فى الصباح الباكر ولا فى وقت متأخر من الليل ولا فى أوقات القيلولة والراحة والأكل.

تاسعاً: يجب على الضيف ألا ياكل كل ما يقدم له من طعام فربما يكون أهل البيت فقراء قدموا له كل ما لديهم من طعام.

وأخيراً، إذا كنا نستحق أن نكون مسلمين نتبع خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم فلماذا ننسى هذه التعاليم الرائعة ؟ فهيا بنا عزيزى القارئ نحيى سنة عظيمة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم كادت أن تندثر ونطبق ما أمرنا به الله فى الآية الكريمة.

التنطع فى حياة المسلم

أنا من أشد المعارضين للعلمانية التى هى فصل الدين عن الدولة والحياة بصفة عامة لأنى أعلم جيداً أنه ليس هناك فصل بين الدين والحياة فقد وضع لنا الإسلام قواعد للنوم والأكل والشرب والزواج و...و....إلخ. ولكن أن يصل الأمر بالناس إلى حد إلصاق كل شئ بالإسلام فهذا أمر لا يقبله عقل ؛ فالمتابع لبرامج الفضائيات يلاحظ مدى التفاهة التى وصلنا إليها والتركيز على سفاسف الأمور فهذه مثلاً امرأة تسأل: هل يحل لى

نتف شعر الوجه والجسم ؟ وهذا رجل يسأل:هل يجوز تحريك الشفايف بالدعاء أثناء الوضوء فى الحمام أم نقول الدعاء سراً ؟ وسؤال آخر عن قضية أثارها شخص ما زعم أنه من علماء الدين وأحدثت بلبلة فى نفوس الناس وهى قضية إرضاع الكبير وهناك من يسأل هل لبس اللون الأحمر أو الأصفر حرام أم حلال ؟

إنه من المؤسف حقاً بل من المحزن فى آن واحد أن تثار قضايا هزلية مثل تلك القضايا فى عصرنا هذا ، أقل ما يقال عنها أنها مضحكة ومثيرة للاشمئزاز فى الوقت نفسه !! وأعتقد أن من يسمعنا من غير المسلمين ونحن نثير هذه المسائل التافهة لا يسعه إلا أن يضحك ويقع على الأرض من شدة الضحك ، ففى عصر كعصرنا هذا وكل هذه التحديات تواجه المسلمين فى شتى بقاع الأرض من مشرقها إلى مغربها وهذا الهجوم الشرس على الإسلام والأعداء الذين يتربصون بنا فى كل مكان ويحتلون بلادنا مازلنا نناقش هذه الأمور المضحكة تاركين ما هو أهم وأنفع للمسلمين لنصرة دينهم والارتقاء بأمور دنياهم..ولا أستبعد أن يأتى اليوم الذى يسأل فيه مسلم عن رأى الإسلام فى البامية باللحم الضانى وهل يجوز أكلها مع المعكرونة أم أنها أفضل مع الأرز؟ أو أن يسأل آخر ما رأى الإسلام فى أكل الفول فى الفطور؟ وهل يستحب أكل الطعمية معه مع العيش البلدى أم الفينو؟ وهذا ما جعل بعض الجماعات الإسلامية فى يوم من الأيام تتعرض لفتوى عجيبة وهى أن أكل الخيار حرام لأنه من الممكن أن يستغل فى شئ آخر محرم وأن ركوب السيارة بدعة لأنها لم ترد عن الرسول صلى الله عليه وسلم.....إلخ.

إن الإسلام أكبر وأجل من ذلك بكثير فإن كان قد وضع لنا قواعد عامة للباس الرجل والمرأة وهو أن يكون فضفاضاً يستر العورة فقد ترك لنا اختيار الألوان والموديلات حسب ذوق كل مسلم ولم يفرض شكلاً معيناً أو زياً موحداً وهذا الأمر يسرى فى جميع مناحى حياتنا ؛ فمثلاً عندما طالبتنا السنة الشريفة ببعض الأدعية المستحبة قبل النوم وطريقة النوم نفسها على الشق الأيمن من الجسد لم تحدد لنا نوع السرير الذى ننام عليه أو المرتبة أن تكون قطنا أو اسفنج وهل لابد أن نرتدى أثناء النوم بيجامة أم قفطان أم قميص نوم بل ترك لنا الدين مساحة من الحرية حتى لا نشعر أننا فى معسكر فى الجيش أو نختنق من كثرة الأوامر الدينية ، وكذلك عندما قال لنا الشارع:"حرمت عليكم الخبائث " و"أحلت لكم الطيبات" وضع القاعدة العامة ثم ترك لنا التمييز بين ماهو خبيث وما هو طيب فمثلاً السجائر كيف يمكن تصنيفها ؟ هل هى من الخبائث أم من الطيبات ؟ لقد قال الطب والعلم أنها من الخبائث وتسبب أمراضاً وتؤدى إلى الوفاة وبذلك يتضح لكل ذى عينين أن السجائر محرمة تحريماً قطعياً ولا يحتاج أى مسلم بعد ذلك أن يسأل المفتى أو شيخ الأزهر عن حرمة السجائر إذ أنها شئ بديهى يستطيع المسلم الوصول إليه بالمنطق إذا كان لديه عقل سليم ، ولا يصح بعد ذلك أن يجادل أى مسلم فى السجائر هل هى مكروهة أم محرمة ؟ وهكذا نستطيع أن نفعل فى كل مناحى حياتنا دون أن نعرض أنفسنا لأن نكون أضحوكة ومحل سخرية الجميع على مرأى ومسمع من الفضائيات وملايين الناس يشاهدوننا ويشاهدون الإنحدار الذى وصلنا إليه.

ولقد صدق العقاد حين قال أن التفكير فريضة إسلامية ، وألف كتاباً فى ذلك مطالبا كل مسلم بالتفكير واستخدام العقل وإلا أصبحنا مثل الأقوام الذين دخلوا النار أفواجاً فسألتهم الملائكة: ألم يأتكم نذير؟ قالوا:.....لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير. وهذا معناه أن عدم استخدام هؤلاء القوم لعقولهم أوردهم جهنم وبئس المصير.

وهذا ما فعله بنو إسرائيل حين طلب منهم سيدنا موسى أن يذبحوا بقرة فأخذوا يسألون عن لونها وشكلها و..و...و..فحينما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم.. يقول المفسرون:ولو أنهم ذبحوا أية بقرة لأجزأت أى لقبلها الله منهم ، ولذا فإن النبى الكريم يقول :"لا تشددوا فيشدد الله عليكم....ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه."

ومثلاً هناك من يسأل هل عيد الأم بدعة أم يجوز الاحتفال به ؟ وهل الاحتفال بعيد الميلاد يجوز؟ إن عيد الأم هو عيد اجتماعى ليس له علاقة بالدين أساساً أو مناسكه أو شعائره فلا يصح أصلاً مناقشة هذا الموضوع من الوجهة الدينية إلا إذا كان يتعارض تعارضاً صارخاً مع مبادئ الدين أو صلب العقيدة. ولنا أن نلاحظ أن الإسلام حين جاء لم ينه الناس عن الاحتفال بأعيادهم الاجتماعية أو ممارسة عاداتهم وتقاليدهم طالما لا تتعارض مع الإسلام فى شئ ؛ يعنى مثلاً إذا دخل الإسلام بلداً معيناً كفارس أو الهند أو مصر وكان القوم يحتفلون بجلوس ملكهم على العرش فهل يحرم الإسلام ذلك ؟ بالطبع لا. أو إذا كان القوم يحتفلون بسبوع المولود ابتهاجاً منهم بقدومه وشكرًا لله على نعمه فهل يحرم الإسلام ذلك ؟ من المؤكد لا ؟ أما الحديث الشريف الذى يقول:"الإسلام يهدم ما قبله" فهذا معناه أن ما قبل الإسلام من الذنوب والخطايا مغفور بإذن الله فعندما جاء عمرو بن العاص ليعلن إسلامه أمام الرسول صلى الله عليه وسلم قبض عمرو يده وقال:أسلم بشرط أن تغفر خطاياي فقال له النبى صلى الله عليه وسلم:"يا عمرو إن الإسلام يهدم ما قبله". ولكن بعض المغرضين فهموا هذا الحديث على أن الإسلام يلغى كل عادات وتقاليد الشعوب حتى وإن كانت حلالاً وهذا غير صحيح وليّ لعنق الحقائق....لقد نهانا الرسول عن التشدد والتنطع والتفكير فى سفاسف الأمور وقال:"هلك المتنطعون" أى المتشددون ؛ ويقول الإمام الغزالى –رحمه الله– أن مثل المسلم الذى يشدد على نفسه ويأخذ بأشد الفتاوى مثل الرجل الذى يشترى من محل غالى الثمن بينما لديه محلات أخرى رخيصة تبيع نفس السلعة ، فهل نحن منتهون؟؟!!

رسالة الى دعاة تحرير المرأة

إلى هؤلاء الذين رفعوا راية العرى والإباحية والسفور متخذين من الحرية شعارا لهم أقول : إنكم خدعتم المرأة حينما ألقيتم فى روعها أنها أسيرة ملابسها وأن تحريرها يبدأ أولا من تحررها من ملابسها. إن الله - سبحانه وتعالى - عندما خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة قال لآدم :"إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى" (طه 118) . إذن فأول شئ فعله الله لآدم هو ستر جسده وأول شئ فعلاه عندما ظهرت عورتهما لأول مرة هو الخجل من هذا العرى ثم مداراته وإخفاؤه بأية طريقة وبما أنه لم تكن الملابس قد وُجِدَت فى ذلك الوقت فقد سترا عورتهما بورق التوت .. " فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة" (طه 121) رغم أنه لم يكن أحد يراهما غير الله – خالقهما - والملائكة ولم يقل لهما أن هذه العورة يجب أن تغطى لكنه الحياء الفطرى الذى أودعه الله فى الإنسان منذ خلقه ومنذ البداية نلاحظ دور الشيطان الرئيسى فى مسألة العرى هذه .." فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما" (الأعراف 20) ، إذن العرى هو من عمل الشيطان ونتيجة للمعصية . " فدلاهما بغرور" (الأعراف 22) ، "وعصى آدم ربه فغوى ....قال اهبطا منها جميعا " (طه 118 - 123) ؛ إذن فالترتيب المنطقى للآيات : وسوسة الشيطان ثم المعصية ثم العرى وانكشاف العورات ثم الهبوط من الجنة.

فالعرى أساسا فكرة شيطانية . " يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا....لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم "(الأعراف 26،27) أى أن الشيطان يعرينا ليتفرج علينا هو وقبيله ويضحكون علينا وعندما نزل الإنسان الى الأرض وسكن الكهوف فى مرحلة الجمع والالتقاط كان عاريا أو شبه عارى أى أن العرى يرتبط بالبدائية والتخلف ولما تقدمت البشرية وبدأت مرحلة الاستقرار والزراعة ظهرت الملابس المصنوعة من الكتان والقطن وغيره.

وحاول الإنسان ستر أكبر قدر ممكن من جسده ليثبت أنه تقدم إذن التغطية والستر مرتبطين بالتقدم والرقى. وإذا جاز لنا أن نعرف الانسان بأنه حيوان ناطق وحيوان اجتماعى ....إلخ ، فان من الأولى أن نعرفه بأنه حيوان لابس (أى يرتدى ملابس) لأن الشئ الوحيد الذى يميز الانسان عن الحيوان هو الملابس فلا يوجد حيوان يرتدى ملابس .

وبعيدا عن الدين فان فكرة السفور والعرى سواء للمرأة أو للرجل هى فكرة بعيدة تماما عن الفطرة السليمة وتنافى الذوق الراقى وهى فكرة قبيحة بدليل استقباح آدم وحواء لمنظرهما ! فنرى مثلا الملكة بلقيس عندما جاءت من سبأ –وهى مملكة ذات حضارة عظيمة –إلى النبى سليمان (عليه السلام) كشفت عن ساقيها وهذا دليل على أنها كانت ترتدى الملابس الطويلة التى تغطى جسدها كله رغم أنها كانت كافرة . وفى العراق القديم كانت القوانين تقضى بأن المرأة المتبرجة أو السافرة هى امرأة داعرة عاهرة أما المحجبة فهى امرأة شريفة عفيفة طاهرة محترمة ، بل إن الديانة اليهودية تبيح للزوج أن يطلق زوجته إذا سارت فى الشارع عارية الرأس ، وهذا يدل على أن هذا الفعل قبيح وعار على من تفعله ، وكذلك فى الديانة المسيحية نرى السيدة مريم العذراء فى كل صورها محجبة ، والمسيحيات يتحجبن داخل الكنيسة.

ومن هذا المنطلق فان دعاة تحرير المرأة هم فى الحقيقة دعاة تحقيرها وليس تحريرها فهم يريدون تحرير المرأة من ملابسها وقيمها مثلما حرر الأمريكان الشعب العراقى من ملابسه وكشفوا للعالم كله عورته . وكذلك الرجل لا ينبغى له أن يلبس ملابس شفافة أو كاشفة لملامح جسده ، وقد طلبت امرأة يوما ما من الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يدعو لها الله ألا تتكشف أثناء نوبة الصرع ، أرأيتم الى أى حد هذه المرأة حريصة على عفتها وشرفها وجسدها ؟ بل إن غزوة من الغزوات قامت لنجدة امرأة مسلمة كشف اليهود عورتها . أما المرأة اليوم فتقول لمصممى الأزياء قولوا لى كيف أتكشف ؟ وهناك منافسة حامية الوطيس بين القنوات الفضائية فى أغانى الفيديو كليب حول من يكشف أكثر ومن يتعرى أكثر .. فيا مصممى الأزياء ويا مخرجى الكليبات ! اتقوا الله فى المرأة ولا تشمتوا بنا الشيطان.

نرمين كحيلة

أمة اقرأ لا تقرأ

من الأشياء المؤسفة بل والمحزنة أن مصر تتفوق على غيرها من الدول فى ارتفاع نسبة الأمية بعد أن كانت موئلاً للعلم والنور وقبلة للعلماء والمفكرين..فى عاصمتها أعظم جامعة فى العالم ، يفد إليها الطلاب من كل حدب وصوب ؛ فمصر منذ فجر تاريخها تقدس العلم وأهله ، وليس أدل على ذلك من أن قدماء المصريين قد جعلوا للمعرفة رباً يعبد سموه "تحوت" ؛ فهو ملهم الحكمة ورسول العلم وهو الذى ابتدع اللغة وبلغ الكلمة وهو الذى يرعى الكتَّاب (أصحاب العلم والمعرفة) ويحميها وهو الذى يبتهل إليه المعلمون ويضرع إليه طلاب المعرفة وعشاق الثقافة أن يتولاهم برعايته ويؤيدهم ويلهمهم الحكمة والمعرفة.

فمنذ أوائل عصور الدولة القديمة ظل أحد الأوضاع الأثيرة لتماثيل الكبراء ما يمثلهم فى سمة الكتاب وفى جلسة التربع التى كانوا يتخذونها والقراطيس منشورة بين أيديهم يسطرون فيها. وإن مدلول لقب الكاتب كان يشرف كبار الشخصيات أن يحتفظوا به دائماً، فكان التلميذ والمعلم يتخذان هذا اللقب على حد سواء حيث كان يرادف لقب المتعلم أو المثقف. ويمكن أن نستشهد هنا بما كان للقب الكاتب عند العرب من معنى واسع ففيه يقول ابن الإعرابى:"الكاتب عندهم العالم" ، وقد قال تعالى :"أم عندهم الغيب فهم يكتبون". وفى كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن قال:"بعثت لكم كاتباً من أصحابى" أى عالماً. لأن الغالب على من كان يعرف الكتابة أن عنده العلم والمعرفة ، وكان الكاتب عندهم عزيزاً وفيهم قليلاً.

وعرف المصريون إلى جانب تحوت ربة للكتابة والتسطير سموها "سشات" وكانت موكلة بالتسطير والتسجيل والحساب كما كانت ربة خزانة الكتب. واعتبر المصريون معرفة الكتابة والتسطير مظهراً من مظاهر النشاط الإلهى الخلاَّق لأن الله خلق الكون بكلمة وصورة النطق بها (أى الكتابة) مقدسة من أجل ذلك لأنها صورة من القدرة الإلهية ؛ ومن هنا جاء تقدير من يكتب لأن الكتابة عندهم شئ عظيم جدًا وقد يكون من أبلغ الأدلة على تقديس المصريين للكتابة أن يقدسوا أدواتها فهذه سيدة تتعبد مصلية لأداة الكتابة من قلم ودواة وها هى الأداة مرفوعة إلى السماء بأيدى اثنين من المعبودات ومن حولها أركان الدنيا الأربعة تعبدها وهذا يعتبر وسام من أوسمة الشرف يحمله علية القوم وبه يفخرون.

ولا شك أن المعرفة والعلم والثقافة كانت فى عقيدة المصريين أسمى ما يمكن أن يصل إليه المرء فى حياته ، كما كانت سبيل الخلود بعد مماته ، فاسم العالم فوق الأسماء ، وعلمه نور من السماء ، كما كانوا يكرهون الجهل وينفرون منه ، بل كانوا يعدونه قذرًا ينبغى أن يزال بالتعليم كما يغسل القذر بالماء..ونجد نفس التقديس للكتابة فى الإسلام حيث قال تعالى فى سورة القلم:"ن والقلم وما يسطرون" ؛ فقد أقسم الله بالقلم (وهو أداة الكتابة) ثم بالكتابة نفسها. و"ن" معناها قلم فى اللغة الحبشية ، والبراهين على تقدير المصريين للعلم وأهله ، ونفورهم من الجهل والجهال كثيرة لا يكاد يحصيها العد فمن ذلك أن يقال للصبى:"لا تكن بغير لب كمن لم يتعلم" ، أو قولهم:"إن الأحمق من عدم المعلم ، ومن لم يعلمه أبوه كان تمثالاً من حجر".

فالمصريون لم يروا فى التعليم لوناً من ألوان الترف ولكن كان التعليم عندهم كالطعام والشراب (مثلما قال طه حسين أن العلم كالماء والهواء)..حسبنا أن نرى من صور حياتهم كيف أن الولد الجاهل كان حملاً ثقيلاً على أبيه ، كان له مصدر شقاء وتعاسة فى حياته ، يطأطئ الرأس خجلاً من بنوته ، ويضيق به حتى ليتمنى له الموت أحيانا. والواقع أنه ما من شعب قديم آثر التعلم وأهله أو الكتابة والكتاب بإكبار وتمجيد أكثر من المصريين القدماء ، كما كانت الحكومة تعفى موظفيها المتعلمين من الخدمة الإجبارية والضرائب فى الوقت الذى لم تكن تعفى

فيه مواطناً آخر منها تشجيعاً منها على التعلم ، فكان الداعى إلى الدراسة يعتبر نفسه داعياً إلى أقوال الرب والمنصرف عن الدراسة يعتبر نفسه منصرفاً عن أقوال الرب. وتضمن كتاب الموتى فصلاً يسمى فصل دعاء المحبرة واللوحة يؤكد فيه المتعلم لحارس تحوتى أنه أتاه صالحاً مجداً مزوداً بالكتب حتى تكون شفيعاً له فى الآخرة وكان الإله أوزير يغضب إذا أبحر إليه جاهل وهذا هو عين ما نجده فى الإسلام فليس من قبيل المصادفة أن تكون أول آية نزلت فى القرآن هى:"اقرأ" وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من دعا إلى محو الأمية حين طلب فى إحدى الغزوات أن يفتدى كل أسير نفسه بمحو أمية عشرة من الصحابة وذلك فى حد ذاته تقديراً منه لأهمية العلم والتعلم فالأمية بالنسبة له شرف أما بالنسبة لنا عار حيث يقول صلى الله عليه وسلم:"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضا الله عنه ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض ، حتى الحيتان فى جوف الماء ، "وإن فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب". وقال أيضاً:"يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء."

وفى بعض ما تقدم ما يقرب بين أثر التدين المصرى القديم وبين أثر التدين الإسلامى فى الحض على طلب العلم وفى إيثار المتدينين توجيه أبنائهم إليه:"طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة". وقد أخذ معلم يبصر تلميذه بسمو هذا المبدأ قائلاً:"إن كتاباً واحداً لأجمل من قصر مشيد"...أليس من العيب أن تكون أمة اقرأ لا تستطيع القراءة ولا الكتابة وخاصة فى مصر؟ ومن هنا فإننى أدعو كل فرد متعلم فى المجتمع إلى تعليم غيره ممن حرموا من نعمة التعليم وهذه مسؤولية يسأل عنها الله كل متعلم عن علمه ماذا عمل به ؟ فللعلم زكاة وزكاته أن يعمل العالم على توصيله للناس. لا بد أن يتحول هذا المشروع إلى مشروع قومى وليس مقصوراً على فصول محو الأمية بل يجب أن يقوم به الصديق لصديقه والجار لجاره والأولاد لأمهم وأبيهم وأن يكون فى كل عمارة وشارع ومسجد فصلاً واحداً على الأقل لمحو الأمية. إن الأمية وباء مثله مثل الكوليرا والإيدز والطاعون يجب أن نستأصل شأفتها من المجتمع يا أمة اقرأ!!!

نرمين كحيلة

وأن تصوموا خير لكم

إن للصوم فوائد عظيمة فقد جاء علماء الصوم الطبى فى الغرب اليوم وقاموا بشرحه الشرح العلمى المناسب مما يعد إعجازًا علميًا للسنة النبوية ؛ فقد جاء عالم غربى يسمى "شيلتون" وأثبت بالتجارب العلمية شفاء ثلاثة آلاف حالة صوم من أمراض مزمنة معضلة ومنها على سبيل المثال الشكوى من البدانة حيث استطاع الصوم الطبى أن ينقص الوزن أسبوعيًا ما بين 5-7 كجم دون أن يشعر الصائم بالجوع والوهن ، أما المصابون بالداء السكرى فيكفيهم صوم أسبوعين فقط حتى ينقص وزنهم وتزول أعراض الداء السكرى عندهم دون الحاجة للعودة إلى استعمال أى دواء خافض للسكر فى الدم..

ولدى المصابين بقرحة الدوالى استطاع الصوم أن يجلب الشفاء بعد ثلاثة أسابيع وقد عولج أشخاص من هذا الداء بعد أن يئسوا من الشفاء ، حتى إنه كان آخر ما وصف لهم بتر الساق من الركبة ، فقد عولجوا بالصوم لمدة 40 يومًا ، فكان الشفاء حليفهم وعند المصابين بالتهاب الوريد ، يعتبر الصوم أسرع علاج ، إذ أن الشفاء يتم بعد أسبوعين فقط وكذلك عند المصابين بحب الشباب ، يكفيهم صيام أسبوعين حتى تعود بشرتهم نضرة ، وكأنه قد أجرى لهم عملية تجميل ناجحة ويكفى أن نعرف أن أحد علماء الغرب اكتشف أن الإنسان يحتاج لصيام شهر سنويًا لصحته أما المصابون بأمراض الربو والسعال فقد كانت النتيجة رائعة بعد صيام ثلاثة أسابيع فقط..أما الذين يشكون من آلام فقرية سواء كانت رقبية أم عجزية قطنية فإن الصيام كفيل بضمان شفائهم بعد مدة ثلاثة أسابيع ، ويعتبر فقر الدم أحد الأمراض التى تشفى بالصوم مع أن القارئ قد يتصور عكس ذلك تمامًا إلا أن الحقيقة العلمية هى أن الحديد الذى يدخره الجسم يخرج أثناء الصيام وتنشط مراكز توليد الكريات الحمراء وهى تقى العظام فيشفى من فقر الدم ، كل ذلك ثابت بالتحاليل المخبرية الدموية كما يقلل الصيام من تزايد حمض البوليك فى الدم ، ولعل ذلك هو ما جعل للصيام أهمية قصوى فى حياة المسلم ليس لفوائده البدنية فحسب ولكن أيضًا لفوائده النفسية والروحية فالإنسان فى أثناء الصوم يصل إلى درجة الملائكية حيث أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولذلك فهناك بعض الذنوب لا يكفرها إلا الصيام عندما يكون الجسد قد غرق فى الشهوات والمعاصى فإن علاجه الوحيد هو أن يعود إلى حالة الملائكية بالصيام.

وقد كان ولا يزال الصيام هو وسيلة التقرب الأولى إلى الله – عزوجل- ولنتذكر سيدنا موسى عليه السلام حين ذهب لمقابلة ربه فطلب منه الصيام لمدة ثلاثين يومًا ولما انتهت المدة المقررة استحى أن يقابل الله بفم رائحته كريهة فأخذ عشبًا من الأرض وتلوَك به ثم تفله فجاءه جبريل عليه السلام وقال له:" لماذا أفطرت يا موسى ؟ " قال:" حتى لا أقابل ربى بفم كريه..فقال له:" إن ربك يقول لك:صُم عشرة أيام أخرى ولا تقابله إلا وأنت صائم." فأتمها موسى أربعين يومًا.

وعندما جاءت السيدة مريم العذراء ومعها المسيح تحمله قال لها الله:"قولى لكل من يقابلك إنى نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا". وكذلك زكريا عليه السلام كانت آيته ألا يكلم الناس ثلاث ليالٍ (وهذا هو نوع من أنواع الصيام ، صيام عن الكلام) وليتنا نصوم عن الكلام اليوم فإن آفة ألسنتنا هى كثرة اللغو والكلام. بل إن مشكلة عدم القدرة على الزواج حلها الإسلام بطريقة سهلة وبسيطة وهى الصيام فقد جاء فى الحديث الشريف:"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" هذه هى أهمية الصوم للصحة النفسية والبدنية.

أما أطرف العادات والتقاليد التى كانت تحدث فى شهر رمضان فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين فقد كان لهذا الشهر حرمة مقدسة يصومه الرجال والنساء والأطفال ، وتشجع المدارس الأطفال على الصيام وتؤنب المفطرين والويل كل الويل للمفطرين من عقاب الحكومة : أولاً فقد كان المحتسب يحاسب المفطر بعد أن يسأله عن سبب إفطاره لاحتمال أن يكون مريضًا أو مسافرًا فإن أثبت شيئاً مما يبيح له الإفطار عذره للجهر به. وإن كان مفطرًا لغير سبب أدَّبه..هذا عدا ما يلاقيه من استهزاء الأطفال والمناداة عليه:"يا فاطر رمضان يا خاسر دينك سكينة الجزار تقطع مصارينك" كما كانت الحكومة تعاقب المفطرين من موظفيها بغير عذر شرعى وفى القرن التاسع عشر الميلادى كانت دوائر الحكومة تعطل فيه ليتفرغ المستخدمون فيه للعبادة وأما فى الدولة المملوكية فقد كانت تعد برامج للاحتفال بليلة الرؤية ، منها إطلاق الصواريخ من ميدان التحرير لمدة ساعة تبدأ فى الثامنة والنصف ، كما أعدت اثنتا عشرة فرقة موسيقية للعزف فى أهم ميادين العاصمة ، وفى كل

الأحياء ليلة الرؤية ، وأيام ذكرى غزوة بدر وليلة القدر أو ليلة النصف من شهر رمضان ، وليالى عيد الفطر، وعهد إلى فرق أخرى بالعزف فى عواصم المديريات..ولكن من أسوا التقاليد والعادات فى هذا الشهر الكريم هو عدم فهم معنى الصيام الحقيقى فمثلا نجد بعض الأطفال يلعبون بالمفرقعات فيروعون المارة ويتلذذون بذلك رغم أنه منافيًا للأخلاق الإسلامية فقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:"لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلمًا" فيجب أن نربى أولادنا على تلك الأخلاقيات لا أن نشجعهم على ترويع الناس.

وأذكر أننى كنت يومًا أصلى صلاة التراويح فى أحد المساجد فجاء مجموعة من الصبية وأخذوا يلعبون بالمفرقعات فسمعنا دوى انفجارات شديدة فظننا أن انفجارًا ما وقع بالمكان وارتجف المصلون وهم فى قمة خشوعهم...وبرغم أن هذا هو شهر العبادات والتخفف من الطعام إلا أن ما يحدث هو العكس فقد درجت العادة عند الناس أن يكثروا من الطعام بل ويسرفوا فيه فتصبح أجسامهم ثقيلة غير قادرة على العبادة كما نجد عادة قبيحة وهى الخيم الرمضانية التى يتسحر فيها الناس مع تدخين الشيشة ومشاهدة الراقصات والمغنيات وغيرها...وهكذا يضيع معنى وقيمة وقت السحر الذى ينزل فيه الله تعالى من السموات العلا إلى السماء الدنيا يسأل عن حاجة الناس ليقضيها والملائكة تتنزل من السماء لتصلى على المتسحرين فكيف لا نخجل أن يرانا الله وملائكته فى ذلك الوضع المشين كما أن إقبال المسلمين بإسراف على مشاهدة التلفاز فى هذا الشهر وتضييع وقتهم فيما لا يفيد يفوت عليهم فرصة عظيمة فى أن يكونوا عتقاء الله من النار..أتمنى أن تختفى هذه المظاهر السلبية فى رمضان وكل عام وأنتم بخير.

نرمين كحيلة

فى رحاب آية

قلنا قبل ذلك مرارا ً وتكرارا ً أن المسلم لا ينبغى له أن يقرأ القرآن قراءة متسرعة بلا وعى ولا فهم بل ينبغى له أن يقرأه قراءة متأنية متمعنا ً ومتدبرا ً ما يحتويه من حكم وعبر ودروس فإن الله جل وعلا لم ينزل القرآن الكريم للتسلية وإنما أورد لنا قصص الأولين لنستخرج منها الدروس والحكم ، فإن آفة الكفار أنهم نظروا إلى هذه القصص على أنها أساطير الأولين لأنهم عجزوا عن أن يروا الحكمة من ورائها ، والآية التى سنعيش فى رحابها اليوم هى آية المحاجة بين إبراهيم عليه السلام والملك الذى جادله جدلا ً عقيما ً فأوقع نفسه فى حرج كبير ، وهى الآية رقم 158 من سورة البقرة :"ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين".يقول الله عز وجل :ألم تر يا محمد إلى من عمى عن أدلة الإيمان وجادل إبراهيم خليل الله فى ألوهية ربه ووحدانيته وكيف أخرجه غروره من نور الفطرة الذى وهبه ربه إياه إلى ظلام الكفر ؟ فعندما قال إبراهيم أن الله يحيى ويميت بنفخ الروح بالجسد ، وإخراجها منه ، قال:"أنا أحيى وأميت". بالعفو والقتل ؛ فقال إبراهيم - ليقطع مجادلته-:"إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب – إن كنت إلها ً كما تدعى ، فتحير وانقطع جدله من قوة الحجة التى كشفت غروره وعجزه (وربما استخدم الله تعالى كلمة "حاج" خصيصا ً لهذا السبب) والله لا يوفق المصرين المعاندين إلى اتباع الحق.

والدروس التى نخرج بها من هذه الآية الكريمة هى أن الإنسان بطبعه كثير الجدل ؛ فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز :"وكان الإنسان أكثر شئ جدلا ً".وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"طوبى لمن ترك الجدال ولو كان محقا ً"..ومن هنا فإن الإسلام قد نهى عن الجدال حتى ولو كان فى الحق أو بمعنى أدق بغضه إلى نفوس المسلمين ، فالجدال عند شراء السلعة (أى الفصال) مثلا ً مكروه ، والجدال فى أمر فرضه الإسلام مرفوض ، والجدال فى الحج أيضا حرام ، ويكون الجدال أبغض ما يكون حينما يتعلق الأمر بالبدهيات والمسلمات كوجود الله وحتى عندما يكون الجدال لا مفر منه فإن الإسلام يضع له ضوابط وشروط ألا وهى الجدل بالرفق واللين فقد قال تعالى :"وجادلهم بالتى هى أحسن" وأمرنا بالرفق فى الجدال حتى مع أهل الكتاب والكفار فقال:"لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن".

وعودا ً على بدء ، فإن ترك الجدال أولى فالملك الذى جادل سيدنا إبراهيم عليه السلام لو كان قد ترك الجدال لما أوقع نفسه فى هذا الحرج. ويذكرنا هذا بما فعله سقراط الفيلسوف اليونانى حينما تصدى للسوفسطائيين من أمثال "بورتاجوراس" الذين حاولوا رد الشباب اليونانى عن دينه بالجدل العقيم الباطل ، فخرج لهم سقراط فى الأسواق يجادلهم ويحاورهم حتى انتصر عليهم بالحجة والمنطق..

وحتى مع فرعون الكافر الظالم أمر الله سيدنا موسى عليه السلام استخدام اللين والقول الحسن والأدب فى مخاطبته فقال:"وقولا له قولاً لينا ً لعله يتذكر أو يخشى"(طه 44) وكان من الممكن أن يقول الله له:"واغلظ له القول يا موسى فإنه كافر ومجرم" لكن الله جلت حكمته وضع لنا القاعدة العامة الأساسية فى مجادلة الناس وخاصة غير المؤمنين منهم ، وهذا درس يجب أن يتعلمه كل مسلم حتى لا يتهم الإسلام بمعاداة غير المسلمين واستخدام العنف معهم..

كما أن الله تعالى هو الذى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أن يطرح هذا السؤال على الملك لأنه يعلم نفسية عبده وتفكيره ، يعنى ليس بذكاء سيدنا إبراهيم وعلمه استطاع أن يغلب الملك ولكن بتدبير الله كما أوحى من قبل إلى سليمان عليه السلام فى إحدى القضايا التى عرضت عليه وفى ذلك يقول:"ففهمناها سليمان" يعنى سيدنا سليمان لم يفهم القضية وحده بذكائه ولكن الله ساعده فى فهمها وكذلك عندما دبر يوسف مكيدة لإخوته ووضع فى رحلهم صواع الملك لم يكن هذا التدبير من ذكائه بل من تدبير الله حيث يقول تعالى:"وكذلك كدنا ليوسف" ، وهذا يدلنا على أن الإنسان لا يستطيع وحده التدبير والكيد إلا بمساعدة الله فلا ينبغى للمؤمن أن يغتر بعقله وذكائه ولكن عليه أن يستعين بالله فى كل شئ..

ولذلك فإن قارون حينما اغتر بذكائه وقال:"أوتيته على علم عندى" - يقصد أن الله ليس له دخل فيما وصل إليه من ثراء ونعمة وأنه بذكائه ومهارته استطاع جمع المال- فقد أدبه الله وعاقبه بأن خسف به الأرض وجعله عبرة لمن يعتبر. يروى أن ابن سينا - الطبيب العربى المسلم – كان حينما يكشف علي مريض فلا يعرف تشخيص المرض فإنه كان يصلى لله ركعتين فى جوف الليل ويطلب منه أن يدله على التشخيص السليم ثم ينام ، فكان يرى رؤيا فى المنام عن التشخيص والعلاج ؛ فعندما يستيقظ يتصدق على المساكين والفقراء شكرا ً لله على إرشاده وتوفيقه..

هكذا يجب أن يكون المؤمن يوكل أمره كله لله ولا يغتر بقدراته العقلية أو الجسدية مهما بلغت من قوة..أذكر أننى ذات يوم ذهبت إلى طبيب فى الأمراض الباطنية لعلة أصابتنى فى معدتى ووجدتها فرصة مواتية لسؤاله أيضاً عن برد أصابنى فى صدرى فوصف لى العلاج لكنه لم يأتِ بنتيجة مرجوة فذهبت إلى طبيب متخصص فى الأمراض الصدرية وحكيت له ماحدث فقال لى بغرور:"هذا الطبيب لا يفهم فى الأمراض الصدرية وهذا ليس تخصصه أما أنا فأعلم تماماً هذا المرض" ثم وصف لى علاجاً لم أشعر من خلاله بتحسن فذهبت إليه فتعجب أن الدواء لم يأتِ بنتيجة وشعر بخيبة أمل وأحسست ساعتها أن الله لم يوفقه للعلاج السليم لأنه اغتر بعلمه على الرغم من أن الجسم البشرى هو صنعة الله لا يعطى أسرارها إلا لمن اتقاه. ثم طلب منى بعض التحاليل التى كشفت عن نوع الميكروب ووصف له طبيب التحاليل العلاج ، فقد شفانى الله على يد طبيب التحاليل ليعطى درس لهذا الطبيب وأمثاله ألا يغتروا بعلمهم .

نرمين كحيلة

كيف نحتفل برأس السنة ؟

هل الاحتفال برأس السنة الميلادية بدعة ؟ هذا هو السؤال الذى يتردد على ألسنة كثير من الناس. البعض يؤكده والآخر ينفيه ، ولكن بين هؤلاء وهؤلاء أين الحقيقة ؟ الإجابة نعرفها إذا عرفنا أولاً ما هى البدعة ؟ فالبدعة كما ورد فى الحديث الشريف هى كل مستحدثة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

فالذين يقولون مثلاً أن الاحتفال بعيد الأم بدعة يكون معنى كلامهم أن تكريم الأم وإسعادها وإحضار الهدايا لها يكون ضلالة ولذلك فإن كل محتفل بأمه فى ذلك اليوم سيدخل النار. والذين يقولون أن الاحتفال بعيد الميلاد بدعة فمعنى هذا أن كل محتفل بعيد ميلاده يكون قد ارتكب معصية وضلالة ومصيره إلى النار. والذين يقولون أن قائل كلمة حرماً بدلاً من تقبل الله بعد الصلاة بدعة إنما يقصدون أن مأواه جهنم وبئس المصير. فهل هذا يعقل؟ إن الأم مكرمة فى الإسلام أيما تكريم ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم بيننا الآن وعرضت عليه فكرة الاحتفال بالأم لاستحسنها وشجعها لأنها تتوافق مع ما أمر به الإسلام وكذلك الذى يدعو لأخيه بعد الصلاة أن يزور الحرم لماذا يأثم ؟ إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدعو بهذا الدعاء لأنه ببساطة كان فى الحرم أما نحن فغاية أمنيتنا فى بلادنا البعيدة أن نزور الحرم فما الحرام فى ذلك ؟ إنما قال الرسول صلى الله عليه وسلم تقبل الله ليضرب لنا مثلاً فى نوعية الأدعية الممكنة بعد الصلاة لا أن يحرم أى دعاء سواه.

أما الاحتفال بعيد الميلاد فقد احتفل النبى صلى الله عليه وسلم نفسه بعيد ميلاده حيث سئل لماذا يصوم يوم الاثنين فقال :"ذلك يوم ولدت فيه". أليس الصيام هو نوع من الاحتفال ؟ ولكن لأنه لم يوجد فى أيامهم التورتة والجاتوه والشموع ولمقام النبوة فقد اختار أن يكون الاحتفال من خلال الصيام. والأصل فى الأشياء الإباحة إلى أن يأتى نص بتحريمها.

كما أن أبا لهب الكافر قد احتفل بميلاد ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فيوم ولد أعتق جاريته وذبح الذبائح ولذلك فإن الله عز وجل يخفف عنه العذاب فى ذلك اليوم لأنه فرح بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وطالما أن الاحتفال لا يتم بمعصية الله فليس حراماً. وقد قال صلى الله عليه وسلم:"من سن سنة حسنة فى الاسلام فله أجرها وأجر كل من عمل بها". يعنى مثلاً أذان الفجر أضاف إليه سيدنا بلال – مؤذن الرسول – جملة:"الصلاة خير من النوم" لأنه يعلم أن معظم الناس فى ذلك الوقت نيام وفعل ذلك دون الرجوع إلى النبى أو استشارته وأقرها عليه السلام وظلت تقال إلى يومنا هذا ولم يقل أحد ان سيدنا بلال قد ابتدع أو أتى بدعة.

وأيضاً رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا أن بلالاً يسبقه إلى الجنة فسأل عن ذلك فقيل له أن بلالاً كلما توضأ صلى ركعتين ولم يقل له الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الصلاة بدعة. والرجل الذى كان يقف خلفه صلى الله عليه وسلم وسمعه يقول بعد القيام من الركوع:"الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه" فسأل عن قائل تلك العبارة فقال رجل:"أنا يارسول الله" فقال له:"رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها قبل الآخر" ، ولم يقل له أنت قلت بدعة فى الصلاة. فطالما أننا نسن سنة حسنة ولا ننسبها للرسول فليست بدعة ، أما البدعة فهى الشئ الذى ليس من الشرع يعنى مثلاً لو توضأ رجل بلبن بدلاً من الماء فهذا بدعة أو لو صلى رجل الظهر ركعتان بدلاً من أربع فهذا بدعة. أو لو صمنا فى شهر مارس بدلا من رمضان فهذه بدعة.

ونعود إلى سؤالنا الأول هل الاحتفال برأس السنة بدعة ؟ إن كيفية الاحتفال هى التى ستحدد الاجابة فمثلاً هناك من يقضون تلك الليلة فى الملاهى الليلية ساهرين حتى مطلع الفجر فى الرقص ومعاقرة المسكرات وارتكاب كل أنواع الفواحش والكبائر وعندما ينتصف الليل يقبِّل كل رجل من يراقصها كعادة متبعة فى ذلك اليوم فضلاً عن تكسير الزجاج فى الشوارع مما يعرض امرأة أو طفل أو حتى حيوان للإيذاء كأنهم يقولون لله عز وجل:"سنعصيك خلال هذا العام" فأين الحياء من الله ؟ بدلاً من أن نشكره على أن وهبنا فرصة للحياة ومد فى أعمارنا حتى نعبده ! إن فى تلك اللحظة التى يرقص فيها هؤلاء ويتجرعون كؤوس الخمر هناك أخوة لهم يرقصون مذبوحين من الألم ويتجرعون كؤوس الاحتلال والتشرد والمجاعة والفقر والزلازل فى فلسطين والعراق وأفغانستان وباكستان ، وأظن أنه لا شئ يجعلنا نرقص ونغنى فالأولى أن نخجل من أنفسنا على تفريطنا فى حق أوطاننا وديننا. عام مضى على بلادنا العربية وأمتنا الإسلامية وهى منكوبة بذل الاحتلال وغيره من الأحداث التى يندى لها الجبين ورحم الله صلاح الدين حين قال:"كيف أضحك والقدس أسير؟

إن الاحتفال بليلة رأس السنة عادة وثنية قديمة حيث تحكى أسطورة الخلق العراقية أن صراعاً ما حدث بين الآلهة كان من نتيجته خلق الكون وكان على الملك والكهنة تمثيل دور الآلهة كل عام وإلا تهدد الكون بالفناء.. لقد كان الإيمان بتلك الأسطورة السبب فى ظهور ما يعرف باحتفال رأس السنة الذى ظل يقام سنوياً فى وادى الرافدين إلى قرون متأخرة جداً من تاريخ الحضارة البابلية. وإذا كان الأمر كذلك فكيف نحول نحن الآن هذا الاحتفال الوثنى إلى احتفال شرعى ؟ إننا كمسلمون من حقنا أن نحتفل بميلاد المسيح عليه السلام كما يحتفل به الأخوة المسيحيون على اعتبار أننا نؤمن بذلك النبى الكريم كما نؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قياساً على ما فعله الرسول عندما وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء (وهو يوم خروجهم من مصر ونجاتهم من فرعون وهو عيد الفصح عند اليهود) فقال للصحابة رضوان الله

(عليهم:"نحن أولى بموسى منهم" ولكنه أمرهم بمخالفتهم بأن يصوموا تاسوعاء وعاشوراء (أى اليوم التاسع من محرم.

ولكن كيف يكون الاحتفال ؟ بالطبع إننا نرفض أن نحيط ميلاد عيسى عليه السلام بكل هذه البدع والمنكرات (مثلما نرفض البدع التى تحيط بمولد محمد عليه السلام). إن الاحتفال يكون بأن نقف مع أنفسنا وقفة ونراجع حساباتنا خلال العام ومن الممكن أن نصوم هذا اليوم لله وأن نقرأ سورة مريم وآل عمران ونتذكر مدى المعاناة التى صاحبت ولادته وقصة السيدة العذراء مع قومها ، وندعو الله من صميم قلوبنا أن يحرر مسقط رأس المسيح من الاحتلال.

نرمين كحيلة

هل اللغة العربية فى طريقها للاندثار؟

غزو المصطلحات الأجنبية والثقافة الغربية ظاهرة

خطيرة تهدد مجتمعاتنا العربية والاسلامية

لغتنا العربية يسر لا عسر ونحن نملكها كما كان القدماء يملكونها. هكذا قال طه حسين لكنه لو كان يحيا بيننا الآن لمات كمداً وحسرة لما حدث للغة العربية فى بلادنا ؛ فالدستور ينص على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى الدولة وهذا يتضح من اسمها:"جمهورية مصر العربية". ويقول الحديث الشريف:"من أراد أن يدخل الإسلام فليتعلم العربية" فاللغة العربية هى دعامة أساسية من دعائم الإسلام فبها نزل القرآن الكريم وبها كُتِبَ الفقه بجميع مذاهبه وبها يقام الآذان خمس مرات كل يوم ، وهى لغة أهل الجنة ، كما أنها تمتاز على كل لغات العالم بطرافتها وغناها وكثرة مترادفاتها وجمال ألفاظها. فلماذا يسخر المصريون من لغتهم وحضارتهم ؟ نحن الشعب الوحيد الذى يسخر من لغته ؛ فالشعب الألمانى يرفض أن يتحدث بأية لغة غير اللغة الألمانية ، والشعب الفرنسى يرفض أن يتكلم بأية لغة غير الفرنسية ، وكل شعب يعتز بلغته.

ولقد عمل الاستعمار وأعداء الأمة الاسلامية فى جميع أنحاء الوطن العربى والإسلامى على هدم اللغة العربية ، وسعوا دائماً إلى القضاء عليها وصولاً إلى تحقيق هدفهم الكبير وهو تقويض أركان ديننا وإضعاف قوميتنا وتفتيت وحدتنا ، كما شجعوا الدخلاء على آدابنا ولغتنا كى يحطموا القواعد والأصول والضوابط لها حتى يختلط الأمر على كثير منا فلا نعرف الخطأ الشائع من الصواب المهجور، وانتشر اللحن ، وظهرت الأخطاء فى النطق والكتابة حتى بين المثقفين والكُتَّاب ومحررى الصحف والمجلات ومقدمى نشرات الإذاعة المسموعة والمرئية. وبهذا يكون الاستعمار قد فشل فى احتلالنا عسكرياً ولكنه نجح فى احتلالنا ثقافياً ؛ ففى الجزائر تم طمس الهوية العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها كما فعل ذلك فى دول إفريقية أخرى مثل أوغندة ودول جنوب إفريقيا ، وفى مصر بدأ الغزو الثقافى واللغوى مع قدوم الحملة الفرنسية عام 1798. ثم الاحتلال الإنجليزى عام 1882 ووجود الجاليات الأجنبية المختلفة

والتاريخ يشهد بأن مصر كانت دائماً هى البوتقة التى تنصهر فيها كل الثقافات والحضارات ولم تنصهر فى أحد فمثلاً عندما غزاها الهكسوس تمصَّروا ولم يستطيعوا فرض لغتهم وديانتهم على المصريين وهكذا فعل الفرس والليبيون والبطالمة والرومان..نحن الذين علمنا كليوباترا هى وكل الغزاة كيف يكونوا مصريين ، ولكن الأمر اختلف فى العصر الحديث وأصبح من الصعب بل من المستحيل الاحتفاظ بالهوية العربية مع العولمة التى تفرض نفسها الآن بقوة.

فمن مظاهر الغزو الثقافى أن كثيراً من المحلات والشوارع تحمل أسماءً أجنبية مكتوبة بلغة إنجليزية أو مكتوبة بحروف عربية ولكن نطقها أجنبياً وهذا أسوأ وأضل سبيلاً ، بل إن بعض الآباء والأمهات يتخاطبون مع أبنائهم باللغة الإنجليزية ويتفاخرون بأن لغتهم العربية ضعيفة وأنهم يتحدثون اللغات الأجنبية بطلاقة ويحاولون حشر بعض الكلمات الأجنبية فى كلامهم حتى يقال عنهم أنهم مثقفون ومتحضرون.

فهل ساهم الإعلام المصرى فى تشويه اللغة العربية وانحدارها ؟ وهل ساهمت المناهج التعليمية فى تخريج جيل جديد من الطلاب لا يعرف شيئاً عن لغته ؟ إن ضعف أبنائنا فى اللغة جعلهم لا يستطيعون فهم القرآن أو حفظه مما نشأ عنه إعوجاجاً فى الألسنة لاتستقيم معه القراءة...إن من يتابع الأفلام القديمة مثل أفلام يوسف وهبى وأمينة رزق وحسين صدقى يلاحظ أن لغة الحوار كانت سليمة وراقية رغم ما بها من ألفاظ أجنبية مثل:"أوتوموبيل"و"فريجيدير"و"منتوفلى" أما الآن فلغة الأفلام والمسلسلات بذيئة ومبتذلة وقد ساهمت السينما والمسرح إلى حد كبير فى تدهور اللغة فمثلاً مسرحية "الواد سيد الشغال" التى قام ببطولتها عادل إمام هناك مشهد فى المسرحية تتم فيه السخرية من اللغة العربية الفصحى بأسلوب يوحى بأنها لغة جافة وقبيحة وذات ألفاظ صعبة وغير مفهومة ، والأمثلة على ذلك كثيرة.

أيضاً هناك كثير من اللافتات على أبواب المحلات تعلن عن حاجتها لآنسات ذو خبرة وهم لا يعلمون أن كلمة آنسات هى جمع مؤنث سالم وكلمة ذو هى مفرد مذكر ، يعنى أبسط قواعد اللغة لا يعرفونها.. وحتى اللافتات التى تكتب فى الشوارع لإرشاد السائقين والمشاة تكتب بلغة خاطئة. وبسؤال صاحب محل أحذية "برايت شو"(أى الحذاء اللامع) عن سبب تسمية محله بهذا الاسم قال أنه اشترى المحل من سيدة كانت تسميه هذا الاسم وأن السجل التجارى والملف الضريبى يرد بهما هذا الاسم ومن الصعب تغييره لأنه يحتاج لإجراءات طويلة ومعقدة فاضطر لأن يستبقيه كما هو ، وأضاف أن عقدة الخواجة مسيطرة على كل مناحى حياتنا من مأكل وملبس ومشرب وتعليم فلا أحد يشترى منتجات بلده بل يفضلون المستورد ليس لجودته ولكن لمجرد التفاخر بأنه غير مصرى .. ويقسم الرجل أن الصناعة المصرية إذا تم تشجيعها ستتجه نحو الجودة لكن للأسف الثقافة الغربية هى المسيطرة وقال أنه يحب بلده ويتمنى أن تعود لها أصالتها وثقافتها بدلاً من الموضات الغربية التى انتشرت بين الشباب والملابس الإباحية فالشباب المسلم العربى لم يعد قدوته الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل أصبح قدوته مايكل جاكسون بتسريحة شعره وملابسه وأصبحت أكلته المفضلة هى الهامبورجر الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع.

سألته:إذا افترضنا أن هناك خواجة اشترى محلاً من شخص مسلم يحمل اسم محمد مثلاً فهل سيترك المحل بهذا الاسم أم سيغيره إلى جورج أو جوزيف مثلاً ؟ قال:طبعاً سيغيره بدون شك. قلت:فلماذا نتمسك نحن بالأسماء الأجنبية ؟ قال:الآمال معقودة على الجيل الجديد من الشباب فهو

الذى سيعود بنا لثقافتنا الإسلامية ويبدو أن الشعب عندما يتعرض لتدهور اقتصادى وحضارى فإنه يخضع لثقافة من هو أقوى منه حتى لو كانت خاطئة ويحاول تقليدها وبما أن أمريكا هى أقوى دولة الآن فثقافتها هى المسيطرة على العالم كله فمثلاً فى فترة من الفترات كانت الموضة هى المعطف المرسوم على ظهره الصليب وكانت تلاقى إقبالاً كبيراً من الشباب المسلم دون التفكير هل تناسبه تلك الموضة أم لا ؟ وأيضاً تسريحة "كابوريا" تخالف الإسلام فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يحلق المسلم بعض شعره ويترك بعضه.

ويقول صاحب محل "بيوتى سنتر" عن سبب هذه التسمية أنه يخشى حدوث لبس لدى الناس فلا يفرقون بينه وبين الكوافير إذا كتب على واجهة محله مركز تجميل ؛ لهذا فقد لجأ للاسم الأجنبى وأضاف أنه فى بيته يمنع أولاده من التحدث بأية لغة أجنبية أو أن ينادونه بكلمة "بابى" أو"دادى" كما أنه أبدى قلقه تجاه اعوجاج الألسنة فى قراءة القرآن بسبب ضعف اللغة العربية وعدم الاهتمام بها وأرجع ذلك إلى انشغال الأسرة عن تأصيل العروبة والدين فى نفوس أبنائها فيترك الآباء أبناءهم فريسة للانترنت والدش وكل وسائل التغريب ، ثم طالب بعودة حصص الخطابة فى المدارس.

أما محل "بلاك فورست" الذى يترجم فى العربية إلى الغابة السوداء فقد قال صاحبه أنه استوحى ذلك الاسم من اسم قطعة جاتوه يبيعها حيث أنه محل للجاتوهات والحلويات ، كما أنه (من وجهة نظره) اسم شيك.. كل هذا يجعلنا نأسف حقاً إذ ليس هناك لغة أشيك من اللغة العربية - إن جاز لنا التعبير- كما أننا لو تمعنا فحوى الاسم لأدركنا مدى قبحه وليس شياكته فكيف يفكر إنسان عاقل أن يشترى أو يأكل قطعة جاتوه من غابة سوداء مظلمة ؟ فهل هذا جهل باللغة أم عدم اعتزاز بها ؟ وهناك محلات أخرى كثيرة تحمل أسماءً أجنبية مثل كوافير "جولدن فينجرز"(الأصابع الذهبية) ومحل "واى نوت"(لماذا لا ؟) ومحل "فاست بريك" (الافطار) ومحل "رهف" لبيع الطرح للمحجبات الذى دفعنى فضولى لدخوله فسألت العاملة به: أتعرفين ما معنى كلمة رهف ؟ قالت: هو اسم جميل لكنى لا أعرف معناه فقلت لها:هى كلمة عبرية تعنى تنين متوحش صارع الرب قبل بدء الخليقة وهو مذكور بالتوراة ، فتعجبت الفتاة وقالت أنها سوف تطلب من صاحب المحل أن يغير هذا الاسم القبيح.

وعلى واجهات المحلات أصبح مصطلح "كوافير" حالياً يحل محل كلمة "مزين" قديماً التى كانت تحمل معنى أجمل كثيراً) أو مصفف شعر ، و"سوبر ماركت" بدلاً من سوق أو بقالة ، و"جاليرى" بدلاً من معرض وحتى من لديه قط أو كلب يسميه اسماً أجنبياً ، وأسماء معظم المنتجات فى الأسواق أجنبية رغم أنها مصرية وفى الشركات حلت كلمة "مستر وميس" محل كلمة أستاذ وأستاذة وكذلك فى المدارس أصبحنا نقول:"كى جى وان" و"كى جى تو" وعند الانصراف نقول "باى" بدلاً من مع السلامة أو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ويقول دكتور حامد عونى-الأستاذ الأسبق بكلية اللغة العربية أن الله تعالى جعل من سنته أن يكون بين الأمة ولغتها صلة فى الرفعة والانحطاط ، والموت والحياة فكلما ارتقت اللغة ارتقت منزلتها وكلما انحطت الأمة انحطت لغتها ، كذلك تحيا اللغة بحياة الأمة وتموت بموتها ، تلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وإذا كان لسان المرء أحد أصغريه المقومين له ونصفه المنضم إلى فؤاده ليكونا وحدته- لسان الفتى نصف ونصف فؤاده- فالأمة كذلك لسانها أحد أصغريها ، ونصفها المتمم لوجودها ؛ ومن ثم ندرك سر عناية الأمم القوية بنشر لغتها وفتح دور العلم وتشجيع الناس-ببذل الجوائز والهدايا- على الاقبال عليها. وهذا معناه أن اللغة عنوان الأمة ، وأن رقيها وامتداد ظلها هو رقى للأمة وامتداد لسلطانها.

أما الدكتور سيد عبد الغفار –الأستاذ بقسم اللغة العربية جامعة الأسكندرية -فيقترح أن تسن الدولة قانوناً يمنع أصحاب المحلات وشركات الأدوية من تسمية المحلات والأدوية بأسماء أجنبية فما دام الدواء يصنع فى مصر ومن قبل شركة مصرية فالأولى به هو الاسم العربى ، ويجب توقيع غرامة على المخالفين ، وهناك طفل ما قبل المدرسة يحفظ الكثير من الكلمات الأجنبية ويفرح به أهله حينما يتلفظ بها فلماذا لا نحفظه بيتاً من الشعر العربى البسيط يحوى كلمات عربية كحصيلة لغوية ؟ كما يجب أن نفتح مدرسة تحسين الخطوط التى كانت قائمة من قبل وأغلقت لأن الخط العربى فيه جمال ويجب أن يساهم المجمع اللغوى فى إقامة ندوات عن أهمية اللغة العربية ، وأضاف أن الألفاظ الجديدة بين الشباب أخطر ما يكون على اللغة العربية. صحيح أن كل طائفة لها لغتها يعنى مثلاً فئة الصناع لها لغة وفئة الزراع لها لغة وفئة السباكين والكهربائية لها لغة لكن فئة المثقفين من شباب الجامعات يجب أن يعلوا بشأن اللغة ولا يهدمونها ، فهناك كلمات بذيئة وركيكة ومنفرة مثل كلمة"روش" بمعنى متمشياً مع الموضة وكلمة "طحن" بمعنى جداً وكلمة "ستايل" أى أحدث موضة وكلمة "نيو لوك" أى التغيير إلى شكل جديد وكلمة "احلق له" أى اجعله ينصرف وكلمة "نفض له" تقال للمكبوس و"كبر الجمجمة" أى كن عاقلاً ولا تؤاخذ الناس بافعالهم و"شنكوتى" أى زير نساء....إلخ.

وقد ساهمت الأغانى الهابطة فى ترويج مثل هذه الكلمات التى يعاف اللسان عن ترديدها. وتعليقاً على كلام الدكتور سيد عبد الغفار فإن الخط العربى يعتبر من أجمل الخطوط فى العالم ويكفى أن نعرف أنه عندما سقطت الأندلس فى يد الأسبان وقاموا بتدمير القصور والمساجد وكل شئ يخص المسلمين كان الرجل يأخذ اللوحات المكتوبة لإعجابه بروعتها وجمالها ويعلقها ببيته وهو لا يعلم أن ما علقه على جدران بيته هو عبارة:"بسم الله الرحمن الرحيم" أو"الله أكبر" أو أية آية قرآنية.

وهناك صورة أخرى لهدم اللغة العربية والتطاول على معتقداتنا الدينية وهى مصطلحات لو تعمقنا فيها لوجدناها محرمة ومثال ذلك - كما يقول الشيخ مسعد أنور- الحلف بغير الله مثل قولنا: "والنبى" أو "والكعبة" أو "وشرفى"أو "والمصحف الشريف "أو "والنعمة الشريفة" وسب الدين والاستهزاء بالله ورسوله وكتبه فى النكات مثلاً ، فينبغى أن نعلم أن هذه المواضيع لا تصلح مادة للمزاح وأيضاً توجيه اللوم لله عند نزول المصائب وسب القدر الإلهى لأن هناك نوعان من القدر:قدر يصنعه الإنسان لنفسه مثل السرقة والقتل وغيرهما، وقدر يصنعه الله لعباده مثل الموت والرزق.. وقولنا للزرع الذى نبت دون تدخل الإنسان أنه زرع شيطانى بل الصحيح أن نقول:زرع ربانى لأن الشيطان لا يزرع بل الله هو الذى ينبت الزرع.. ومثل قولنا للشخص الذى مات ربنا افتكره وهذا خطأ لأن الله لا ينسى أحداً من عباده حتى يتذكره وقولنا "سأعتمد على الله وعليك" لأن الواو تفيد الندية والأصح أن نقول:سأعتمد على الله ثم عليك لأن كلمة "ثم" تفيد الترتيب والتراخى يعنى الله أولاً ثم الإنسان ثانياً. وهناك مقولات شائعة تدعو إلى التذلل لغير الله والإمعية مثل المثل القائل "إن كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى" و"أربط الحمار مطرح ما يعوز صاحبه" وإذا نزلت فى أرض أهلها يعبدون العجل حش وادى له"

والسؤال الآن: إذا كان عبد الملك بن مروان قد عرب ال د واوين فهل نحن بحاجة لكى نعرب كل حياتنا ؟

قصة الذبح..دروس مستفادة

فى مثل هذه الأيام من كل عام يهل علينا عيد الأضحى المبارك ، وحتى لا يتحول هذا العيد إلى مجرد فرحة الفقراء باللحم وفرحة الأطفال بالخروف يجب على كل أب وكل أم أن يجمعا أبناءهما ويحكيان لهما قصة الذبح والدروس العظيمة التى نتعلمها منها وهى :

أولا: حكمة الذبح: فقد يسأل البعض ما سر هذا الطلب الغريب الذى طلبه الله سبحانه وتعالى من سيدنا إبراهيم ؟ وطبعًا الإجابة المعتادة على ذلك السؤال هى : امتحان إيمان كلاً من سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وقياس صبرهما واستسلامهما لأمر الله ، وهذا صحيح لكن هناك حكمة أخرى قد تغيب عن كثير من الناس وهى أن فكرة ذبح الأبناء وتقديمهم قربان للآلهة كانت عادة منتشرة بصورة كبيرة فى المجتمعات القديمة وخاصة فى بلاد العراق والشام. وكثيرًا ما كان الأب يأخذ ابنه إلى معابد الآلهة ويذبحه على المذبح أمام تمثال الإله تقربًا ولقضاء حوائجه ، وخاصة عندما تحل بالبلاد نكبات أو أمراض أو مصائب فأول ما يتبادر إلى الذهن فى ذلك الوقت هو التضحية بأعز ما يملك الإنسان لدفع غضب الإله ، وليس أعز على الإنسان من ولده ؛ فيقتله بالذبح أو بالحرق أو بأية وسيلة. ولقد علم الله سبحانه وتعالى أن ذبح المرء لولده هو أقسى شئ على النفس البشرية ، وما خلق الله الخلق ليعذبهم وإن كانوا هم قساة على أنفسهم ؛ فالله أرحم بهم منهم على أنفسهم فأراد الله إبطال هذا النوع من التضحية فاختار خليله إبراهيم عليه السلام ليكون هو المثال العملى لإبطال هذه العادة فأمره بذبح ولده ثم افتداه بكبش عظيم فى رسالة من الله إلى أهل الأرض أن يا ناس يا بشر يا مسلمين لا تذبحوا أبناءكم وإن كنتم لا محالة فاعلين فاذبحوا بدلاً منهم كبشًا.

وحتى لا يندثر هذا الأمر على مر الأزمنة ربطه الله تعالى بشعيرة من شعائر الدين الحنيف وهى شعيرة الحج. وقد امتثل العرب لهذا الأمر، وبطلت تمامًا عادة التضحية بالأبناء للآلهة ، وحتى عندما نذر عبد المطلب – جد الرسول صلى الله عليه وسلم – أن يضحى بأحد أبنائه وحاول الوفاء بنذره منعته قريش ، وكان فداء عبد الله – والد النبى صلى الله عليه وسلم – بمائة من الإبل.

ثانيًا: إن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم ينفرد بالقرار بل أشرك معه ابنه إسماعيل عليه السلام ؛ فعرض عليه القضية أولاً حين قال: "يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك" ، ثم طلب رأيه واستشارته حين قال: "فانظر ماذا ترى"..وهذا درس يجب أن يتعلمه كل أب ؛ فإبراهيم عليه السلام أب ديمقراطى يستشير ولده رغم صغر سنه ، فهو ما يزال طفلاً ، كما أن هذا الأمر هو أمر إلهى يجب الانصياع له دون مناقشة ، فكان من الممكن مثلاً أن يذبحه على حين غرة وهو نائم أو أن يقيده قسرًا ويقول له: أنا أبوك وهذا أمر إلهى وسوف أقتلك رغمًا عنك. ولن يلومه أحد إذا فعل ذلك ، ولكن إبراهيم عليه السلام أخذ بمبدأ الشورى والديمقراطية الذى هو من أهم وأسمى مبادئ الإسلام وهذا يدلنا على أهمية هذا المبدأ العظيم الذى استفاد منه سيدنا إبراهيم نفسه حين أشار عليه سيدنا إسماعيل بأفضل طريقة للذبح فقد قال له:"يا أبتاه لا تذبحنى وأنت تنظر إلى وجهى عسى أن ترحمنى فلا تجهز علىَّ. اربط يدى إلى رقبتى ثم ضع وجهى للأرض". فوضعه على وجهه ليذبحه من قفاه ، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه. فذلك قوله تعالى:"وتله للجبين" ؛ أى : أكبه على وجهه.

ثم قال له إسماعيل:"إذا أردت ذبحى فاشدد وثاقى لئلا يصيبك شىء من دمى فينقص من أجرى ، إن الموت لشديد ، ولا آمن أن أضطرب عند الذبح إذا أحسست مس السكين ، واشحذ شفرتك حتى تجهز علىَّ سريعًا ، وإن أردت أن ترد قميصى على أمى فافعل (مثلما فعل يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام) فعسى أن يكون هذا أسلى لها ؛ فقال إبراهيم عليه السلام: نِعم العون أنت يا بنى على أمر الله. وكان من نيجة الشورى أيضًا أن إسماعيل عليه السلام أطاع أباه فلم يقل له مثلا أنت كاذب ليس من المعقول أن يأمرك الله بهذا.. وإننا نفتقد اليوم فى مجتمعاتنا الشورى فالأب ديكتاتور فى البيت مع زوجته وأولاده ، والمعلم ديكتاتور فى الفصل مع تلامذته ، والمدير ديكتاتور فى العمل مع مرؤوسيه ، والحاكم ديكتاتور مع شعبه.. إننا نزرع الديكتاتورية فى مجتمعاتنا منذ لحظة الميلاد وحتى الوفاة وهذا هو سر تخلفنا وانحطاطنا.. بل إنه حتى فى صلاة الجماعة إذا لم يختار المصلين إمامهم بالشورى بطلت صلاتهم.. فيا كل أب ويا كل أم استمعا إلى أبنائكما وشاوروهم فى الأمر وسوف تريا أنهم سيطيعونكما عن اقتناع وحب.

ثالثاً: أن إبراهيم عليه السلام هو مواطن عراقى يحب بلده – العراق – ولو كان يحيا بيننا الآن لتفطر قلبه على ما يحدث للعراق من احتلال وقتل وعنف ، فنتوجه جميعًا لله عزو جل بالدعاء أن يفك أسر بلد الخليل فى هذه الأيام المباركة ، وأن يعيده علينا العام القادم وهو ينعم بالحرية.

رابعًا: أن سيدنا إبراهيم رغم حبه لولده لم يشفق عليه أن يقتله طاعة لله ، وإننا اليوم نشفق على أبنائنا أن نوقظهم لصلاة الفجر وهو أقل شئ يمكن أن نقدمه لله فيجب أن يكون حبنا لله أشد من حبنا لأبنائنا ولأنفسنا.

خامسًا: صلاة العيد هى احتفال بهذه المناسبة السعيدة ؛ مناسبة افتداء الأبناء بدلاً من ذبحهم ، وهى فرحة مزدوجة ؛ فرحة الأب بنجاة أبنائه من الذبح وفرحة الفقير بحضور ضيف عزيز على مائدته وهو اللحم المحروم منه طوال العام وشكر لله على هذه النعمة.. يقابلنا الله لنتذكر هذه المناسبة ونشكره.

نرمين كحيلة

فن الدعاء

نعم ، إن للدعاء فنًا مثل أى شئ آخر، فربما دعا الأحمق على نفسه بدلاً من أن يدعو لها ، والأمثلة على ذلك كثيرة سأذكر بعضها بعد قليل. لا أتكلم عن آداب الدعاء أو شروط إجابة الدعاء ولكننى أتحدث عن فن الدعاء ، عن كيفية التوجه إلى الله بالسؤال ، نحن لا نعرف كيف ندعو الله ، فمثلاً عندما يريد الإنسان أن يرزقه الله الولد ماذا يقول وكيف يدعو؟ بعض الناس يدعو أن يرزقه الله الولد ليرث أمواله الطائلة فيستجيب الله له ويرزقه ولدًا عاقاً شاربًا للخمر محبًا للنساء يرث أموال أبيه ويبددها على نزواته وشهواته الجامحة. إذن ليس هذا بدعاء حكيم. وبعض الناس يدعو الله أن يرزقه الولد لكى يخلد اسم العائلة فيرزقه الله ولدًا مجرمًا يجلب لأسرته العار والفضيحة طوال العمر ويخلد اسمها فى سجل المسجونين المسجلين خطر؛ إذن ليس هذا بدعاء أيضًا.

أعرف امرأة دعت الله أن يرزقها بطفل شقى لأنها لا تحب الطفل الهادئ ، وهى لا تعلم أن كلمة شقى فى الإسلام تعنى الذى سيصلى نار جهنم فى الآخرة فقد قال تعالى فى كتابه العزيز:"لا يصلاها إلا الأشقى" (الليل 15). فيرزقها الله بولد أشبه بالشياطين يصيب أبويه بالجنون بعقوقه فتندم على هذا الدعاء السفيه. وأخرى كانت عاقرًا فدعت الله أن يأخذ إحدى عينيها ويبدلها بها ولدًا ، فاستجاب الله لها وكان كريمًا معها فأخذ

كلتا عينيها ورزقها بولدين فأصبحت عمياء قبل أن ترى ولديها. أليس هذا غباء فى الدعاء؟! كان من الممكن مثلاً أن تدعو الله بولد دون أن تطلب منه أخذ عينها فى المقابل ، فلماذا نقسو على أنفسنا وندعو عليها ؟ إن الممثل أنور وجدى- فتى الشاشة الأول فى سينما القرن الماضى - كان فقيرًا فدعا الله أن يغنيه ويمرضه فى المقابل بمرض السرطان فقال:"هات لنا سرطان بقى واغنينا يارب" فاستجاب الله لدعائه وأصيب بسرطان القولون ومات وترك عمارة لم تسكن بعد وأموال فى البنوك لم يستمتع بها. فهل هذا دعاء يدعوه عاقل ؟ وكأن الناس لا تعلم أن الله غنى وقادر فى الوقت نفسه أن يمنح كل شخص مسألته دون أن يأخذ منه المقابل.

انظروا إلى دعاء إبراهيم عليه السلام عندما طلب من الله الولد وكيف دعاه بحكمة وذكاء فقد قال:"رب هب لى من الصالحين"(الصافات 100) يعنى أولادًا مطيعين عوضًا عن قومه وعشيرته الذين فارقهم ، أى أنه طلب من الله ولدًا صالح وليس ولدًا شقيًا أو ولدًا عفريتا أو...أو. فبماذا رزقه الله؟ أعطاه الله بقدر دعائه فقال:"فبشرناه بغلام حليم"(الصافات 101) أى غلام ذو أخلاق وأدب بار بأبويه ، مطيع لهما ، الذى هو سيدنا إسماعيل عليه السلام وجعله نبيًا أيضًا. قال تعالى:"واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا". انظروا إلى دعاء زكريا عليه السلام إذ قال:"فهب لى من لدنك وليًا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًا"(مريم 6). أى مرضيًا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك فى دينه وخلقه..وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم :"رحم الله أخى زكريا ما كان عليه من وراثة ماله حين قال:هب لى من لدنك وليًا يرثنى ويرث من آل يعقوب. وقال زكريا أيضًا:"رب هب لى من لدنك ذرية طيبة" (آل عمران 38) أى أنه طلب من الله عزوجل أن يمنحه من عنده ولدًا صالحًا لكى يرث الدين والعلم من آل يعقوب ، يعنى هو لا يريده ليرث مالاً أو أى شئ دنيوى لكنه يريده لله ، مثلما نقول نحن الآن بلغة عصرنا اعطنى شيئاً على ذوقك أى شيئاً ذو قيمة تختاره أنت لى ، فما بالنا باختيار الله ، فآتاه الله يحيى "يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى"(مريم 6). أى أن الله استجاب الدعاء وتولى تسميته بنفسه وقال عنه واصفاً كمال أخلاقه:"وبارًا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًا"(مريم 14) ."مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين".(آل عمران 39). قال قتادة:سيدًا فى العلم والعبادة وقال سعيد بن المسيب:هو الفقيه العالم وقال عطية:السيد فى خلقه ودينه.أما أم مريم فقد دعت الله قائلة:"وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم".(آل عمران 36) أى دعت الله عزوجل أن يبعد الشيطان عن ابنتها وذريتها من بعدها ، وقلنا فيما سبق كيف أن الله استجاب دعاءها بأن صرف عنها الشيطان هى وابنها عيسى عليه السلام ، وأن الشيطان ينال من ابن آدم منذ لحظة الولادة إلا مريم وابنها بسبب دعاء أمها. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها". فقد قال الله: "فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسناً"(آل عمران 37).

روى مسلم فى صحيحه من حديث جابر رضى الله عنه ورواه أبو داود فى السنن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:"لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم".لا تدعوا: أى دعاء سوء ، على أنفسكم: أى بالهلاك ومثله ، ولا تدعوا على أولادكم: أى بالعمى ونحوه ، ولا تدعوا على أموالكم: أى من العبيد والإماء بالموت وغيره ، لاتوافقوا: نهى للداعى وعلة النهى أى لا تدعوا على من ذكر لئلا توافقوا ، من الله ساعة نيل أى عطاء ، فيها عطاء فيستجيب لكم: أى لئلا تصادفوا ساعة إجابة ونيل فيستجاب دعوتكم السوء. أى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهانا عن الدعاء على الأولاد والأموال والأنفس لأنه من الممكن جدًا أن يوافق هذا الدعاء ساعة إجابة فيستجاب للعبد. وروى مسلم فى صحيحه من حديث ام سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:"لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" ، مثل تلك الأم التى دعت على ولدها أن يموت لأنه أغضبها فتركها وخرج ، وفى الطريق داهمه أوتوبيس قتله فى الحال فندمت أشد الندم وحزنت لأنها دعت على ابنها ، وبدلاً من ذلك كان يجب أن تدعو له بالهداية ، لأنها لن تستفيد شيئاً بموته أما لو هداه الله فستستفيد من هدايته..أرأيتم كيف أن السفه فى الدعاء يمكن أن يضيع الإنسان ؟! فمثلاً يوسف عليه السلام لم يدعو على إخوته بل بالعكس دعا لهم بعد كل ما فعلوه وقال:"لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"(يوسف 92). وحتى يعقوب نفسه عليه السلام لم يدعو على أبنائه رغم كل عقوقهم له بل قال:"سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم" (يوسف 98).

مرض أحد السلف فعاده صديق فقال له: "قوى الله ضعفك" فقال:اللهم استجب لنيته لا للسانه لأن معنى دعائه أن يزيد الله مرضه رغم أن نيته عكس ذلك. ودعا رجل ذات يوم فقال:"اللهم امنحنى الصبر" فقال له عالم سمعه:"يا هذا لقد سألت الله المصيبة". لأنه يطلب الصبر فمعنى ذلك أن الله سيبتليه ليصبر. وقد قال النبى صلوات الله وسلامه عليه:"إذا سألتم الله فاسألوه العافية" ومع ذلك ما زال كثير من الناس يدعو على نفسه أدعية قاسية ولا يُحسِن استخدام ألفاظ الدعاء مثل ذلك الرجل الذى قال:"اللهم ارزقنى كذا وكذا إن شئت" فإنه لا يجب أن يقرن الدعاء بكلمة إن شئت لأن الله لا يفعل شيئاً إلا بمشيئته ولأن هذا عدم ثقة فى الإجابة وكالرجل الذى يقول:اللهم قنى شر النار وحرها وزقومها وغسلينها وحريقها و..و...فإن هذا الدعاء فيه إطالة وإسهاب لا داعى لها فيكفى أن يستعيذ من النار دون ذكر كل تلك التفاصيل. فمتى نتعلم فن الدعاء حتى لا نخسر أشياءً كثيرة فى دنيانا وأخرانا ؟

عبادة التفكر

هى عبادة منسية رغم أنها بسيطة وسهلة ولا تكلف مالا ولا جهدًا ، تستطيع أن تمارسها وأنت جالس فى بيتك مع أبنائك ، أو عندما تنظر لنفسك فى المرآه وترى إبداع الله فى خلق جسدك ، أو عندما تذهب لحديقة وترى الزهور مختلفة الأشكال والألوان والرائحة ، أو عندما ترى الشفق عند غروب الشمس واحمرار السماء ، أو إذا جلست على شاطئ النهر أو البحر ورأيت زرقة الماء والأسماك متعددة الأنواع أو إذا نظرت إلى السماء فوجدت الطيور تطير فى أسراب فلا تخطئ طريقها كأنها تسير وفق خريطة وخطة محكمة أو عندما تسير فى الشارع وترى الناس على اختلاف ألوانهم فمنهم الأسود والأبيض واختلاف ألسنتهم وأشكالهم وأصواتهم.

قال ابن القيم رحمه الله : تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة .. وقال الحسن : " إن من أفضل العمل الورع والتفكر " ..

وقد ختم الله 13 آية في القرآن بكلمة (تتفكرون) أو (يتفكرون) . حتى أن الله يتعجب من هؤلاء الذين يكفرون به مع رؤيتهم لآياته فى الكون فيقول:"أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت"(الغاشية 17-20).. وقال بشر الحافى :"لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ما عصوه"
وقال عمر ابن عبد العزيز :" التامل فى نعم الله افضل عبادة"
وقال ابو الحسن "تفكر ساعة خير من قيام ليلة "وقيل لأم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت التفكر.

والتفكر هو التدبر والاعتبار والافتكار
وفعلها
الانبياء وواظب عليها النبى صلى الله عليه وسلم وكانت حياته قبل البعثة

مباشرة حياة تفكر وتعبد لله . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها:"حبب إليه الخلاء" أى كان يصعد إلى غار حراء ويتفكر وحده فى مخلوقات الله حتى جاءه الوحى.

وكانت عبادة إبراهيم عليه السلام كما قال الله عز وجل :"وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِين" بل يقال أنه توصل إلى وجود الله عن طريق تفكره فى الشمس والقمر والنجوم " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" ((الأنعام 75-78

ورأى أحد الصالحين ذات يوم فى المنام أنه أذنب ذنبا عظيما ولما سأل عن ذلك قيل له أنه اليوم جلس فى حديقة ورأى مخلوقات الله ومع ذلك لم يتفكر.

حتى أعظم الاختراعات والاكتشافات والنظريات التى أفادت البشرية جاءت نتيجة التفكر فمثلا نيوتن توصل إلى قوانين الجاذبية عن طريق تفكره ومراقبته للتفاحة التى سقطت من الشجرة إلى الأرض ولم تسقط يمينا أو شمالا ، وكذلك أينشتين ونظريته النسبية وأيضا اختراع التليفون والمصباح الكهربائى والطائرة كانت بسبب تأمل الطير وهو يطير ومحاولة تقليده .. حتى رياضة اليوجا قائمة على التفكر والتأمل. والفلاسفة أمثال سقراط وأرسطو وأفلاطون جاءت فلسفاتهم نتيجة التفكر والتأمل.

والتفكر هو علاج نفسي حيث أثبتت دراسة حديثة أن خلو الإنسان بنفسه كي يتأمل عالمه الداخلي ويتعبد ويحاسب نفسه على أخطائها يزيده صقلاً وصفاء، وأشارت الدراسة إلى أن علماء الإسلام أكدوا أن في الخلوة فوائد كثيرة، منها تجنب آفات اللسان وعثراته، والبعد عن الرياء والمداهنة، والزهد في الدنيا، والتخلق بالأخلاق الحميدة، وحفظ البصر وتجنب النظر إلى ما حرم الله تعالى، كما أن التفرغ للذكر فيه تهذيب للأخلاق، وبعد عن قساوة القلب، وفي هذا إشارة إلى أهمية التمكن من عبادة التفكر والاعتبار ولذة المناجاة ومحاسبة النفس ومعاتبتها، وإن معرفتنا بعظمة الله تورث القلب الشعور الحي بمعيّته .

قال صلى الله عليه وسلم : " تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ".وفي رواية "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله " . [رواه أبو الشيخ الأصفهاني في كتاب العظمة والبيهقي عن ابن عمر وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة .

وهكذا يشفق الإسلام على هذا العقل الضعيف الذي لا يقوى على التفكر في خلق الله ، فكيف يقوى على التفكر في الله سبحانه ؟ !

والمقصود بالتفكر : النظر والاعتبار ، بعين البصيرة ، لا بعين البصر وقيل هى عبادة تمارس بالقلب وتشترك فيها العين وللأسف هى عبادة اندثرت وقليل جدا من يمارسها مع أن آيات الله في الكون لا تعد ولا تحصى ، ففي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد ، وكما قال سبحانه في كتابه العزيز (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت : 53 .

والتفكر في آلاء الله ومخلوقاته يقود الإنسان إلى التعرف على قدرة الله وعظمته ، لهذا كان التفكر من أعظم العبادات ، وقد امتدح الله في كتابه المتفكرين (إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلاَفِ الْلّيْلِ وَالنّهَارِ لاَيَاتٍ لأوْلِي الألْبَابِ، الّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكّرُونَ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ رَبّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النّارِ) [آل عمران:190، 191].

فهيا بنا نحيى عبادة مهجورة كادت أن تندثر ونقتضى بحبيبنا صلى الله عليه وسلم ولنجعل مصايفنا ومنتجعاتنا فرصة عظيمة لكى نقول لأبنائنا نحن ذاهبون هذا العام فى أجازة طويلة نقضيها فى مصيف كذا لكى نتفكر فى خلق الله ، لا بد أن يشب أبنائنا على هذه العبادة.

عصر الجاهلية يعود

كان خبرا فاجعًا بل كارثة بكل المقاييس حتى أنى ظننت أن القيامة قد أوشكت وأن هذه هى إحدى علاماتها أو ربما على الأقل أن عصر الجاهلية قد عاد بكل مساوئه وهمجيته ووحشيته وانتهاكه لحقوق الانسان ولأننا فى عصر قد انتهى فيه ارسال الأنبياء فلن يأتى نبى جديد لانقاذنا مما نحن فيه.

كان الخبر بعنوان اغتصاب جماعى بأمر المحكمة وهو عن فتاة تبلغ من العمر 18 سنة وتنتمى لإحدى القبائل الباكستانية اتهم أخوها ذو الحادية عشر ربيعًا بأنه يرافق بنت من قبيلة أخرى أعلى من قبيلته فى المستوى الاجتماعى ، وقد رُفِع أمر هذا الصبى إلى محكمة القبيلة التى أمرت بأن يتم اغتصاب شقيقة الفتى المتهم عملا بالمثل القائل الثار ولا العار.

بدأت مشاهد الموقف المأسوى بإعداد مسرح الجريمة ووضع الفتاة على منصة تتوسط المقاعد التى اصطفت وامتلأت بالجماهير الذين بلغوا ألف متفرج وكأنهم أتوا ليشاهدوا مسرحية وأجبر أبو الفتاة على الجلوس فى الصف الأول لتزداد حسرته على ابنته وحاول أن يثنيهم عن فكرتهم وأن الولد مازال صغيرا طالبا منهم العفو والتسامح إلا أنهم رفضوا وتم تجريد الفتاة من ملابسها تحت سمع وبصر الجميع وكانت ترتجف خوفا وخجلا ، وتم الاغتصاب من قِبَل أربعة رجال من القبيلة المعادية وحكم على الفتاة أن تعود إلى بيتها عارية ، وكل ذلك ولا أحد يتدخل من الشرطة أو رجال الدين ، والغريب فى الأمر أن هذا الحدث يتكرر فى كل عام عشرات المرات فأين الحياء والمروءة والشهامة وهذا بلد المفروض انه اسلامى ؟ ألا يعلمون أنه لا تزو وازرة وزر اخرى؟ ثم ما ذنب الفتاة المسكينة أن يلاحقها العار بقية حياتها ؟ ، كان الناس فى عصر الجاهلية يئدون بناتهم أما فى العصر الحديث فأصبحوا يغتصبونهن. وربما شجعتها هذه الواقعة على الانخراط فى طريق الرذيلة فيما بعد ، بعد أن ذهب حياؤها وشرفها ومن سيتزوجها بعد ما حدث؟ ألا يعلمون أن عقاب الزانى فى الاسلام 100 جلدة وليس عقابه أن يتم اغتصاب أخته.

والسؤال الآن أين رجال الدين من كل ما يحدث ؟ أم أنهم يقولون أن هذه حرية شخصية أو شأن داخلى لدولة أخرى كما حدث فى مسالة الحجاب قبل ذلك فى فرنسا ؟ إن مقاومة ما حدث تصبح واجبا وفرضا على كل علماء المسلمين فى كل بقاع الأرض بما فيهم الأزهر الشريف.

عباد الرحمن

هم عباد اختصهم الله بحبه واصطفاهم .. كما يقول الأب لابنه على سبيل المثال ولله المثل الأعلى:"أنت ابنى" أى أنه يتشرف ببنوته لأنه بار بأبيه دون بقية أبنائه. وهو لقب تشريفى لعباد الله الطائعين فقد وصف الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى سورة الإسراء قائلا:"سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى" ووصف العديد من أنبيائه بهذه الصفة فقال:" وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ " (17 سورة ص) كلمة ذا الأيد أي أن الله قد جمع له قوة القلب وقوة البدن في الطاعة ، الإنسان أحيانا يكون عنده رغبة في الطاعة لكن الكسل ي منعه أو المرض أو إرهاق العمل ، فالرغبة لا يطيقها البدن، وأحيانا يكون في الإنسان عافية وقدرة ولكن يمنعه النوم ، فلا يقوم الليل ، . فاجتمع في داود قوة القلب على الطاعة وقوة البدن وهذا من أفضال الله جل وعلا على عباده
أما أيوب عليه السلام فوصفه الله بالعبودية فقال: "واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب"(سورة ص 41-42) أي وجعلناه في ذلك قدوة لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وإبتلائه لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك .

وأى شخص يستطيع أن يحظى بشرف العبودية لله إذا أحب فالشاعر يقول:

ومما زادنى فخرا وتيها وكدت بإخمصى أطأ الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى وأن سيرت أحمد لى نبيا

يعنى الشاعر يفتخر بعبوديته لله ، أما كيف تحقق أنت عزيزى القارئ هذه العبودية فهذا أمر سهل جدا وليس قاصرا على الأنبياء فتستطيع أن تتحلى بصفات عباد الرحمن وبمجرد تحليك بها فقد دخلت فى زمرة عباد الرحمن وهنيئا لك بتلك المنزلة. فقد كنت يوما أسير فى الشارع فتعثرت بفتاة فاعتذرت لها فلم تقبل اعتذارى وظلت تشتمنى بأقبح الشتائم وتذكرت على الفور أن عباد الرحمن إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلام ا ووجدتها فرصة ذهبية لكى أصبح من عباد الرحمن المذكورين فى الآية فلم أرد عليها بل تركتها وانصرفت فمشت ورائى وظلت تمطرنى بوابل من الشتائم ما يقرب من العشر دقائق وأنا لا أرد حتى تعبت وملت فانصرفت وأحسست بسعادة غامرة أنى حفظت لسانى وأحسست أنى أصبحت بذلك من عباد الرحمن.

ولقد حاز عباد الرحمن هذه المنزلة لتمتعهم بصفات معينة أوجزها لنا القرآن الكريم "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ،......." الآيات من 63- 67 من سورة الفرقان : بسم الله الرحمن الرحيم (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {63} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا {64} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا {65} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {66} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا.

والله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه ، وأقربهم إليه ، فقال [ص : 122] لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا وقال:" إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ". : 123

وجعل الله سبحانه البشارة المطلقة لعباده ، فقال تعالى:" فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه" وجعل الأمن المطلق لهم ، فقال تعالى:" ياعبادى

لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين" وعزل الشيطان عن سلطانه عليهم خاصة ، وجعل سلطانه على من تولاه وأشرك به ، فقال:" إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين" وقال [ص : 124] إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون". وقال أيضا:"يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم إحسان العبودية أعلى مراتب الدين وهو الإحسان فقال في حديث جبريل وقد سأله عن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

نكتة المتسول

لو يعلم المتسول أن المسألة سوف تأتى نكتة سوداء فى وجهه يوم القيامة وتكون فضيحة له مدوية ما تسول ، فتخيل أن كل الناس من أول آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة يعرضون على الله يوم القيامة ويعرفون المتسول من علامة تميزه فى جبهته فيشير إليه الناس ويقولون هذا الرجل كان متسولا فى الدنيا. فكم يكون خجله أمام الخلائق!!

إن الجزاء من جنس العمل فقد اختار المتسول بإرادته الحرة أن يريق ماء وجهه أمام الناس أى أنه فضح نفسه فاختار الله له عقوبة الفضيحة فى الآخرة.. فى الماضى كانت هناك عقوبة تسمى الخسروان وهى أن يركب المجرم حمارًا بطريقة معكوسة يمشى به بين الناس وعلى جانبى الحمار تتدلى أجراس وجلاجل لذلك قيل: فضيحة بجلاجل ، وقيل أيضا تجريس أى فضيحة باستخدام الأجراس لكى ينتبه كل الناس لأن الإنسان بطبعه يحب أن يعيش كريما عزيزا.. وقد اراد الله أيضا للمسلم أن يكون عزيزا فلا يسأل ولا يلجأ إلا له.

وقد أثنى الله على المتعففين الذين لا يسألون الناس شيئا وينفى عنهم الشره والضراعة التى تكون من الملحين بالسؤال ويرغب سبحانه وتعالى فى المبادرة بالإحسان إلى المتعففين وعدم إعوازهم للسؤال. قال تعالى:"للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم". (البقرة 273)

وفى ذلك قصة طريفة لرجل ذهب ليتسول فطرق بابًا فرفض صاحب البيت أن يعطيه شيئا فقال له الشحاذ: أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ فأجابه صاحب البيت: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا.

وتوعد النبى صلى الله عليه وسلم من سأل الناس استكثارا فقال: "ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم" (رواه البخارى ومسلم) ومعناه أنه يأتى يوم القيامة ذليلا ساقطا لا وجه له عند الله تعالى أى أنه يحشر ووجه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة على ذنبه حين طلب وسأل بوجهه وهذا فيمن سأل الناس لغير ضرورة اسكثارًا كما فى الحديث الشريف "من سأل الناس أموالهم اسكثارا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر" (أخرجه مسلم) والأمر هنا على وجه التهديد أو الإخبار عن مآل حاله ومعناه أنه يعاقب على القليل من ذلك والكثير.. يعنى المتسول يرتكب ذنبا عظيما كل يوم ومن هنا فإن مهنة التسول لا تصبح مهنة شريفة كما كنا نسمع من قبل.

وإن من أهم المشاكل التى عالجها الإسلام هى مشكلة البطالة بحل بسيط وسهل فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه" (أخرجه البخارى فى صحيحه عن المقدام بن معد يكرب) فالعمل شرف ولو كان فيه مشقة، والسؤال ذل لما فيه من حط الكرامة وإهانة النفس.. وهذا ما يؤكده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده" (أخرجه البخارى فى صحيحه)

وقال "إن الله يحب المؤمن المحترف" (أخرجه الطبرانى) ، "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت ؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" (أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة) ولقد عمل الأنبياء وهم صفوة الخلق في مهن الدنيا، فنبي الله نوح عليه السلام كان نجاراً، ويعقوب عليه السلام كان يرعى الغنم، ويوسف عليه السلام كان وزيراً على خزائن مصر، وإدريس عليه السلام كان خياطاً، وكان يعمل في الخياطة ولسانه لا يكف عن ذكر الله، فلا يغرز إبرة ولا يرفعها إلا سبَّح الله، كما عمل موسى عليه السلام عشر سنين في رعاية الغنم عند الشيخ
الكبير، أما نبي الله داود عليه السلام فقد كان حداداً يصنع الدروع، وآلات
الحرب، كما كان ملكاً يعمل ويأكل من عمل يده، كما يخبرنا بذلك النبي عليه
الصلاة والسلام في قوله: «ما أكل أحد طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل
يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» وقد كان الناس يحبون داوود ويثنون عليه ويقولون لولا أنه لا يعمل أى أنه ينقصه أن يكون صاحب حرفة حتى تكتمل صفاته رغم أنه ملك وله خدم وحشم ولا يحتاج للعمل فدعا الله فعلمه حرفة صناعة دروع الحرب "أن اعمل سابغاتٍ (دروع الحرب) وقدر (اتقن) فى السرد (المنسوجات فى الدرع) واعملوا صالحًا" ولنا أن نتصور كل يوم سيدنا داوود عليه السلام وهو عائد من عمله مكدود يجفف عرقه مثله مثل أى عامل فقير وقد ألان له الله الحديد مكافأة له فكان بمجرد أن يمسك بالحديد يلين فى يده ليشكله وفق إرادته "وألنا له الحديد".. على الرغم من أن النبوة مهمة فى حد ذاتها إلا أنه لا يوجد نبى تفرغ لها بل كل الأنبياء كانوا يعملون رغم انشغالهم الشديد بالدعوة.. وقد اشتغل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرعي الغنم في صغره، وعمل في التجارة في شبابه، كما شارك أصحابه في أعمال كثيرة، في حفر الخندق، وجمع الحطب، وبناء المسجد،وغيرذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب صاحب الحرفة ويثني عليه ويقربه إلى مجلسه ويدعوا له، ويظهر ذلك من خلال الأحاديث الآتية: قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب المؤمن المحترف" وقال صلى الله عليه وسلم: "من أمسى كالاً من عمل يده بات مغفوراً له" وقال صلى الله عليه وسلم: "إن من الذنوب ما لا يكفرها إلا الهم في طلب العيش" ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعمل فصافحه ووجد آثار الخشونة في يده فقال: "هذه يد يحبها الله ورسوله".

يقول صلى الله عليه وسلم: "لا يغرس المسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كانت له صدقة إلى يوم القيامة" (أخرجه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك) . وقال أيضا: "من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر" (رواه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة)

قال تعالى : ((وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون)) ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)).

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ((فنعم أجر العاملين)).. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال».أي أن العمل هو شرط ترجمة الإيمان بالله إلى حقيقة مرئية.
ومن دلائل أهمية العمل في الإسلام، تكرار كلمة العمل أو إحدى مشتقاتها ما يقارب الـ 330 مرة في القرآن الكريم، منها ما يزيد على الـ 100 مرة وردت مقرونة بالإيمان {اَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ، أضف إلى ذلك الكلمات المرادفة لكلمة العمل ومشتقاتها، مثل: فعل ويفعلون وصنع ويصنعون .

فعن أنس بن مالك (ر): أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله، ويطلب منه مالاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «أما في بيتك شيء؟»، فقال الرجل: بلى، حلس (أي كساء) ، نلبس بعضه ،ونبسط بعضه، وقَعْبٌ نشرب فيه الماء. قال: «ائتني بهما». قال: فأتاه بهما
فأخذهما رسول الل ه صلى الله عليه وسلم بيده وقال: «من يشتري هذين؟» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم. فقال : من يزيد على درهم؟ ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ، فقال رجل : أنا
آخذهما بدرهمين، فأعطاهما الأنصاري وقال له: «اشتر بأحدهما طعاماً، فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً (أي فأساً) فأتني به». فأتاه به فشدّ فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشرة يوماً». فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «هذا خير لك من أن تجيء المسألةُ نُكْتةً (أي علامة) في وجهك يوم القيامة، إن المسألةَ لا تصلحُ إلا لثلاثة: لذي فقرٍ مدقع (أي فقر شديد)، أو لذي غُرْمٍ مُفظِع (أي دين كبير)، أو لذي دمٍ موجع (أي عليه دية لا يستطيع أن يتحملها

أى أن النبى صلى الله عليه وسلم وضع شروطا ثلاثة للتسول أهمها أن يكون السائل ليس لديه أى شئ فى بيته لا طعام ولا ملابس ولا نقود وفى هذه الحالة يصبح التسول حالة مؤقتة استثنائية فقط من أجل الحصول على مال ليبدأ به مشروعا أو يشترى به بضاعة ليبيعها وليس لكى يتخذ من التسول مهنة دائمة تطبيقا لمبدأ لاتعطنى سمكة بل علمنى كيف أصطاد. ومن هنا قال العلماء أن الزكاة لا تجوز على الفقير المكتسب أى القادر على العمل والكسب.. وهذا ما توسمه النبى فى الشاب فقد وجده قويا مفتول العضلات قادرا على العمل والانتاج فأرشده إلى استثمار قوته وشبابه وباع ما عنده فى المزاد العلنى لأعلى سعر فأصبح لديه رأس مال بسيط يمكنه من شراء بضاعة وبالفعل جاء الشاب وقد ظهرت عليه مظاهر الغنى وهو بذلك يوجه المجتمع كله إلى العمل والانتاج والنبى فعل ذلك لكى يبطل حجة أى شاب يتعلل بأنه لا يجد وظيفة لأن الإسلام لا يريد مجتمعا من المتسولين المستهلكين المستوردين بل يريد مجتمعا منتجا مسهما فى الحضارة وإلا كان المسلم عالة على بقية الشعوب. وحتى عندما جاء رجل عابد إلى عمر بن الخطاب وعلم منه أن أخاه يعمل وينفق عليه قال له:"أخوك أعبد منك" أى أن العامل مأجور من الله.

وقد جعل الإسلام السعي في الأرض لكسب الرزق، سعياً في سبيل الله، ولذلك فهو عبادة، وقد قدَّمه في سورة المزمل على القتال في سبيل الله، حيث يقول تعالى : { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ? وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [المزمل : 20] .

وحتى ذو القرنين عندما أراد أهل القرية أن يستعينوا به ليعمل لهم سدا بينهم وبين يأجوج ومأجوج قال"آتونى زبر(قطع) الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين (الجبلين) قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا (النحاس المذاب)" يعنى العمل فى السد تطلب جهدا وتعاونا بين ذو القرنين والناس رغم أن الله قادر على أن يبعد يأجوج ويأجوج عنهم دون عمل ودون مشقة .. هذا السد مازال قائما حتى الآن لا يعرف أحد مكانه ولن يفتح إلا يوم القيامة.

ولو كان النبى صلى الله عليه وسلم يحيا بيننا الآن ورأى هذا الكم الهائل من المتسولين لحزن حزنا شديدا على ما وصل إليه حال أمته.

مفهوم الحب فى الإسلام

هل يعترف الإسلام بالحب ؟ هذا هو السؤال الذى حير كثير من الناس ، فالبعض يرى أن مجرد التفكير فى الحب يعتبر إثمًا مبينًا ، ولكننا إذا تمعنا فى الدين فسنجد أنه دين الحب فلابد أن نحب الله سبحانه وتعالى أولا ثم نحب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ثم نحب والدينا وإخوتنا

فى الدين ، أما حب الرجل للمرأة والمرأة للرجل فلم يحرمه الإسلام لكنه وضع له ضوابط وشروط .. ونستطيع أن نستنتج ذلك من سير الأنبياء والصالحين فمثلا الرسول صلى الله عليه وسلم نشأت قصة حب عفيفة بينه وبين السيدة خديجة رضى الله عنها وأرضاها ، استمرت حتى بعد الوفاة ، حين كان يطرق الباب طارق فيقول:"اللهم اجعل الطارق هالة أخت خديجة" فيكون كما قال.. وحين كان يذبح الشاة فيوزعها على صاحبات خديجة وحين كان يذكرها دائمًا بكل خير ويتذكر أيامه الجميلة معها.. ثم نشأت قصة حب بينه وبين السيدة عائشة رضى الله عنها حين كان يشرب من نفس الإناء الذى تشرب منه ومن المكان الذى لامس فاها ، وحين كان يغتسل معها فى إناء واحد.

وقد قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم أن رجلا ًيحب امرأة وهى تبادله الحب فقال:"لا أرى للمتحابين إلا النكاح".. ومعنى ذلك أنه قد أقر ذلك الحب ولم ينكره فلم يقل مثلا ًكيف يحب أحد من أمتى ؟ إن هذا حرام فى الإسلام! لابد أن يفترقا فورًا" بل كان معنى كلامه أن يتوج هذا الحب بالزواج كى يظل المحبوبان معًا إلى الأبد ، أى أنه فكر فى طريقة سليمة وشرعية لكى يحافظ على ذلك الحب ويقويه.. وعندما سأله أب عن رجلين تقدما للزواج من ابنته أحدهما فقير والآخر غنى فقال له:وهواها مع من ؟ فقال:مع الفقير..فقال النبى:"إذن زوجها له". أى أن أهم ما كان يشغل النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القضية قبل أن يفتى الرجل هو قلب هذه الفتاة إلى أين يتجه ؟ ومن تحب ؟ وقد فضل الحب على الغنى فكان بإمكانه مثلا ًأن يقول :زوجها لمن ترى أنت بنظرتك كأب مصلحتها فيه.. ولكنه على العكس تمامًا رأى أن الحب عاطفة نبيلة لا يمكن إغفالها بل يجب مساندتها وتشجيعها مادامت ليس فيها إثمًا.

حب الأنبياء:

وقد أحبت ابنة شعيب عليه السلام سيدنا موسى عليه السلام وأرادت أن تتزوجه عندما قالت لأبيها بطريق غير مباشر:"يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين" ففهم الأب أن ابنته تحب هذا الرجل وزوجه لها ولم ينكر عليها ذلك الحب ولم يقل لها كيف تجرئين على أن تحبى رجلا ً؟ وهذا بعكس عادة العرب فى الجاهلية إذ كانوا لا يزوجون بناتهم لمن تهوى قلوبهن ولمن هام بهن عشقًا ونظم فيهن شعرًا خوفًا من أن يقال أنها قد مارست الفاحشة مع حبيبها ومن ذلك مثلا ًقصة مجنون ليلى حين تزوجت ليلى من آخر حتى لا يعيَّر أبوها ، ثم زواج بثينة حبيبة جميل ، وزواج لبنى حبيبة قيس وزواج عفراء حبيبة عروة ، وزواج عزة حبيبة كُثير وزواج ليلى معشوقة توبة ، وزواج ريا محبوبة الصمَّة ، وزواج ظريفة محبوبة مالك وزواج مية محبوبة ذو الرمة.

تشخيص الحب:

ومن الطريف أن ابن سينا (أبو الطب البشرى) الطبيب العالم العربى المسلم هو أول من قام بتشخيص أعراض الحب حيث يروى أنه ذات مرة ذهب لعلاج مريض (قريب لأمير همذان) نزل به مرض عجيب ، لم يعرف له علاجًا جميع أطباء "همذان" فهذا المريض ملازم للصمت ، عازف عن الطعام والكلام ، حتى عن الشكوى مما يؤلمه. ولما رآه ابن سينا وجده شابًا وسيمًا ساهمًا ، شارد النظرات. لا يلتفت إلى أحد ، ولا يركز عينيه على شئ ، شاحب الوجه ، غائر الخدين من الجوع.. وجلس ابن سينا وأخذ يفحص مريضه ، يفتح فمه تارة ، وعينيه تارة، وينصت إلى نبضات قلبه الخافتة ، ويتحسس مواضع فى جسده ، قد يحس فيها المريض بألم. ورفع ابن سينا رأسه ، وقال لمن حوله:"ليس بمريضنا ألم يعانيه الجسد ، وأحسبه مريضًا بنفسه". وطلب أن يؤتى له برجل يعرف كل بلاد الإمارة البويهية ، مدنها وقراها ، فجئ له برجل تاجر ، دائم الأسفار ، فأجلسه بجانبه ، وأمسك هو ، بأصابع يسراه المعصم اليسرى للمريض ، واضعًا إبهامه على عرق النبض. وأخذ التاجر يذكر أسماء البلاد ، حتى إذا ذكر اسم بلدة بعينها ، أحس ابن سينا بنبض مريضه الشاب يشتد خفقه.

عندئذٍ صرف ابن سينا التاجر ، وطلب رجلا ًآخر ، يكون من أهل هذه البلدة التى خفق لذكرها قلب المريض. فجئ برجل دلاَّل ، أخذ يذكر أسماء الأحياء فى هذه البلدة ، وأسماء الشوارع بها ، وعندما نطق الدلال باسم شارع بعينه ، خفق قلب الشاب خفقًا عنيفًا. فطلب ابن سينا من الدلال أن يذكر أسماء العائلات التى تقطن فى هذا الشارع ، وأسماء بناتها ، وحين ذكر الدلال اسم أسرة بعينها تسارعت ضربات قلب الشاب ، وحين نطق باسم فتاة بعينها اضطربت نبضات قلب الشاب ، وارتجفت جفونه ، ودفع الشاب بابن سينا وقد انفجر فى بكاء مرير ، وهو يخفى وجهه بكفيه.

وابتسم ابن سينا وقال بصوت مرتفع:"مريضنا يحب هذه الفتاة التى سمعتم اسمها ، وفى رؤيته لوجهها راحته ، وفى زواجه منها شفاؤه من مرضه.. ولما أبدى الأمير دهشته من حب يوقع صاحبه فى الحمى ، والهزال ، والعزوف عن الدنيا قال له ابن سينا:"أيها الأمير. النفس لها تأثير على الجسد ، مثلما للجسد تأثير على النفس. كلاهما إن مرض يورث الآخر المرض ، وإن صح يورث الآخر الصحة. ولا أرى سبيلا لشفاء هذا الشاب سوى أن تجمعه بحبيبته ، فى رباط يقره الدين. وشهد ابن سينا بنفسه ليلة زفافهما".

قصص العاشقين فى التاريخ:

ويروى عن يزيد بن عبد الملك ــ الخليفة الأموى ــ أنه كان يحب جارية له تسمى "حبابة" وقد تسلطت على عقله وقلبه ، فأصبحت المملكة طوع إرادتها ، تولى من تشاء ، فلامه أخوه وقال له:"توليت هذا الأمر (أى الخلافة) بعد عمر بن عبد العزيز وعدله ، فتشاغلت بهذه الجارية عن النظر فى أمور المسلمين فتأثر لقوله وقال:صدقت .. وهم بترك الشراب ولم يجتمع بحبابة أيامًا ، فاشتاقت هى له ، فلما كان يوم الجمعة ، قالت لبعض جواريها:"إن خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فاعلمينى". فلما أراد الخروج أعلمتها فتلقته والعود فى يدها وغنت:

ألا لا تلمه اليوم أن يتلبدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

فغطى يزيد وجهه وقال:"مه لاتفعلى" ثم غنت:

فما العيش إلا ما تلذ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشنآن وفندا

فلم يتمالك أن عدل إليها وقال:"صدقتِ" والله ، قبح من لامنى فيكِ.. يا غلام مُر أخى أن يصلى بالناس.. وأقام معها يشرب وتغنيه ، وذات يوم

خلا هو وحبابة وأتيا بما يأكلان ويشربان ، فأكلت حبابة عنقود عنب فشرقت بحبة منه فماتت. فأقام يزيد ثلاثة أيام لا يدفنها حتى تغيرت وأنتنت ، وحتى عابه أهله ، فأذن بدفنها ، ولم يعش بعدها إلا خمسة عشر يومًا ، ومات ودفن إلى جوارها.. وهذا معناه أن الموت لا يمكن أن يفرق بين الحبيبين بل بالعكس يمكن أن يجتمعا فيه كما اجتمعا فى الحياة ، وأن الحب الحقيقى هو الذى يستمر حتى بعد الوفاة ففى هذه القصة احتفظ المحب بجثة حبيبته بعد وفاتها لأنه لم يستطع فراقها ثم لحق بها ودفن إلى جوارها.

وقد اجتهد العلماء والفلاسفة والأدباء والشعراء فى تفسير الحب وسببه ، فلماذا يشعر رجل بانجذابه إلى امرأة بعينها ورغبته فى البقاء معها وحبه لها دون بقية الناس ؟ وكذلك المرأة لماذا تشعر بانجذاب إلى رجل بعينه وتحبه؟ ما سر ذلك الحب ؟ فتصور اليونان أن للحب إلهًا يسمى "كيوبيد"على هيئة طفل يرمى بسهامه قلوب الناس فيصابون بالحب.. وكان أول المفسرين للحب هو "أريستوفان" ، الشاعر الكوميدى المشهور حيث يزعم أن الكائنات البشرية لم تكن فى أصل فطرتها كما هى اليوم: ذكرًا وأنثى ، بل كانت ذكرًا وأنثى ، وخنثى تجمع بين خصائص النوعين ، وكان كل فرد من هذه الأنواع الثلاثة مستديرًا على هيئة كرة ، وله أربع أيدى وأربع أرجل يمشى عليها جميعًا ، وله أربع آذان ووجهان ، وهكذا تزدوج فيه بقية الأعضاء. وركب الغرور هذه الكائنات ، فثارت فى وجه الآلهة ، وغضب زيوس ، الإله الأكبر ، فشطر كل فرد فيها شطرين عقابًا ونكالا ًلها ، ومضت هذه الأشطار يبحث كل منها عن شطره رغبة فى الاتحاد به كما كان الشأن فى أصل النشأة ، وهذا هو سبب الحب ، فهو فى حقيقته شوق وتعطش إلى استرجاع السعادة المفقودة.

وقد ألف الإمام ابن حزم الظاهرى كتابًا فى الحب باسم "الزهرة" روى فيه عن الرسول صلى الله عيه وسلم قوله:"الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف". ثم حاول تفسير هذا الحديث (متأثرًا بكلام بعض الفلاسفة اليونان) أن الله عز وجل خلق كل روح مستديرة الشكل على هيئة كرة ، ثم قطعها نصفين ، فجعل فى كل جسد نصفًا ، وكل جسد لقى الجسد الذى فيه نصفه كان بينهما عشق بسبب تعارفهما قبل بدء الخليقة.

وفى كتابه "طوق الحمامة فى الألفة والألاف"يقول ابن حزم: أن الحب اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة فى هذه الخلقة فى أصل عنصرها الرفيع... وإن كل نفس تبحث عن نصفها الآخر حتى تجده ، فتنجذب إليه كالمغناطيس والحديد وكالنار والحجر ، فحبه إنما هو تجديد لحب قديم فى النشأة الأولى ، ومن الطريف أن نجد هذه الفكرة عند بعض شعراء الحب العذرى إذ يقول:

تعلق روحى روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافًا وفى المهد

فزاد كما زدنا فأصبح ناميًا وليس إذا متنا بمنتقض العهد

ويقول ابن حزم فى باب "علامات الحب" أن للحب علامات تميز العاشق عن غيره بحيث يستطيع هو أن يعرف العاشق من تلك العلامات التى تظهر عليه ومنها مثلا ًإدمان المحب النظر إلى حبيبه ، والإسراع بالسير إلى المكان الذى يكون فيه ، وبَهْت (دهشة وحيرة) يقع ، وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة ، ومن علاماته أيضًا حب الوحدة والسهر ونحول الجسم من غير مرض.

وقد قال الشاعر واصفًا الحب الذى جمع بينه وبين حبيبته:

ولو أنَّا على حجرٍ ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

أى أنه لو ذبح هو وحبيبته فسوف تتحد دماءهما وتتلاقى حتى بعد الوفاة لتخبر الناس بما كان بينهما من حب.

وللحب عند العرب مراتب أولها: الهوى وهو الميل إلى المحبوب ، ويليه الشوق وهو نزوع المحب إلى لقائه ، ثم الحنين وهو شوق ممزوج برقة ، ويليه الحب وهو أول الألفة ، ثم الشغف وهو التمنى الدائم لرؤية المحبوب وهو ماحدث لامرأة العزيز مع يوسف عليه السلام "قد شغفها حبًا" وقيل أن الشِغاف هو غلاف القلب.. وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير تلك الأية:"دخل حبه تحت الشغاف" ويليه الغرام وهو التعلق بالمحبوب تعلقًا لا يستطيع المحب الخلاص منه ، ثم العشق وهو إفراط فى الحب ويغلب أن يلتقى فيه المحب والمحبوب ، ثم التتيم وهو استعباد المحبوب للمحب ، يقال قد تيمته حبًا ، ويليه الهيام وهو شدة الحب حتى يكاد يسلب المحب عقله ، ثم الجنون وهو استلاب الحب لعقل المحب مثل مجنون ليلى.

ومن أجمل القصص التى تروى عن الحب قصة جارية لهارون الرشيد ، قد عشقت رجلا ًوكانت تقابله فى قصر هارون الرشيد ليلا ًبعد أن ينام الناس ، ولما علم الخليفة بأمرها عزم على قتل حبيبها فتوسلت إليه ألا يقتله حتى تراه فأجابها إلى طلبها وقبل أن تراه وقفت أمام الخليفة وفقأت عينيها فقال لها هارون الرشيد:"ماذا فعلتِ بنفسك يا مجنونة ؟" فقالت:"فقأت عينى حتى لا أرى حبيبى فأنقذه من الموت" فقال لها هارون الرشيد مشفقًا عليها:"لو كنت أعلم أنكِ تحبينه إلى هذه الدرجة لعفوت عنه" ثم وهبها قصرًا لتعيش فيه مع حبيبها وهى عمياء". ومن هذه القصة يتضح أن المحب المخلص مستعد أن يضحى بأغلى ما عنده وهو عينيه من أجل حبيبه.

ولا ننسى أن كعب بن زهير الصح ابى الجليل استهل قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم عليه ببيت شعر يصف فيه لوعته فى فراق حبيبته سعاد فقال: بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ، يعنى لو كان الحب حرام كان النبى صلى الله عليه وسلم قال له: كيف تبدأ قصيدة تمدحنى بأبيات غرامية؟ ولكن النبى الكريم تركه يكتب ما يشاء مادام ذلك فى حدود الأخلاق والدين فقد سمح الاسلام بالغزل العفيف ونهى عن الغزل الفاحش الذى يصف مفاتن المحبوبة ويثير الغرائز.. إلى هذا الحد احترم الاسلام المشاعر الانسانية النبيلة بين العاشقين؟

ومن أغرب قصص الحب قصة "عروة بن حزام" مع "عفراء" ابنة عمه التى أحبها حبًا جمًا وحين طلب يدها من أبيها رفض لأنه فقير وطلب منه أن يسعى فى الأرض ليأتى بمهرها فسافر عروة إلى إيران وأحضر المال ولما عاد وجد حبيبته قد تزوجت غيره ورحلت إلى الشام فذهب إليها ليراها فأكرمه زوجها دون أن يعرفه وأحسن ضيافته أيامًا ولما علم أنه ابن عم زوجته وحبيبها القديم قال له:"بالرحب والسعة ، نشدتك الله لا تترك هذا المكان أبدًا ثم خرج وتركه مع عفراء يتحدثان وتذكرا حبهما القديم وبكى عروة لفقده حبيبته ثم نوى الرحيل فلما علم زوجها

بذلك عرض عليه أن يطلقها ليتزوجها ، ولكن عروة انصرف عائدًا إلى قومه ، وكان فى الطريق كلما سقط مغشيًا عليه من شدة الحب جاءوا له بخمار عفراء فألقوه على وجهه فيفيق.. وما زال عروة يعانى من حبه حتى مات ، فشدت عفراء الرحال إلى قبره وظلت تندبه ثلاثة أيام وتبكى حتى ماتت ، فدفنت إلى جواره ، فنبتت من القبرين شجرتان ، حتى إذا طالتا التفتا ، فكان الناس يتعجبون لذلك.

ونستطيع أن نستخلص من هذه القصة أشياء كثيرة منها مثلاً: أولاً: موقف الزوج الذى علم بحب زوجته لذلك الرجل وحبه لها فتجرد من أنانيته وكاد أن يطلقها لتتزوج حبيبها ، فكان من الممكن مثلاً أن يقول لزوجته أنتِ خائنة سأقتلك وأقتله ، وهذا موقف غريب يدل على نبل شديد فمن من الرجال اليوم إذا علم أن امرأته يحبها رجل آخر فيتركها له دون أن يتهمها بالخيانة ؟ ومن من النساء تستطيع أن تتنازل عن زوجها إذا علمت أنه يحب غيرها ؟ هذا الموقف يشبه موقف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فكان الأنصارى يقول للمهاجر أتنازل لك عن إحدى زوجاتى فأطلقها لتتزوجها.

ثانيًا: بعد موتهما نبتت شجرتان لتحكى قصة حبهما بعد الوفاة ، ليس هذا فحسب بل تعانقتا ، كأن كل شجرة تمثل حبيب من الحبيبين ، وهذا يدل على أن الحب الحقيقى لا ينتهى بالوفاة بل يستمر.

ثالثًا: أن الحب فى معظم هذه القصص إما أن يؤدى إلى الموت أو إلى الجنون ، وأن الحبيب إذا مات فإن محبوبه يموت بعده ولا يستطيع أن يعيش بدونه. وهذا بسبب عادات المجتمع الخاطئة التى تجرم وتحرم الحب بدعوى أنه قلة أدب.

رابعًا: التزام الحبيبين بالعفة فى الحب ، فهما رغم شدة حبهما لبعضهما البعض لم يتجاوزا حدود الأدب والحياء ومراعاة الله وهو ما يجب أن يتحلى به كل عاشقين.

وهو ماحدث فى قصة "سلامة" محبوبة "القس" حيث كانت تختلى بحبيبها الذى عُرِفَ بالتقى والورع ومخافة الله ، ورغم خلوتهما إلا أنهما ما كانا يفعلان ما حرم الله ، فقد خلت به ذات مساء ، فبادرته قائلة:"أنا واللهِ أحبك" فأجابها:"وأنا واللهِ أحبك" فقالت له:"وأنا أشتهى أن أعانقك وأقبلك" فأجابها:"وأنا أشتهى مثل ذلك" فقالت له:"فما يمنعك ولا أحد معنا ؟" فقال:"يمنعنى أن أنعم بحبك فى الدنيا وأشقى به فى الآخرة فنغدو يوم القيامة من الأخلاء الأعداء الذين ذكرهم الله عزو جل فى قوله:"الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين".

وهو أيضًا ما حدث فى قصة "جميل وبثينة" حيث قيل له وهو يموت:هل تظن أنك ستنجو من عذاب الله وأنت تشبب ببثينة منذ عشرين سنة ؟ فقال أنه لم يلمسها قط إلا أنه كان يأخذ يدها فيضعها على قلبه ليستريح.

ويقول الإمام ابن حزم فى باب فضل التعفف (فى الحب) :"ومن أفضل ما يأتيه الإنسان فى حبه التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة"

ويحكى قصة شاب دعته امرأة إلى نفسها ولا ثالث لهما إلا الله فهم بها ولكنه ثاب إلى رشده وذكر الله فوضع إصبعه على السراج وقال:"يا نفس ؛ ذوقى هذا ، وأين هذا من نار جهنم ؟!" فهال المرأة ما رأت فعاودته فعاد إلى الفعلة الأولى ، فانبلج الصباح ، وسبابته قد التهمتها النار."

إذا بليتم فاستتروا

باتت هناك ظاهرة غريبة فى مجتمعنا وهى الوقاحة والجرأة فى المعصية ، ففى الماضى كان من يريد أن يزنى مثلا ًيتخفى تمامًا عن أعين الناس خجلا ًمنهم ثم يختار الليل وقتًا لارتكاب المعصية حتى لا يراه أحد ، أما الآن فأصبح العاصى يجاهر بفاحشته ومعصيته بلا أدنى خجل أوخوف. فكلما سِرْتُ فى طريق وجدت فتى وفتاة يمارسان الرذيلة بلا حياء أمام أعين المارة وفى قارعة الطريق وفى وضح النهار. وعلمت لماذا قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم :" كل أمتى معافى إلا المجاهرون". لأن المجاهر يتجرأ على الله ورسوله ويشجع غيره على المعصية.

منذ قديم الأزل عرف الزنا بأنه عيب وعار ، وليس حراما فقط .. من أول عهد الفراعنة وحتى عهد العرب. ففى عهد الفراعنة كانوا يحرمون الزنا ويعتبرونه من الفواحش وكانت عقوبة الزانى و الزانية فى بادئ الأمر هى الإلقاء فى النار أحياء أى الإعدام ، وكان هناك اختلاف فى العقوبة بين الزنا والاغتصاب حيث أن الزنا لو تم بالغصب أو بالعنف كان الجزاء يتمثل فى قطع الأجهزة التناسلية (العضو التناسلى) أما لو تم بدون عنف فإن الرجل الزانى كان يجلد ألف جلد والمرأة الزانية كانت تقطع أنفها. وواضح أن الحكمة من إقرار هذا العقاب أنها: بالنسبة للرجل يقصد إيلامه مقابل اللذة الآثمة (بنفس أداة الجريمة أى الجزاء من جنس العمل) ، وبالنسبة للمرأة يقصد جعلها عبرة ومحل خدش وعار دائماً ، و هكذا تحرم نهائياً من جمالها وفتنتها التى أثارت فى الرج ا ل الا نحطاط فى غرائزهم . وكان عقاب الزانى بالمتزوجة (العشيقة) هو نفس عقاب الزوجة الزانية وهو إحراقها وإلقا ء رفاتهما فى النيل هى وعشيقها.

وإذا نظرنا إلى قصة سيدنا يوسف بعين فاحصة سنجد امرأة العزيز غير مصرية بل من الهكسوس لأن المصريين كانوا يبغضون الزنا بغضًا شديدًا ويشددون عقوبته كما تقدم ، فوقاحة هذه المرأة ومجاهرتها بمعصيتها بل واشتراك بقية نساء المدينة فى نفس المعصية وتشجيع امرأة العزيز عليها وتهديده بالسجن إن لم يفعل ما كانت تفعله أبدًا ملكة مصرية أو مجتمع مصرى. وبالتالى فإن شيوع الفاحشة فى مجتمعنا الآن هو أمر غريب وحديث على الشعب المصرى ، بل إن أحد السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى اخاف الله رب العالمين. واختار الله هاتين الصفتين بالذات لأنها لو اجتمعت فى امرأة لا يستطيع الرجل مقاومتها فالجمال مغرى لأى رجل والمنصب يجعلها تبطش به لو رفض مثل امرأة العزيز.

فالعرب مثلا ًكان الزنا عندهم عيب وعار ليس من الناحية الأخلاقية فحسب بل من ناحية أنه عندما تزنى الحرة التى من عائلة شريفة فإنها تساوى نفسها بالجارية ومثالنا على ذلك هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان أول خلفاء الدولة الأموية عندما ذهبت بصحبة بعض النساء

لتبايع الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال لها:"تبايعننى على ألا تسرقن ولا تقتلن أولادكن ولا تزنين" فأجابت هند متعجبة:"أوتزنى الحرة ؟" أى أنه مستحيل فى عادات العرب وتقاليدهم حتى قبل الاسلام أيام الجاهلية والوثنية أن تزنى الحرة لأن مسألة الأنساب هذه كانت مسألة كبيرة عند العرب ، يعنى لا يجوز لامرأة حرة من أشراف قريش مثلاً أن تتدنى بمنزلتها الشريفة إلى درجة الجوارى والإماء وتتساوى بهن..

ولذلك قال المثل العربى القديم:"الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها"..أى أن الحرة تفضل الموت جوعاً على أن تأتى بالمال عن طريق الدعارة أو المتاجرة بجسدها. ولذلك فإن هناك قصة تروى عن هند هذه أنها ذات يوم كانت نائمة فى دارها ، وكان من عادة زوجها كأحد أسخياء العرب ووجهائهم أن يستضيف فى بيته الناس ليأكلوا من طعامه ، وكانت الولائم تقام كل يوم ويأتى الناس زرافات ووحداناً ليأكلوا فى داره..وتصادف فى ذلك اليوم أن هند بنت عتبة كانت نائمة فى دارها والناس فى الخارج يأكلون كعادتهم ، فانصرف الناس جميعًا إلا رجلاً كان لم ينته من طعامه بعد ، ولما عاد زوج هند ، وجد هذا الرجل مع زوجته فى الدار فظن أنه زنى بها ، فاتهما بالزنا ، فاستقبحت أن يتهمها زوجها بهذه التهمة الشنعاء وأقسمت له أنها لم تفعل لأن هذا يحط من كرامتها كحرة من حرائر العرب وأشرافهم ، فلم يصدق ، واقترح عليها أن يذهبا إلى عراف ليسألانه فوافقت حتى تثبت براءتها له..

وشدا الرحال إلى عراف كان يسكن خارج الجزيرة العربية واصطحبت معها أبيها فى تلك الرحلة ولكنها خشيت أن يكون العراف قليل العلم فلا يعلم الحقيقة أى بلغة عصرنا الحالى نصاب فقال لها أبيها:"لا تخافى فقد اختبرت العراف بأن خبأت شئ يخصنى ثم ادعيت أنه ضاع منى وسألت العراف عن مكانه فأخبرنى".. فاطمأنت هند. وتم عرض القضية على العراف الذى شهد ببراءة هند وعفتها وطهارتها ثم أخبرها أنها سوف تنجب ملكاً ، ولما خرجوا من عند العراف قال لها زوجها وهو يبتسم:"هيا بنا إلى منزلنا لكى ننجب الملك". فقالت هند والغيظ يملأها:"والله لأحرصن على أن يكون من غيرك". وأصرت على الطلاق لأنه اتهمها بشئ كانت دائمًا تشمئز منه وتعافه ثم تزوجت من أبى سفيان وأنجبت منه معاوية.

ولما جاء الإسلام أكد هذه الفكرة وشدد على تحريم الزنا وتشديد عقوبته ولم يفرق فى ذلك بين المرأة والرجل. فقد قال تعالى فى كتابه الكريم:"الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين " (النور:2). وهذه الآية الكريمة تدلنا على أن الزناة لا يستحقون الشفقة أو الرحمة أو التعاطف نظرًا لبشاعة وقذارة هذا الفعل الذى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالقاذورات فى حديثه الشريف وتدلنا أيضًا الآية على أهمية أن يكون العقاب علنى يشهده الجميع ليكونا عبرة لمن يعتبر فيتعظ من تسول له نفسه ذلك الفعل.

وقد اشترط الإسلام فى تطبيق حد الزنا شهادة أربعة شهود ، وهو شرط يصعب (إن لم يكن مستحيلاً) تنفيذه فعليًا إلا فى حالة واحدة عندما يخلع الزناة رداء الحياء ويتميزان بالوقاحة والجرأة ويفعلان هذا الفعل علنًا ، فكأن الله عز وجل وضع هذا الحد ليس للجريمة نفسها ولكن لجرأة الفاعلين على انتهاك تقاليد المجتمع وعاداته وآدابه ، فيصبحان قدوة سيئة لغيرهما تجرئ آخرين على انتهاج نفس النهج. وإذا تأملنا أسباب حرص الإسلام على تجنب هذه الفاحشة لوجدنا أنه حرمها للأسباب الأتية:

- أن الله جل وعلا قد كرم الإنسان وفضله على كثير من مخلوقاته ، فقد قال تعالى:"ولقد كرمنا بنى آدم ...." ، ومن صور هذا التكريم أنه ميزه عن الحيوانات وأعلى شأنه بأن جعل الحيوان يتكاثر ويتناسل فى الشارع أو تحت شجرة أو على ضفاف نهر أو على الحائط – بالنسبة للحشرات- أو فى الصحراء على الرمال....إلخ. ولم يجعله يستتر عن أعين الناس ، فيستطيع أى إنسان أن يشاهد الكلب أو القط أو الذباب أو..أو..وهو يجامع وليفته. بينما الإنسان لأن الله كرمه وأعزه فقد نزهه عن أن يشاهده أحد أثناء مجامعة زوجته ، بل إن الملائكة الكاتبين أنفسهم ينصرفون أثناء ذلك اللقاء ويخرجون خارج الحجرة ولا يعودون إلا بعد الإنتهاء منه.

- أن الحيوان عندما يتزوج فإنه لا يحتفل بهذه المناسبة ولا يدعو الأصدقاء والأحباء والأقارب لحضور ذلك الحفل ولا يقيم وليمة على شرفه لضيوفه فلم نرَ أسدًا مثلا دعا رفاقه الأسود لحضور عرسه أو كلبًا رقص وغنى ليلة زفافه ولا قطاً ضرب بالدفوف وارتدى أفخر ثيابه فى ليلة زفافه. بينما طلب الله من الإنسان أن يحتفل بتلك المناسبة وأن يعلن هذا الزواج ويدعو الأقارب والجيران لحضور عرسه بل أمره بارتداء أفضل الملابس والضرب بالدفوف والتعبير بكل وسيلة ممكنة عن فرحته بهذا اليوم.

فقد ذكر البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف:"أولم ولو بشاه". وقال أيضًا:"أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف " رواه أحمد والترمزى. وقال للسيدة عائشة رضى الله عنها بعد عودتها من زفاف امرأة يتيمة تربت فى كنفها إلى رجل من الأنصار:"يا عائشة هلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى".

- أن الحيوان لا يتكاثر بهدف تكوين أسرة واستمرار حياة زوجية أبدية قائمة على المودة والرحمة والاحترام المتبادل بين الزوجين وإنما يتزوج فقط لإرضاء غريزته واستمرار نوعه ولذا فإنه بمجرد انتهاء العملية الجنسية وحدوث الحمل لاتسمح الأنثى للذكر أن يلمسها مهما حاول لأن الهدف من المجامعة قد تم وانتهى الأمر وربما ينصرف كل منهما لا يرى الآخر ويذهب هو للبحث عن أنثى أخرى وتذهب هى للبحث عن ذكر آخر بعد الولادة ، وكل حيوان له موسم معين للتزاوج لا يتعداه. ولا يكون مطالبًا بالصرف على أبنائه ولا رعايتهم وتربيتهم. أما الإنسان فقد طالبه الله بالتأبيد والأبدية فى الزواج وحرم زواج المتعة ووضع أهدافاً أخرى للزواج غير الغريزة ، ولم يحدد لها وقتًا معيناً وطالب الزوج بالانفاق على أبنائه وتربيتهم. كما أمر الزوج والزوجة ألا ينصرفا إلى أزواج آخرين إلا بشروط معينة نظمها ووضع ضوابطها.

- إن المرأة التى تكون لرجال كثيرين فى آن واحد يتم تشبيهها باللبؤة – أنثى الأسد- لأنها تكون لأكثر من أسد فى نفس الوقت. والرجل الذى لا يغار على زوجته يتم تشبيهه بالخنزير لأنه لا يقاتل أى خنزير آخر تعرض لوليفته ويدعها لأكثر من خنزير. إن الإسلام هذب الغريزة ووضع لها آدابًا فقد قال الرسول:"لا يقعن أحدكم على امراته كالبهيمة وليكن بينهما رسول".

ألا ترون معى أن من يزنى يتدنى بنفسه إلى مرتبة العبيد ولو كان حرًا ثم يتدنى بنفسه أكثر وأكثر إلى مرتبة الحيوانات التى حرص الإسلام

على تمييزه عليها ؟ ولكن الزانى يأبى على نفسه إلا أن يكون حيوانًا متدنيًا ويرفض تكريم الله له. فمن يزنى فى الطريق تحت شجرة أمام الناس ودون احتفال وإعلان لتلك المناسبة التى ستثمر عن مولد إنسان مكرم جديد وهو ما يستحق احتفال آخر بالعقيقة والسبوع. من يفعل ذلك هو حيوان ، مالفرق بين الزانى وبين الكلب أو الصرصور أو الفأر مثلاً؟ كلاهما لا يكتفى بأنثى واحدة ويظل يلهث كل يوم عن صيد جديد يرضى غرائزه ، كلاهما لا يتحمل نتيجة أفعاله ولا مسؤوليته تجاه أولاده. وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم:"إذا بليتم فاستتروا". فإذا كنا قد ابتلينا برذيلة الزنا فى هذا العصر فلا أقل من أن نستتر.

قشر البرتقال

إن أعجب شئ يمكن أن تراه هو منظر شاب مصرى مسلم يطيل شعره ويضفره ، بحجة أنه يقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على عدم فهم للدين ، فالتأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم لا يكون بطول الشعر أو قصره أو شكله ولونه أو ماذا كان يرتدى ؟ أو ماذا كان يأكل ؟ ....إلخ. ولكن التأسى به يكون باتباع سنته ومنهجه فى الدعوة والأخذ بجوهر الدين وليس قشوره ، إننا إن فعلنا ذلك نكون كمن يأكل قشر البرتقال ويدع قلبه ولبه ، وليس هذا مقصد الإسلام على الإطلاق فإنما جاء الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق ويدعونا إلى عبادة الله الواحد ولم يأتِ ليفرض علينا تسريحة شعر النبى أو طعامه أو شرابه. والله تعالى لن يسألنا عندما نقف بين يديه يوم القيامة لماذا لم نضفر شعرنا مثل الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ولكن سيسألنا لماذا لم نتبع سنة الرسول؟

إذا فكرنا بهذا المنطق فعلينا إذن أن نركب الدابة بدلاً من السيارة ، فعلى كل شاب أن يضع فى جراج عمارته جمل أو حصان ليذهب به كل يوم إلى عمله تأسيًا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وألا نستعمل الثلاجة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستعملها ، وألا نستعمل المصباح الكهربائى ونعيش على ضوء الشموع تأسيًا بالنبى. فهل هذا يعقل ؟ كان الرسول شعره مرسل ، إذا مشطة بيده يمتشط ، يصل شعره إلى شحمة أذنيه من الجانبين ، وإلى كتفه من الخلف ، يفرقه من وسطه ، شديد سواد الشعر . عن ابن عباس قال:"كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد.. أخرجه البخارى ومسلم وأبو داوود. عن عائشة قالت:"كنت إذا أردت أن أفرق شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم صدعت الفرق بين يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه - أى أن الرسول كانت له قُصة تنزل على عينيه - أخرجه أبو داود.عن أم هانئ قالت:"قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربع غدائر.أخرجه الترمزى وأبو داود وقال تعنى ضفائر.

إن سيدنا يوسف عليه السلام عندما أتى إلى مصر ارتدى ملابس المصريين ، ليس هذا فحسب بل إنه حلق لحيته رغم أن بنى إسرائيل يطلقون لحاهم ، وهذا من ذكاء سيدنا يوسف ومرونته فالمصريين القدماء كانوا يعتبرون إطلاق اللحية نجاسة وقذارة ولأنهم قوم يحبون النظافة والتطهر حلقوا لحاهم خشية تعلق الأتربة والقاذورات بها. فيوسف عليه السلام لم يتمسك بعادات وتقاليد قومه البدو الذين جاءوا من الصحراء وهو مناخ يناسبه إطلاق اللحية أما فى مصر فالبيئة مختلفة ، نقية وصحية فلا حاجة إذن للحية هنا وحتى لا يكون شكله مستهجنًا ومستغربًا من أهل مصر - طالما أن ذلك لا يغضب الله تعالى - فقد ورد فى التوراة أن يوسف وهو فى مصر، كان حليق الوجه ، مثله مثل المصريين القدماء ، على عكس العبرانيين الذين كانوا يطلقون لحاهم ، مثلهم مثل غيرهم من أبناء القبائل فى بلاد الشرق الأدنى فى الق د م ، وحتى الوقت الحاضر. "فأرسل فرعون ودعا يوسف. فأسرعوا به من السجن. فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون". (تك 41: 14)

وسيدنا موسى عليه السلام أيضا تربى فى قصر فرعون ولبس من ملابس المصريين وأكل من طعامهم وخضع لعاداتهم وتقاليدهم حتى ظن بعض العلماء أن موسى مصرى وليس إسرائيلى لشدة تشبهه بالمصريين الذين كانوا فى ذلك الوقت مشركين فكان من الممكن مثلاً أن يقول: لن أتشبه بالكفار وسأظل على عادات قومى.

و يعتنق الدكتور "عبد المحسن الخشاب" نفس الرأى عندما يقول: "وهل كان موسى إلا مصرياً تربى فى مصر وعلى أرضها وتثقف وتعلم بحكمتها وعلومها وعمل كاهناً فى إقليم مصرى، وقارن ووازن فى تأملاته وخلواته أخلاق المصريين فأخذ منها ما فتح الله عليه بهديه ، ونبذ ما وجده مخالفاً لفكره وتصوره". فموسى طوال فترة وجوده بمصر كان تفكيره وكلامه مصرياً ، كما تعلم بها فلم تكن له لغة أو علم إلا بما تعلمه كالمصريين ، ولم يكن لقومه حضارة ولا دين ولا صناعة إلا ما أخذوه عن المصريين أيضاً ، وكان "موسى" — عليه السلام - يحاول حتى بعد رسالته أن يتكلم باللغة التى يفهمها المصريون".

ويتساءل دكتور "وجدى الفيشاوى" إذا كان "موسى" يحمل اسماً مصرياً ، وكان ـ كما يدعى البعض ـ كاهناً فى أرض "مصر" أو قائداً لجيش "مصر" أو ملكاً لجنوب "مصر"، فلماذا لا يك ون هو نفسه مصرياً ؟ وقال بنفس الرأى عالم النفس اليهودى فرويد".

وأنا على يقين أن النبى صلى الله عليه وسلم لو كان يعيش فى مصر فى عهد الفراعنة لارتدى ثيابهم ولو عاش فى القرون الوسطى فى أوروبا لارتدى ثياب ذلك العصر ومجتمعه... وهكذا وقد قال الله تعالى أنه بعث كل نبى بلسان قومه والمفهوم من ذلك أن النبى لابد أن يتكلم لغة قومه حتى يفهموه ويؤمنوا به يعنى مثلاً لو بعث نبى فى إثيوبيا سيتكلم اللغة الإثيوبية ولو بعث نبى فى انجلترا سيتكلم اللغة الانجليزية ولو بعث نبى فى فرنسا سيتكلم الفرنسية ...وهكذا ، ومنطقيًا أنه لن يتكلم لغة قومه فقط بل سيرتدى ملابسهم أيضاً ويأكل من طعامهم.....إلخ. فأى نبى هو نتاج بيئته وإفراز قومه وحصيلة مجتمعه ، أى نبى هو ابن البيئة التى يعيش فيها والبلد التى أنجبته. يعنى مثلاً لو نظرنا للرسول صلى الله عليه وسلم لوجدنا أنه كان يلبس مثل قبيلته قريش لا يختلف عنهم فى شئ حتى بعد النبوة ، حتى تسريحة شعره كانت خاضعة لعادات وتقاليد قومه إذ أنهم كانوا يطيلون الشعور واللحى ولم يختلف فى المأكل والملبس عن الكفار أمثال أبى لهب وأبى جهل حتى بعد البعثة..

فليس من المعقول أن يأتى الآن شاب فى القرن الواحد والعشرين ويكون شكله مثل شاب فى العصور الوسطى ، شاذاً عن مجتمعه بدعوى أنه يقلد الرسول صلى الله عليه وسلم.. يعنى لو كان النبى يعيش بيننا الآن كان سيقص شعره مثل كل الرجال ، وقد قيل له ذات يوم أن يأكل حيوان الضب فاعتذر بأنه لم يعتده بأرض قومه.

نرمين كحيلة

عندما يصبح التجمل عبادة

حرص الإنسان منذ وجوده فى هذه الدنيا على التجمل والتزين ذكرًا كان أم أنثى ، فمن الوهلة الأولى التى ظهرت فيها عورة آدم وحواء حاولا سترها بورقة توت لأنهما أدركا أن ذلك ينقص من جمالهما ، ثم بدأ الإنسان الأول يتفنن فى غزل ونسج الخيوط والأقمشة وتزيينها بمختلف الأشكال والألوان فلم يكتفِ بشئ أصم يرتديه بل حاول زخرفتها بشتى الطرق وهذا دليل على أن حب التجمل والتزين مركب فى الإنسان وفى طبيعته ، والدليل على ذلك الكم الهائل من الأساور والحلى والعقود والقلائد والسلاسل والأقراط التى وجدت فى المقابر الأثرية فضلا عن الشعور المستعارة وأدوات التجميل للرجال والنساء على حد سواء والعطور والذهب والأحجار الكريمة التى استخدمت فى تزيين كل شئ حتى المقاعد والمناضد والأسرَّة ، فذلك سرير على شكل أسد وتلك منضدة لها أرجل حيوان مفترس ، وذاك مقعد على شكل طائر....وهكذا. ولما جاء الإسلام شجع المسلم على التجمل والتزين فقال تعالى فى كتابه الكريم:"يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد"(الأعراف 31) والخطاب فى هذه الآية موجه لبنى آدم عامة وبنى آدم ليسوا كلهم مسلمين فمنهم الكافر والبوذى والمسيحى فهو لم يقل مثلا يا أيها الذين آمنوا بل كان الخطاب لكل بنى آدم. والمسجد هنا ليس بالضرورة مسجد المسلمين فكلمة مسجد فى اللغة النبطية القديمة تعنى مكان العبادة على وجه العموم والمفهوم من الآية أنه ليس بالضرورة المسجد فقط هو ما نتزين له بل أى مكان آخر مثل الذهاب لعرس أو لحضور حفل زفاف أو أية مناسبة أخرى أو الاجتماع عموما بالناس فى أى مكان.. وقال أيضا "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة"(النحل 8) "ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون"(النحل 6) إذن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أى شئ إلا وجمله وزينه حتى نستمتع بمنظره ونتذكر اسم عظيم من أسمائه الحسنى وهو:"البديع" الذى أبدع كل شئ خلقه فهذه سمكة متعددة الألوان فى تناسق عجيب ، وهذا القط تتداخل ألوانه بشكل يأخذ بالألباب ، والبحر لونه الأزرق مع زرقة السماء واحمرار الشمس وقت الغروب ، كل ذلك ألوان شتى من الجمال والزينة جعلت الإنسان يقلد ما يراه حوله من جمال فيتخذ لنفسه ملابس مزخرفة من أشكال الطبيعة من حوله من نبات وحيوان.

وعندما فتح المسلمون البلاد وبنوا المساجد والقصور جاء الفنان المسلم ليزخرف أسقف وجدران المساجد بأشكال عديدة من الرسومات والزخارف الإسلامية الجميلة مبتعدًا عن أشكال الحيوانات والإنسان لأن الإسلام يحرمها ، وكان المسلمون الأوائل أيام الدولة الأموية والعباسية والفاطمية يلبسون الملابس المزخرفة المنسوجة بالقصب والحرير وغيره ويمشطون شعورهم بتسريحات مختلفة ويطيلون شعورهم فينسدل على أكتافهم من تحت العمامة وكل ذلك حبا فى التجمل والتزين ، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية التى جعلت إندونيسيا تعتنق الإسلام بسبب أن التجار المسلمين كانوا يتزينون ويتعطرون ويغتسلون فجذبوا إليهم أهل إندونيسيا وكذلك فى الأندلس نرى القصور الفاخرة الجميلة مثل قصر الحمراء وغيره.

وعلى هذا فإن التجمل والتزين يصبح عبادة يثاب عليها الإنسان عندما يفعلها بنية أن ذلك لله فهذا الإمام أبو حنيفة النعمان عندما كان يدخل عليه أحد ويراه جالسًا وحده فى الظلام فى كامل زينته فيتعجب ويقول له:" أنت متزين وليس يراك أحد؟" فيجيب:"أنا أتزين لله". والإمام الشافعى كان يذهب إلى مجلس العلم مرتديًا أفخر الثياب فيُسْأل عن ذلك فيقول:"إنى أتزين للعلم". حتى جبريل عليه السلام حين كان يأتى للنبى صلى الله عليه وسلم كان يأتيه فى أجمل صورة وأبهى منظر على شكل دحية الكلبى وهو رجل وسيم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم. وقد جاءت امرأة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبت منه أن يطلقها من زوجها فسألها عن السبب فقالت أنه لا يغتسل ولا يمتشط ولا يتعطر فجاء بالرجل وطلب منه أن يغتسل ويتعطر ويتزين فجاء الرجل وقد اختلف شكله تمامًا فسأل النبى صلى الله عليه وسلم المرأة فقالت أنها الآن ترضى بزوجها. وهذا يدلنا على أن فكرة أن التزين والتجمل من خصائص المرأة فقط وأن الرجل لا يتزين هى فكرة خاطئة فالمرأة تحب أن ترى زوجها فى أجمل صورة كما يحب هو أن يراها فى أبهى صورة. وقال أحد الصحابة رضوان الله عليهم:"إنى أتزين لامرأتى كما تتزين لى". وقد وردت أحاديث كثيرة فى استحباب تعطر الرجال بما تظهر راحته ويختفى لونه وتعطر النساء بما يظهر لونه وتختفى رائحته.

أما تزين وتجمل المرأة فى بيتها بكافة أنواع الزينة لزوجها فهو عبادة أيضا ، وما أجملها وأمتعها من عبادة!! يهملها كثير من الناس ، فكثيرًا ما نجد روائح غير مستحبة فى المساجد والحافلات ورغم أن النبى نهى عن ذلك حين نهى عن الذهاب إلى المسجد بعد أكل الثوم والبصل وأمرنا بالاغتسال يوم الجمعة لأنه يوم يلتقى الناس فيه بعضهم البعض "اغتسلوا يوم الجمعة ولو كأسًا بدينار" (أخرجه ابن عدى فى الكامل عن أنس بن أبى شيبة عن أبى هريرة) فما أعظم الدين الذى يراعى شعور الآخرين وألا يؤذى أحدنا عين الآخر أو أنفه برائحة كريهة أو منظر قبيح. وقد كان السواك سبب انتصار المسلمين فى أحد المعارك.

والتاريخ يحكى لنا أن الملوك والشعوب قبل الإسلام كانوا لا يغتسلون طوال حياتهم فجاء الإسلام وعلمهم النظافة والجمال فقد كان رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ذو رائحة كريهة نفاذة وعندما ذهبت عنه رائحته عرف الناس أنه أسلم. وكان الرسول نفسه مثالا للجمال والنظافة والتزين وعندما سأله رجل أمن الكِبْر أن أرتدى ثيابًا جميلة ؟ قال له :"إن الله جميل يحب الجمال"(رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه).فإذا ارتدى المسلم مثلا ثيابًا أنيقة فى أوروبا ومشط شعره بنية أن يكون هذا إعلانًا عن الإسلام وأن المسلمين قوم يحبون النظافة والجمال ليحببوا الأوروبيين فى الإسلام فله بذلك أجر."إنكم قادمون على إخوانك فأصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس"(رواه أبو داود عن أبى الدرداء" فليت من يسكنون الشوارع ولا يغتسلون شهورًا طويلة يعلمون أن هذا سلوك لا يرضى الله ولا رسوله.. فهيا بنا نتعبد بالتجمل.

الدعابة والمزاح فى حياة المسلم

يتميز العرب عموماً والشعب المصرى خصوصًا بحبهم للفكاهة والدعابة وخفة ظلهم ، ومن هنا تم اختراع شخصية جحا بكل مواقفه الساخرة الضاحكة وغيره من الشخصيات الأخرى التى أثرت الأدب العربى ثراءً كبيرا ففى كتاب البخلاء للجاحظ نجد صور ضاحكة من البخل وتصرفات البخلاء ، ولو تتبعنا تاريخ الشعب المصرى منذ قديم الزمان لوجدنا أن الن ك تة تلعب دورًا بارزا فى حياته حتى فى أحلك لحظات

حياته ، فعندما يُحتل فإنه يسخر من محتليه ، وعندما يتعرض لظلم فإنه يسخر من ظالمه بالنكات والرسومات ، ولعل أول رسم كاريكاتيرى أنتجه الشعب المصرى كان على جدران معبد الدير البحرى للملكة حتشبسوت بعد عودتها من بلاد بونت ، حين تم تصوير زوجة ملك بونت (الصومال حاليًا) بطريقة كاريكاتيرية طريفة تبين كم أن ملكة بونت سمينة ومكتظة بالشحم واللحم لأن المصريين القدماء كانوا مشهورين بالرشاقة فهالهم منظر الملكة الممتلئة فظهر ذلك فى رسوماتهم..وكان الفرعون المصرى يعين رجلا فى بلاطه وظيفته أنه مهرج الملك ، كلما شعر الفرعون بالضيق استدعى هذا الرجل ليضحكه. وكان الفراعنة يستقدمون الأقزام من إفريقيا لنفس السبب فالمرح والدعابة لا غنى للإنسان عنه فهو يروح عن القلوب ويذهب عنها الملل والكآبة التى تعتريها من حين لآخر.

صور من دعابة النبى والصحابة:

ولما جاء الإسلام هذب حب الدعابة والفكاهة فى نفوس الناس فوضع لها شروطاً وآدابًا نستطيع أن نستخلصها ونراها فى مزاح النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فهو القائل:"تبسمك فى وجه أخيك صدقة"..وقد قال: أحد الصحابة رضوان الله عليهم واصفًا الرسول عند اللقاء:"ما رأيت أكثر تبسمًا من النبى صلى الله عليه وسلم". حتى أن المرة الوحيدة التى عبس فيها النبى ولم يبتسم عاتبه الله عز وجل وأنزل سورة كاملة سماها سورة "عبس" ، وكأن التبسم والبشاشة هو منهج إسلامى رفيع ولكنه خاضع لضوابط تهذبه رغم أن المرء قد يظن أن مقام النبوة يتطلب الجدية ؛ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:"قالوا:"يارسول الله إنك تداعبنا ؟ قال:إنى لا أقول إلا حقاً"(رواه الترمزى).فهذا هو الشرط الأول فى المزاح أن يتحرى الصدق فيه وهذا بالطبع معناه أن اختراع النكات الكاذبة عن الصعايدة وغيرهم هو مخالفة شرعية لشروط الدعابة وأن كذبة إبريل بهدف الدعابة حرام..حتى فى أوقات الحرب والغزوات لم تكن روح الفكاهة تفارق النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رغم ما يقتضيه الموقف من الجدية ففى إحدى الغزوات كان النبى مصطحبا مرضعته أم أيمن الحبشية فقالت له داعية:"سبتكم الله" .. لأنها كانت لا تتقن العربية فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال:"تقصدين ثبتكم الله" فإن استخدام السين بدلا من الثاء يعطى عكس المعنى وفى غزوة أخرى كان النبى يجالس على بن أبى طالب ويأكل معه التمر فأخذ علىّ النوى ووضعه أمام النبى وقال له مداعبا:"أأكلت كل هذا التمر يا رسول الله؟ فرد النبى مازحا:"وأنت أأكلت البلح بنواه؟" وأخذ الإثنان يضحكان.

وعنه رضي الله عنه : أن رجلاً من أهل البادي ة كان إسمه زاهراً.. وكان صلى الله علي ه وسلم يحبه وكان رجلاً دميماً. فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلف ه وهو لا يبصره فقال : من هذا ؟ أرسلني (يعنى اتركنى) فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من يشتري هذا العبد؟ (وهو بلا شك عبدٌ لله (فقال : يارسول الله إذن والله تجدني كاسداً. فقال النبي : لكنك عند الله لست بكاسد . رواه أحمد وابن حيان .

وعن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب قال : قالت عائش ة : كان عندي رسول الله وسود ة فصنعت خزيراً فجئت به فقلت لسود ة : كلي فقالت : لا أحبه فقلت : والله لتأكلين أولألطخن وجهك فقالت : ما أنا بباغي ة ، فأخذت شيئاً من الصفح ة فلطخت به وجهها ورسول الله ما بيني وبينها فخفض لها ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصفح ة شيئاً فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك في حديث أكبر من هذا

وهناك صور عديدة من مزاح الصالحين فقد قال الربيع : دخلت على الشافعي وهو مريض فقلت : قوّى الله ضعفك ، فقال : لو قوّى ضعفي قتلني . فقلت : والله ما أردت إلا الخير . قال : أعل م أنك لو شتمتني لم تُرِد إلا الخير

و مزح الشعبي في بيته فقيل له : يا أباعمرو ، وتمزح ؟ ، قال : قرّاء داخل وقرّاء خارج ، نموت من الغم

ووقع بين الأعمش وامرأته وحشةٌ فسأل بعض أصحابه ويقال : إنه أبو حنيفه أن يصلح بينهما فقال : هذا سيدنا وشيخنا أبو محمد فلا يزهدنّك فيه عمشُ عينيه وحُموشة ساقيه وضعف ركبتيه وقَزَل رجليه وجعل يصف فقال الأعمش : قم عنا فقد ذكرت لها من عيوبي مالم تكن تعرفه .

ولكن من المحرم والمحظور الدعابة فيما يخص الله ورسله وكتبه والاستهزاء بهم فقد رأيت أمثلة عديدة لأشخاص يتندرون على الله ورسوله ولما نهيتهم عن ذلك قالوا:"إنا نمزح". فقلت لهم:إن الله ورسوله لا يصلحان مادة للمزاح والسخرية فاستنكروا.

ذكر الطبري أنه في غزوة تبوك قال بعض القوم لقراء النبي صلى الله عليه وسلم يستهزئون بهم ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب حديثاً ولا أجبن عند اللقاء) . فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت آ ية في كتاب الله إلى أن تقوم الساع ة :" ولئن سألتهم ليقولن إنما كنّا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم " (سورة التوبة 65،66)

قال العلاّمه ابن عثيمين رحمه الله : (فجانب الربوبي ة والرسال ة والوحي والدين جانبٌ محترم لا يجوز لأحدٍ أن يعبث فيه لا بإستهزاء بإضحاك ، ولا بسخري ة ، فإن فعل فإنه كافر لأنه يدل على إستهان ة بالله عزوجل ورسله وكتبه وشرعه وعلى من فعل هذا أن يتوب إلى الله عزوجل مما صنع ، لأن هذا من النفاق فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفر ويصلح عمله ويجعل في قلبه خشية الله عزوجل وتعظيمه وخوفه ومحبته والله ولي التوفيق

ويجب أن لا يتضمن الأذى بأحد من الناس ، قال رسول الله "لا ضرر ولا ضرار " . فلا يجوز أن يؤذي الناس ولو نسب الأذى إلى ا لمزاح

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم:"لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًا ولا لاعبًا

وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليرددها عليه(أحمد وأبو داود والترمزى)

فعلى سبيل المثال هناك صديق يريد أن يمزح مع صاحبه فيسرق منه شيئا فيتسبب له فى مشكلة أو صديق يؤلف قصة كاذبة لصديقه أو يضربه ضربا مبرحا أو ينتحل شخصية أخرى بغرض الدعابة فيروعه وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا"

وهذا يدلنا على أن المزاح لا يجب أن يتضمن

كذباً أو غيبة أو فحشاً ويجب أن يكون مزاحًا لطيفًا رقيقا وليس مزاحا ثقيلا سخيفا فمثلا برنامج الكاميرا الخفية الذى يهدف إلى السخرية من الناس وإضحاك غيرهم عليهم من خلال ترويعهم والكذب عليهم يعتبر حرام شرعا والأفلام التى تمزج الكوميديا والضحك بالفاحشة فتجعل المشاهد يضحك ويشعر بالسعادة بينما يشاهد بطل الفيلم يزنى مع البطلة فاستطاع المخرج بخبث شديد وبالتدريج صرف ذهن المشاهد عن مدى شناعة هذه الفاحشة عن طريق صبها فى قالب كوميدى

ونجد سيدنا موسى عليه السلام حين أمر قومه أن يذبحوا بقرة قالوا له:"أتتخذنا هزوا" فقال لهم :"أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين".إذن الاستهزاء بالناس واالضحك عليهم هو نوع من الجهل لا ينبغى للمسلم الوقوع فيه

كما أن ه لا يجب أن يفرط في المزاح عن الحد المعقول : جاء في تعليقات عون المعبود : كان النبي صلى الله عليه وسلم يداعب أصحابه ولا يقول إلا حقاً . وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس رفعه : لا تمار أخاك ولا تمازحه ، الحديث . والجمع بينهما أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله . وأتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله احملني قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا حاملوك على ولد ناقة ، قال : وما أصنع بولد الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق) . رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني). وجاءت امرأة إلى النبى وقالت له: ادعو الله لى أن أدخل الجنة. فقال:لا يدخل الجنة عجوز. فبكت فقال لها ضاحكا: أن الله سبحانه وتعالى سيجعل سن أهل الجنة لا يتجاوز الثالثة والثلاثين أى سن الشباب. وقد قال الله تعالى:" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ "وقد ورد فى كتاب التوحيد شرح الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ باب من هزل بشئ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية نص في أن المستهزئ بالله، وبالرسول، وبآيات الله -جل وعلا-، والمقصود بها آيات الله -جل وعلا- الشرعية، يعني القرآن، أن هذا المستهزئ كافر، وأنه لا ينفعه اعتذاره بأنه كان في هزل ولعب، بل هو كافر؛ لأن تعظيم الله -جل وعلا- وتوحيده يوجب عليه ألا يستهزئ، إذن قوله : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ هو دليل كفر المستهزئ .

واليوم هناك نوعان من الناس أحدهما عابس متجهم والآخر ساخر متهكم فالعابس يدعى أن الإسلام دين الجدية والوقار والضاحك يدعى أن الاسلام دين السماحة والدعابة والحقيقة أن الإسلام دين الوسطية بين هذا وذاك فقد قال النبى إن كثرة الضحك تميت القلب فلا ينبغى للمسلم أن يقضى ليله ونهاره فى الضحك والمداعبة والفكاهة حيث مر النبى على قوم يضحكون فقال:" لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكتيم كثيرا" .وفى الوقت نفسه لا ينبغى أن يقضى يومه كله متجهما عابسا بل يكون متوازنا بين هذا وذاك

أطفالنا وأطفالهم

ل طالما سألت نفسى سؤالا: لماذا أطفالنا فى هذا العصر لا يفقهون شيئا إلا عن أخبار اللعب والبلاى ستيشن والفسح والمصيف وأنواع الملاهى والحلويات ، ولماذا الأطفال فى الماضى كانوا أكثر اتزانا وتعقلا وإيمانا ؟؟لماذا طفل اليوم مدلل بينما طفل الأمس تم تربيته ليصبح رجلا ؟

جاءتنى الإجابة حين قرأت سير العظماء والصالحين وكيف كانوا فى طفولتهم..فطفل اليوم ليس له هدف إلا إشباع طلباته ورغباته أما طفل الأمس فكان هدفه نصرة الإسلام والدفاع عن المسلمين ، ولنرى أمثلة لهذه القصص حتى نعلم كم انحدرنا ولماذا انهزمت أمتنا هزائم متوالية.. حتى الفراعنة كانوا لايدللون أولادهم بهذا الشكل فهم الذين قالوا :"أذن الصبى فى ظهره فهو يسمع ويطيع إذا ما ألهب ظهره " ومن لا يطيع معلمه كانوا يذهبون به إلى المعبد لمدة ثلاثة شهور (كالمسجون) عقابا له ، لايرى أمه ولاأباه ولا أسرته حتى يتمرن على القراءة والكتابة. وكانوا يفعلون ذلك لا لأنهم غلاظ القلوب و الأكباد بل بالعكس هم كانوا يحبون أبناءهم حبا جمًا ويظهر هذا فى الصور والتماثيل والنقوش لكن المصريين يريدون أن يربوا رجالا ينهضون بالأمة وهذا ما حدث فقد أنجبوا لنا بناة الأهرام الذين خلفوا لنا هذه الحضارة الرائعة . .وكان الأب يقول لولده أن حب الإله هو أهم شئ فى حياته.

مرَّ الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعبد الله بن الزبير ، وهو صبى يلعب مع الصبيان ، ففر الصبيان ، ووقف هو مكانه. فقال له عمر:مالك لم تفر مع أصحابك ؟ قال عبد الله: يا أمير المؤمنين: لم تكن الطريق ضيقة ، فأوسع لك ، ولم أرتكب خطأ ، فأخاف منك. هذا الصحابى هو الذى مات شهيدا بعد ذلك فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى وقد رأته أمه السيدة أسماء بنت أبى بكر يرتدى واقيا للحرب فقالت له: أنا لم أربك لتكون جبانا لا بد أن تواجه عدوك ولما قال لها أنه يخشى أن يصلبوه بعد أن يقتلوه قالت له: وهل يضير الشاه سلخها بعد ذبحها ؟ ولما خرج صلبه الحجاج. فجاءت أمه أسماء بنت أبي بكر وكانت عجوزًا مكفوفة البصر، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن -ينـزل (تقصد عبد الله المصلوب)؟ فأنزله، فغسله المسلمون ودفنوه -رضي الله عنه.

دخل على عمر بن عبد العزيز فى مبدأ ولايته ، وفود المهنئين ، فتقدم وفد الحجاز بين يديه ، فقام من بينهم غلام لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وأراد أن يتكلم عن قومه ، فقال عمر: اجلس أنت يا غلام ، وليتكلم من هو أكبر منك سنا. فقال الغلام: أيدك الله يا أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه: قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد استحق الكلام ، ولو كان الأمر بالسن يا أمير المؤمنين ، لكان فى الأمة من هو أحق منك بالخلافة. فسُر عمر من جوابه ، وسمع منه مطالب قومه ، وقضى حوائجهم.

هذا الطفل لو كان يعيش فى عصرنا الحالى وطُلب منه أن يتكلم ما استطاع أن يتحدث بهذه البلاغة والشجاعة والأدب ، فالملاحظ أن كلامه فيه كثير من التعقل والحكمة فهو مثلا لم تدفعه جرأته وشجاعته إلى سوء الأدب مع أمير المؤمنين بل خاطبه بكل أدب وأقنعه بالحجة والمنطق أنه قادر على الكلام حتى أن منطقه غلب منطق عمر ومن هم أكبر منه سنا.

بل إن عمر بن عبد العزيز نفسه حين كان طفلا صغيرا وقف ذات يوم أمام المرآه يمشط شعره المنسدل على كتفه فأخره هذا عن صلاة

.الجماعة ، ولما سأله أبوه عن سبب تأخيره قال أنه كان يمشط شعره فما كان من أبيه إلا أن قص له شعره الذى يلهيه عن ذكر الله

هذه القصة لو حدثت اليوم لقال الأب أن ابنه معذور فهو ما يزال طفلا ومن حقه أن يلعب ويمرح كبقية الأطفال ، وسيقول لنفسه المثل الدارج:"عيل وغلط" لكن تصرف الأب جعل هذا الطفل يصير فيما بعد خامس الخلفاء الراشدين الذى حكم الدولة الإسلامية بالعدل.

ونجد صلاح الدين الأيوبى محرر بيت ال مقدس من الصليبيين ، كان طفلا يلعب مع أصحابه ، ولما رأته أمه ذات يوم نهرته وجذبته من قميصه وقالت له:" أنا ما ولدتك للعب بل ولدتك لتحرير بيت المقدس " وعندما كان ينام عن صلاة الفجر كان أبوه يوكزه بالعصا حتى يوقظه ثم يأخذه معه ليصلى. واليوم إذا نام طفل عن الصلاة فإن أباه لا يهتم ويقول: لايهم إنه ما زال صغيرا.

أما قصة مقتل أبى جهل فإنها حقا مثيرة للحسرة فقد قالت إحدى الأمهات لوليديها الصغيرين قبيل معركة بدر: إن لم تقتلا أبا جهل فلا تعودان إلى هذا البيت. فخرج الولدان وطلبا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعطيهما سيفين فأشفق النبى عليهما فأصرا فأعطاهما سيفا أكبر منهما كان يجرجر على الأرض فوضعا خطة لمقتل أبى جهل أحدهما يبتر أرجل الحصان الذى يركبه والآخر يقتله عندما يقع على الأرض . . عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال (بينما أنا واقف في الصف يوم بدر ،نظرت عن يميني وعن شمالي ،فإذا بغلامين من الأنصار حديثي السن فغمزني أحدهما فقال :ياعم هل تعرف أبا جهل ؟قال :نعم وما حاجتك إليه ياابن أخي ؟قال :أخبرت أنه يسب الرسول ،والذي نفسي بيده لئن رأيته لايفرق سوادي سواده ،حتى يموت الأعجل منا ،قال :فتعجبت لذلك ،فغمزني الآخر فقال مثل ذلك .قال :فلما رأيته قلت لهما :هذا صاحبكما الذي تسألان عنه ،فأبتدراه بسيفهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأخبراه ،فقال : أيكما قتله -: ،فقال كل واحد منهما :أنا قتلته فقال الرسول (هل مسحتما سيفيكما ؟)قالا :لا ،فنظر في السيفين فقال (كلاكما قتله). والغلامين هما معاذ بن عمرو بن الجموح ،ومعو ذ بن عفراء) وقال الرسول- صلى الله عليه وسلم- (من ينظر ماذا صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود) وقال : أدركت أبا جهل صريعا وفيه بقية من رمق فقلت :أي عدو الله قد أخزاك الله ؟قال وبما أخزاني قتلتموني ومعي سيفي ،فوقفت فوق صدره فقال :أي رويع الغنم لقد أرتقيت مطلعا صعبا ،فجعلت أضربه ولايؤثر فيه شيء ومعه سيف جيد ،فضربت يده فوقع السيف فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه ثم أتيت النبي فأخبرته فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -(انطلق) فانطلقت معه فأريته ،فلما وقف عليه الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال :هذا فرعون هذه الأمة .

وفى الأندلس مرَّ رجل إسبانى بطفل يجلس تحت شجرة فقال له: لماذا لا تلعب فقال: وهل خلقنا للعب ؟ فعرف الرجل أن الإسبان لا يستطيعون أخذ الأندلس من يد المسلمين طالما أن أطفالهم هكذا..وبعد سنين طويلة وجد الرجل الإسبانى شاب يبكى تحت شجرة فسأله فعرف أن حبيبته هجرته ، فعلم أن هذا هو الوقت المناسب لانتزاع الأندلس من أيدى المسلمين.

وقصة غلام أصحاب الأخدود المذكورة فى صورة البروج معروفة فقد كان هذا الغلام صغير السن ولكنه ضحى بحياته من أجل نصرة دين الله حين طلب من الملك أن يقتله شريطة أن يقول باسم الله رب الغلام وكان ذلك سببا فى إسلام كثير من الناس الذين حفر لهم الملك أخدودًا عظيما وحرقهم فيه..والغريب أن أمه فرحت به وكانت من بين أصحاب الأخدود..م ن م ن الغلمان اليوم يضحى بحياته من أجل الله أو على الأقل حتى يضحى بوقته أو نومه أو رغبته فى اللعب واللهو من أجل الله ؟ ومن من الأمهات تشجع ابنها على التضحية فى سبيل الله ؟

وقصة أهل الكهف يذكر الله عزوجل أنهم كانوا فتية يعنى فى سن المراهقة أى أقل من عشرين عامًا ، ومع ذلك يفكرون فى نصرة دين الله والفرار بدينهم من بطش الملك لذا استحقوا تكريم الله وتخليد ذكرهم فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة. . فهو يثنى عليهم ويقول:"إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى"(الكهف) وسمى سورة كاملة باسم الكهف الذى آووا إليه.أما الفتيان فى هذه الأيام فكل اهتمامهم هو كيف يرتدون الجينز الساقط وكيف يصاحبون البنات ويترددون على الديسكو ؟

أما هذه القصة فقد حدثت أثناء غزو التتار لبلاد الشام ومصر حيث كان خطرهم يهدد بلاد المسلمين وكان لابد من تكاتف المسلمين فى كل البلاد لطردهم حتى النساء والأطفال..فقصت إحدى الأمهات ضفيرتها الطويلة الذهبية أى أنها ضحت بأعز ما تملك ؛ أنوثتها وجمالها فى سبيل الإسلام ثم أعطت الضفيرة لقائد الجيش ليستخدمه لجامًا فى قتاله ضد التتار ، وجاء صبى صغير ودعا الله قائلا : يارب إنى أريد أن أستشهد فى سبيلك فتتخطفنى الطير فأحشر يوم القيامة هكذا فتسألنى لم فعلت هذا بنفسك فأقول لأجلك يارب. وذهب الولد وطلب من قائد الجيش أن يحارب معه فأبى لصغر سنه فأصر الولد فحارب واستشهد ، وهو فى النزع الأخير قال للقائد:"اذهب إلى أمى واقرئها منى السلام ، فقال القائد ومن أمك ؟ فقال: أمى هى صاحبة الضفيرة.

ولما لفظ أنفاسه الأخيرة دفنوه فإذا بالأرض تلفظه فعادوا فى اليوم الثانى ليعيدوا دفنه فلفظته الأرض وللمرة الثالثة يدفنوه وتلفظه الأرض فذهب القائد إلى أمه يستفسر عن ذلك فقصت عليه القصة ولما عاد القائد وجد الطير تتخطفه.

من من الأمهات اليوم تسمح لولدها الصغير أن يجاهد فى سبيل الله ويقتل؟

كان النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم يجلس صبى إلى يمينه ولما أراد النبى أن يشرب جلسائه قال له: أتسمح أن أبدأ بالكبار ؟ فقال الولد :والله لا أعطى نصيبى منك لأحد. هذا هو الذكاء وحسن التصرف فمن من الأولاد الآن يفكر بهذا المنطق ؟ بل إننا لو سألنا صبى اليوم هذا السؤال سوف يضحك ويخجل ولا يرد.

م ن م ن الأمهات اليوم تقول لولدها : اذهب وانصر الإسلام ولا تعود إلا والاسلام عزيز؟ ، ومن من الآباء يقول لولده لا تنم عن صلاة الفجر ويعاقبه إذا لم يصلى .

فالأب يجب أن يجرى مسابقة بين أولاده ويقول لهم كل يوم: أيكم اليوم يقدم خدمة للإسلام ومن يتفوق على الآخر فى هذا الأمر أكافئه.

هل من أب اليوم يقول لأبنائه: لن نخرج اليوم للفسحة حزنا على سب الرسول صلى أو كلنا سنخاصم فلان ولا نكلمه حزنا على فقدان أحد

الأبناء صلاة العصر أو الظهر أو لن نتعشى اليوم فى النادى تضامنا مع أهل فلسطين الجوعى. بل إن أول كلمة يجب أن يتعلمها الطفل ليست كلمة بابا أو ماما بل كلمة الله. لا بد أن يتشرب أبناءنا حب الله ورسوله منذ الصغر حتى يتغلغل الدين فى دمائهم وعروقهم ويصبح أغلى عليهم من أنفسهم وأرواحهم وحياتهم. . فنحن نربى أطفالا بلهاء أما هم فكانوا يربون أطفالا أبطال.

خبران

الخبر الأول أذاعته إحدى القنوات الإخبارية الفضائية عن سيدة هندية تبيع ابنها لشدة حاجتها للمال وتقبله القبلة الاخيرة ، والوداع الأخير، والخبر الثانى عن شاب هندى تزوج جدته العجوز لكى يرعى شؤونها ويخدمها .. والحقيقة إن هذين الخبرين استرعيا انتباهى وجعلانى أقول: الحمد لله على نعمة الإسلام فهما يظهران عظمة الاسلام كدين جعل الزكاة فريضة اقتطعها من الأغنياء ليعطيها للفقراء ، حتى أن بعض بعض الذنوب لا يكفرها إلا إطعام المساكين.. وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحض على طعام المسكين والتصدق عليه لأن هناك مثلا شعبيا يقول:"الجوع كافر" أى أن الانسان إذا جاع فمن الممكن أن يؤدى به الجوع إلى الكفر وإلى الجريمة ، ولذلك فإن هناك حديث للنبى صلى الله عليه وسلم يقول:"اللهم إنى اعوذ بك من الكفر والفقر" وهو يقرن الكفر بالفقر لأنهما متلازمان فى كثير من الأحيان. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:"عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج شاهرا سيفه بين الناس". وقال أيضا:"لو كان الفقر رجلا لقتلته". وقد فرض الله علينا الصيام فى شهر رمضان لكى يشعر الغنى بآلام الفقير وجوعه فيعطف عليه. وفى عيد الفطر لا يقبل صيامنا إلا إذا أطعمنا الفقراء ليفرحوا معنا بالعيد وفى عيد الأضحى نطعم الفقراء اللحم .. والفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمئة سنة ومعظم أهل الجنة من الفقراء ..وهذا ما جعل معظم الذين أسلموا فى بداية الاسلام هم من الفقراء والمنكوبين والضعفاء والمظلومين والعبيد لأنهم وجدوا حريتهم المسلوبة فى هذا الدين.

هذه السيدة لو كانت تعيش فى دولة إسلامية لما سمح لها أحد أن تبيع ابنها فلذة كبدها من أجل حفنة دولارات تتقوت بها بل كانت المساجد وأهل الخير سيدفعون لها زكاة أموالهم وصدقاتهم ابتغاء مرضاة الله وهذا هو التكافل الاجتماعى الذى حققه الاسلام.

وأما هذا الشاب الذى تزوج جدته العجوز فلو كان مسلما لما احتاج أن يضحى تلك التضحية الكبيرة ويتزوجها ويحرم نفسه من أن تكون له زوجة شابة من سنه تشاركه حياته لأنه بالفعل محرمًا لها وتجب عليه رعايتها والانفاق عليها والتكفل بها.. وهذا يذكرنا أيضا بمكانة المرأة فى الاسلام وتكريمها سواء أكانت أمًا أم جدة أم ابنة أم زوجة أم أخت وجعل الرجل مسؤولا عنها فى كل الأحوال ومحاسبته إذا ضيعها أو تهرب من مسؤوليته نحوها.. فالحمد لله على نعمة الاسلام وكفى بها نعمة.

كل سنة وأنتم ميتين

اعتاد الناس زيارة موتاهم فى أيام العيد حتى لنجد ازدحامًا شديدًا وتوافد الناس زرافات ووحدانًا على المقابريوم العيد .. وهذا شئ عجيب ، فقد شرع الله العيدين للناس لكى يفرحوا ويبيتهجوا ويتبادلون الزيارات بين الأحياء وليس الأموات ولأنه يوم عيد وفرح وسرور فينبغي عدم إثارة الأحزان فيه ، أما زيارة القبر فى العيد واجترار الأحزان والذكريات الأليمة فهذا مكروه شرعًا. وهو مخالف لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وفعل السلف ، ويدخل فى عموم نهيه عن اتخاذ القبور عيدًا إذ إن قصدها في أوقات معينة ومواسم معروفة من معانى اتخاذها عيدًا كما ذكر أهل العلم . انه لم يرد عن الرسول الكريم صلى الله عيه وسلم او الصحابة او التابعين انهم كانوا يزورون المقابر صباح الاعياد , بل انهم كانوا يفضلون تخصيص ايام العيد لتعزيز صلة الرحم من خلال زيارة الاحياء والتقرب الى الله عز وجل من خلال تفقد احوال الاقارب والاصدقاء . فهل يذهب الناس لزيارة موتاهم فى العيد كى يقولوا لهم:"كل سنة وأنتم ميتين" كما نقول نحن للأحياء كل سنة وأنتم طيبين؟